جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم
دراسة دلالية سياقية

إعداد

د/ سعيد منصور محمد أحمد
المدرس في قسم أصول اللغة
كلية اللغة العربية بالقاهرة
جامعة الأزهر

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الثالث .. أغسطس)
(١٤٤٧هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم دراسة دلالية سياقية.

سعيد منصور محمد أحمد

قسم أصول اللغة، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر.

البريد الإلكتروني: saidmans287@ azhar.edu.eg

الملخص:

تمثل الألفاظ القرآنية مفتاحًا جوهريًّا لفهم البنية الدلالية للنص، إذ تتسم بدقة استخدامها وعمقها الإيحائي، ومن بين الألفاظ التي تحمل دلالات متمايزة، نجد ألفاظ الميل والعدول، كـ: الميل، العدول، الجنوح، الركون، الهوى، وغيرها، التي تجسد مفاهيم التحول والتغير، سواء على المستوى المعنوي أو السلوكي، تأتي هذه المفردات في سياقات قرآنية دقيقة، تعكس التحول بين الاستقامة والانحراف، الثبات والتغير، والقصد والضلال؛ مما يمنحها بُعدًا دلاليًّا يُبرز التأثير الإرشادي للنص القرآني، فالفرق الدلالي بين «الميل» و«الجنوح»، أو بين «الهوى» و«الركون» ليس مجرد تنوع لفظي، بل يعكس فروقًا دقيقة في طبيعة الميل ومدى تأثيره على المفاهيم الأخلاقية والتشريعية، وتسعى هذه الدراسة إلى تحليل هذه الألفاظ وفق منهج لغوي دلالي، مع استعراض سياقات ورودها في القرآن الكريم، وبيان الفروق الدقيقة بينها، ومدى ارتباطها بالبنية الأسلوبية للنص؛ مما يساعد على فهم أكثر عمقًا للدلالات الإيحائية التي تحملها هذه الألفاظ، فتتناول هذه الدراسة تحليل ألفاظ (الميل والعدول في القرآن الكريم) وفق منظور لغوي حديث، مع التركيز على كيفية توظيفها لتحقيق الأثر الدلالي في النص، كما سيتم تسليط الضوء على نماذج تطبيقية من القرآن الكريم بهدف تقديم فهم أعمق لدلالة هذه الألفاظ ودورها في بناء المعاني النصية المتداخلة.

الكلمات المفتاحية: ألفاظ، الميل، العدول، سياقية، دلالية.

Expressions of Inclination and Deviation in the Qur'an: A Contextual Semantic Study

Saeed Mansour Mohammad Ahmad
Department of Linguistics, Faculty of Arabic Language, Cairo, Al-Azhar University, Egypt.
Email: saidmans287@ azhar.edu.eg

Abstract:
Qur'anic terms serve as a fundamental key to understanding the semantic structure of the text, as they are characterized by precise usage and profound connotations. Among the terms that carry distinct semantic implications are expressions of inclination and deviation, such as inclination, deviation, leaning, reliance, desire, and others, which embody concepts of transformation and change, whether at a cognitive or behavioral level, These terms appear in precise Qur'anic contexts, reflecting transitions between uprightness and deviation, stability and change, intention and misguidance, thus granting them a semantic dimension that highlights the instructional impact of the Qur'anic text. The semantic distinction between inclination and leaning, or between desire and reliance, is not merely a lexical variation but rather a reflection of nuanced differences in the nature of inclination and its impact on ethical and legislative concepts, This study aims to analyze these terms through a linguistic-semantic approach, examining their occurrences in the Qur'an, clarifying the subtle differences between them, and exploring their connection to the stylistic structure of the text. Such an analysis contributes to a deeper understanding of the suggestive meanings embedded within these terms, Furthermore, this study will analyze the expressions of inclination and deviation in the Qur'an from a modern linguistic perspective, focusing on how they are employed to achieve semantic impact within the text. Practical examples from the Qur'an will be highlighted to provide a more profound understanding of the meaning of these terms and their role in constructing interwoven textual meanings.

Keywords: Terms, Inclination, Deviation, Contextual, Semantic.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١]، فلم يكن فيه ميل أو عدول عن حق، وحفظه من التحريف والتغيير، وعصمه من الذين يلحدون في آياته، وقيض له رجالًا لم يجنفوا أو يحيدوا عنه، ولم يجنحوا إلى تغيير فيه أو تبديل، ولم يجوروا فيه عن قصد السبيل، ولم يركنوا إلى الذين يحيفون عليه في أحكامهم، بل كانوا حنفاء لله مخلصين، فأقاموا على قراءته ومدارسته من دلوك الشمس إلى غسق الليل، فهداهم الله إلى فهم أسراره ولم يزغ قلوبهم بعد أن هداهم، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمدﷺ، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فيمثل القرآن الكريم نصًّا غنيًّا بالأساليب التعبيرية التي تعكس عمقًا دلاليًّا فريدًا، كما تمثل ألفاظه مفتاحًا جوهريًّا لفهم البنية الدلالية للنص، إذ تتسم بدقة استخدامها وعمقها الإيحائي؛ فإن ألفاظ القرآن الكريم وكلماته كانت وما زالت معينًا لا ينضب، وبحرًا لا ينفد، وقد اتجه إليه الدارسون ينهلون من ينبوعه، وقصده العلماء يروون ظمأهم، ولقد قام كثير من الدارسين بالتأليف في ألفاظ القرآن الكريم، فولوا وجوههم شطر لفظ من ألفاظه يدرسونه ويكشفون عن جميع مظاهر الدلالة فيه، ويتقصون صور استيفاء ووجوه التعبير عنه، ويحصون جميع صيغه المستعملة في القرآن الكريم.

ومن بين الألفاظ التي تحمل دلالات متمايزة، نجد ألفاظ الميل والعدول، كـ: الميل، العدول، الجنوح، الركون، الهوى، وغيرها، التي تجسد مفاهيم التحول والتغير، سواء على المستوى المعنوي أو السلوكي.

تأتي هذه المفردات في سياقات قرآنية دقيقة، تعكس التحول بين الاستقامة

والانحراف، الثبات والتغير، والقصد والضلال؛ مما يمنحها بُعدًا دلاليًّا يُبرز التأثير الإرشادي للنص القرآني، فالفرق الدلالي بين «الميل» و«الجنوح»، أو بين «الهوى» و«الركون» ليس مجرد تنوع لفظي، بل يعكس فروقًا دقيقة في طبيعة الميل ومدى تأثيره على المفاهيم الأخلاقية والتشريعية.

ومن هذا المنطلق شرعت – بعد استخارة الله ﷻ – في اختيار موضوع (الميل والعدول) في القرآن الكريم؛ لأبرز بعض مظاهر الدلالة فيه، والألفاظ الدالة عليه سواء أكانت هذه الألفاظ صريحة في التعبير عن هذا المعنى أم كانت غير صريحة، ومدى موافقة هذه الألفاظ غير الصريحة للتعبير عن المعنى المختار، والصلة التي جمعتها أو تحققت فيها للتعبير عن هذا المعنى، وإيضاح صيغها وصور استعمالاتها في القرآن الكريم، فقد استعمل القرآن الكريم مجموعة من الألفاظ الدالة على معنى (الميل والعدول)، منها ما جاء صريحًا في الدلالة على هذا المعنى، ومنها ما جاء غير صريح في تلك الدلالة.

فتسعى هذه الدراسة إلى تحليل هذه الألفاظ وفق منهج لغوي دلالي، مع استعراض سياقات ورودها في القرآن الكريم، وبيان الفروق الدقيقة بينها، ومدى ارتباطها بالبنية الأسلوبية للنص؛ مما يساعد على فهم أكثر عمقًا للدلالات الإيحائية التي تحملها هذه الألفاظ.

•الدراسات السابقة:

لم أعثر على دراسة متخصصة عنيت بجمع كلِّ ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم ودراستها دراسة دلالية سياقية، ولكن كانت هناك بعض الكتابات التي تشابهت مع دراستي هذه في العنوان دون المضمون، منها:

١- نظرات في أسلوب العدول في النص القرآني لدى البلاغيين، د. حسن منديل العكيلي، بحث منشور في مجلة معارف، تصدر عن جامعة أكلي محند أولحاج – الجزائر، العدد السابع عشر، ديسمبر ٢٠١٤م.

٢- العدول في القرآن الكريم إلى آخر سورة الكهف، رسالة ماجستير للباحثة/

خديجة محمد أحمد البناني، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، ١٤١٤هـ.

٣- أسلوب العدول في القرآن الكريم دراسة تحليلية، د. عبد الجواد أحمد السيوطي، ط: دار لوتس – القاهرة، طبعة سنة ٢٠١٨م.

وهذه الدراسات الثلاث – كما هو ظاهر من عناوينها – تتناول العدول كظاهرة أو أسلوب بلاغي أو نحوي يستخدم لإبراز دلالة معينة أو توجيه فهم خاص للمتلقي، فعالجت هذه الدراسات العدول وأسلوبه في القرآن الكريم من الناحية البلاغية والنحوية دون التطرق إلى الناحية الدلالية أو الألفاظ المترادفة مع لفظ العدول، وهذا ما تفترق فيه هذه الدراسات عن دراستي هذه، أما ما يتفقان فيه فغايته التعرض للتعريف اللغوي لمعنى العدول دون التوسع في ذلك في هذه البحوث؛ لأن الدراسة فيها كانت منصبة على الجانب البلاغي أو النحوي، وكان التعريف اللغوي مدخلًا لهذا الجانب فقط.

٤- الميل وألفاظه في القرآن الكريم دراسة دلالية معجمية، د. عادل عبد الجبار، بحث منشور في مجلة كلية التربية الأساسية – جامعة بابل، العدد الخمسون، المجلد الثاني عشر، ويقع هذا البحث في ثلاث عشرة صفحة، وقد عالج الجذر (ميل)؛ وذلك من خلال تتبعها في الآيات الكريمة وبيان معناها في السياقات التي وردت فيها، وذلك بعد مقدمة عن الجذر (ميل) وبيان معانيه التي تذكرها المعاجم اللغوية، وورود تلك المعاني في القرآن الكريم، كما تناولت هذه الدراسة المواضع التي خرج فيها هذا الجذر اللغوي عن المعاني التي تذكرها له المعاجم العربية، وذلك من خلال الحديث عن الدلالة المجازية لهذا اللفظ في القرآن الكريم، وكذلك تتبعه في السياقات القرآنية التي ورد فيها التي قسمها الباحث إلى قسمين: سياقات المدح، وسياقات الذم.

ولم يذكر هذا البحث إلا خمسة ألفاظ مرادفة للفظ الميل، وهي: الركون، الجنف، الحنف، الحيد، العوج، واقتصر في دراسة هذه الألفاظ الخمسة على ذكر التعريف المعجمي لها، مع ذكر مواضع ورودها في القرآن الكريم، دون التعرض

لدراسة السياق الذي وردت فيه هذه الألفاظ، وفي هذا تفترق هذه الدراسة عن دراستي هذه، كما أن من مواضع الافتراق أن المعالجة اللغوية في هذه الدراسة كانت منصبة على لفظ الميل فقط كما اتضح من العرض السابق دون التطرق لدراسة الألفاظ المرادفة له، فهذه الدراسة – على الرغم من أهميتها – تتجه نحو خصوصية التطبيق، فهي تختص بلفظ الميل دون غيره من ألفاظ الميل والعدول، أما دراستي هذه فتعنى بجمع كلِّ ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم ودراستها؛ إذ جمعت واحدًا وثلاثين لفظًا من ألفاظ الميل والعدول، وبهذا فقد حصرت جميع ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم ودرستها دراسة دلالية سياقية تكشف عن دلالات هذه الألفاظ في سياقاتها الواردة فيها، ومدى ارتباطها بالمعنى العام المنضوية تحته، وهو الميل والعدول، مبينًا الفروق الدلالية بين هذه الألفاظ، وسر اصطفاء لفظ من هذه الألفاظ دون غيره في سياق معين.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية الموضوع في أنه يوقفنا على معرفة الألفاظ التي جاءت للدلالة على معنى الميل والعدول في القرآن الكريم.

أسباب اختيار الموضوع:

تتركز أسباب اختيار هذا الموضوع في:

١- رصد ألفاظ الميل والعدول التي وردت في القرآن الكريم؛ للوصول إلى تحديد دلالتها على هذا المعنى في سياقاتها المختلفة التي وردت فيها، وكيف أدت هذه الدلالة المرادة.

٢- الكشف عن العلاقة بين الألفاظ التي تندرج تحت ألفاظ الميل والعدول، والسر في اختيار لفظ منها دون غيره في سياقه الوارد فيه.

٣- الإسهام – ولو بشكل يسير – في وضع لبنة من لبنات دراسات ألفاظ القرآن الكريم، تلك الدراسات التي تعنى بجمع الألفاظ التي تنضوي تحت حقل دلالي معين.

تساؤلات البحث:

يأتي هذا البحث ليجيب عن التساؤلات الآتية:

- ما ألفاظ الميل والعدول الواردة في القرآن الكريم، وما الألفاظ الصريحة منها وما الألفاظ غير الصريحة؟
- ما العلاقة بين هذه الألفاظ؟ وما الفروق الدلالية الدقيقة بينها؟
- ما الدلالات التي أدتها هذه الألفاظ في سياقاتها التي وردت فيها، وما أثرها في الدلالة على معنى الميل والعدول؟
- ما أثر السياق في تنوع هذه الألفاظ؟ وما السر في إيثار لفظ دون غيره للتعبير عن معنى الميل والعدول في القرآن الكريم؟

منهج البحث:

يقوم منهج البحث على المنهج الوصفي بأدواته الاستقراء والتحليل والإحصاء؛ وذلك باستقراء ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم وجمعها، ثم يتلو ذلك إحصاء هذه الألفاظ وترتيبها ترتيبًا ألفبائيًّا، ثم تحليلها تحليلًا لغويًّا؛ للوقوف على دلالاتها على معنى الميل والعدول في سياقاتها المختلفة في القرآن الكريم، كل هذا مع الاستعانة بنظرية الحقول الدلالية.

خطة البحث:

سيقوم الباحث بدراسة هذه الألفاظ في مبحثين مستقلين، أحدهما يعنى بذكر الألفاظ الصريحة الدالة على معنى (الميل والعدول) في القرآن الكريم، والآخر يعنى بذكر الألفاظ غير الصريحة الدالة على هذا المعنى.

لذلك فقد جاء هذا البحث في مقدمة، ومبحثين، هما:

المبحث الأول: دلالات الألفاظ الصريحة للميل والعدول في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: دلالات الألفاظ غير الصريحة للميل والعدول في القرآن الكريم.

ثم ختم البحث بخاتمة فيها أهم النتائج، ثم فهرس للمصادر والمراجع، وفهرس الموضوعات.

والله الموفق، وهو الهادي إلى سواء السبيل.

الباحث: سعيد منصور محمد أحمد

•المبحث الأول: الألفاظ الصريحة الدالة على معنى (الميل والعدول)

وردت لفظتا (الميل) و(العدول) للدلالة صراحة على هذا المعنى، وفي بداية البحث يستحسن أن أذكر معنى لفظتي (الميل) و (العدول) في كتب اللغة، وصور استعمالاتهما في القرآن الكريم، فأقول:

•تعريف الميل:

يقول ابن فارس: "الْمِيمُ وَالْيَاءُ وَاللَّامُ كَلِمَةٌ صَحِيحَةٌ تَدُلُّ عَلَى انْحِرَافٍ فِي الشَّيْءِ إِلَى جَانِبٍ مِنْهُ"(١)، ويقول ابن سيده: "المَيْلُ: العُدُولُ إلى الشَّيءِ والإِقبَالُ عَلَيهِ"(٢)، ويقول الراغب: "المَيْلُ: العدول عن الوسَط إلى أَحَد الجانبين، ويُستعمَلُ في الجَوْر، وإذا استُعمِلَ في الأجسام فإنه يقال فيما كان خِلْقَةً: مَيَلٌ، وفيما كان عَرَضًا: مَيْلٌ، يقال: مِلْتُ إلى فلان: إذا عاوَنْتُهُ، قال تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ﴾[النساء: ١٢٩]، وَمِلْتُ عليهِ: تحاملْتُ عليه، قال تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾[النساء: ١٠٢]، والمَالُ سُمِّي بذلك؛ لكونه مائِلًا أبدًا وزَائلًا؛ ولذلك سُمِّي عَرَضًا، وعلى هذا دلَّ قولُ مَنْ قال: «المَالُ قَحْبَةٌ تكون يومًا في بيت عطَّار، ويومًا في بيت بَيْطَار»"(٣)، ويقول الفيومي: "مَالَ عَنْ الطَّرِيقِ يَمِيلُ مَيْلًا: تَرَكَهُ وَحَادَ عَنْهُ... وَالْمَيَلُ بِفَتْحَتَيْنِ مَصْدَرٌ مِنْ بَابِ (تَعِبَ): الاعْوِجَاجُ خِلْقَةً"(٤).

ومن هذه التعريفات – وكثير غيرها – يتضح أن لفظ (الميل) هو الاعوجاج والعدول والميلان إلى أحد الجانبين، وقد فرقوا بين محرك الوسط (مَيَل) وساكنه

(١) مقاييس اللغة (م ي ل) ٢٤٧/٤، تح: عبد السلام هارون، ط: دار الفكر سنة ١٩٧٩م.

(٢) المحكم (م ي ل) ١٠/ ٤٢٤، تح: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.

(٣) المفردات في غريب القرآن (م ي ل) ص٧٨٣، تح: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية بدمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) المصباح المنير (م ي ل) ٥٨٨/٢، ط: المكتبة العلمية – بيروت.

(مَيْل)، فجعلوا المحرك لما كان خِلْقة، فـ "يقال منه: رجلٌ أَمْيَلُ العاتِقِ: في عُنُقِهِ مَيَلٌ"(١)، وجعلوا الساكن لما كان عرضًا، وقد فرق بينهما أبو هلال العسكري فذكر أن "المَيْل مصدر، وَيسْتَعْمل فِي مَا يُرى وَفِي مَا لا يُرى مثل مَيْلك إِلَى فلَان، وَمَال الْحَائِط مَيْلًا، والمَيَل بِالتَّحْرِيكِ اسْمٌ يسْتَعْمل فِي مَا يُرى خَاصَّة، تَقول: فِي الْعود مَيَلٌ، وَفِي فلَان مَيَلٌ، إِذا كَانَ يمِيل فِي أحد الْجَانِبَيْنِ من خِلْقَةٍ"(٢)، وقد جعل الصفدي الفرق بينهما يكمن في أن "المَيْل بالسكون من القلب واللسان، وبالفتح فيما يُدْرَك"(٣).

وعلى كلٍّ فإن كل ذلك يرجع إلى معنى واحد هو العدول والاعوجاج والانحراف.

•تعريف العدول:

بتتبع مادة (ع د ل) في المعاجم العربية نجد أن لها دلالتين من الممكن أن ترجع إحداهما إلى الأخرى، وأولى هاتين الدلالتين العَدْل بمعنى الاستواء أو المساواة، وهذا المعنى متأتٍ من معادلة الحِمْل على الدابة بأن يُجعل طرفاه على استواء واحد، ويقال لكل طرف عِدْل، ولا يتأتى هذا المعنى إلاّ بالتحريك والإمالة، ومن هنا جاءت الدلالة الثانية وهي العدول بمعنى الميل، يقول الخليل بن أحمد: "والعِدْلان: الحِمْلان على الدابّة من جانبين، وجمعُه أعدال، عُدِل أحدهما بالآخر في الاستواء؛ كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، والعَدْل أن تَعْدِل الشيءَ عن وجهه

(١) الصحاح (م ي ل) ١٨٢٢/٥، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.

(٢) الفروق اللغوية للعسكري ص٢١٣، تح: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة بالقاهرة.

(٣) تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ص٣٩١، تح: السيد الشرقاوي، ط: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

فتميله، وعدلتُه عن كذا، وعدلتُ أنا عن الطريق، والعِدْلُ أحد حِمْلَي الجمل، لا يقال إلاّ للحِمْل، وسُمّي عِدْلًا؛ لأَنّهُ يُسوّى بالآخر بالكيل والوزن"(١).

ويلاحظ أنّ دلالة العَدْل ودلالة العدول من الممكن إرجاعهما إلى أصل دلالي واحد، هو الميل؛ إذ إن دلالة العَدْل مشتقة من معادلة الأعدال على الدابة من جانبين، أي أَنْ تَعْدِلَ العِدْل عن جهته فتُميله؛ حتى يُعادل العِدْل الآخر من الجهة الأخرى؛ حتى يتساويا بالكيل والوزن؛ كي لا يرجح أحدهما بصاحبه كما قال الخليل، ويقول ابن سيده: "عدَلَ يعدِل عدْلًا، وعُدولًا، وانعدَل، وعدلْته عَنهُ: أملتُه، وَقيل: عدَلتُه: قوّمتُه عَن ميله، وعدلْت الشيءَ أعدِلُه: إِذا كَانَ فِيهِ أدنى ميلٍ فأقمْتَه"(٢)، ودلالة العدول على الميل مشتقة أيضًا من معادلة الأحمال؛ إذ لا بُدّ من إمالتها عند تسوية بعضها ببعض، ومن هنا نرى أن إرجاع ابن فارس مادة (ع د ل) إلى "أَصْلينِ صَحِيحَينِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ..."(٣)؛ هو قول غير سديد؛ فإنه في الحقيقة أصل واحد هو الميل كما بين البحث، ويقول الدكتور محمد حسن جبلﷺ عن تأصيل مادة (ع د ل) وما تدور حوله من معان: "المعنى المحوري: موازنة ثِقْل في جانب بثِقْل في جانبٍ آخر حتى يتّزِنا... ومن ملحظ تغلق الشيء في جانبٍ ما وليس في الوسط جاء معنى الميل أو حَرْف الشيء إلى جانبٍ ما (بمعونة حرف الجرّ): عَدْلتُ فلانًا عن طريقه، والدابةَ إلى موضع كذا، (كأَنَّك جعلتهما عِدْلًا لشيء في الجانب الآخر)، وانْعَدَل عنه وعَادل: اعْوجّ"(٤).

---

(١) العين ٣٨/٢، ٣٩، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.

(٢) المخصص ٣٤٩/٣، تح: خليل إبراهم جفال، ط: دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.

(٣) مقاييس اللغة (ع د ل) ٤/ ٢٤٧.

(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم (ع د ل) ١٤٢٣/٣، ط: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م.

ومن هذه التعريفات يتضح أن لفظ (العدول) يتفق دلاليًا مع لفظ (الميل) في دلالتهما على الانحراف والاعوجاج، وهو في دلالته هذه يعد من قبيل المشترك اللفظي؛ إذ يحمل – إلى جانب هذه الدلالة – دلالات أخرى منها الاستواء والمساواة، ومن الممكن إرجاعهما إلى الميل أيضًا كما ذكرنا، ويلاحظ أنه لكي يؤدي هذا المعنى لا بد أن يكون ذلك بقرينة أو بمعونة، وهذه القرينة هي تعديته بحرف الجر (عن).

•استعمالات لفظي (الميل) و(العدول) في القرآن الكريم:

لقد وردت لفظة (م ي ل) ومشتقاتها في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، جاءت فيها بصيغتين، هما:

١ـ المضارع: وقد ورد في صورتين، هما: (تميلوا، يميلون)، وقد وردتا في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، هي:

أ) قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾[النساء:٢٧].

وقد جعل الزجاج المراد من الميل هنا: "أن تعدلوا عن القصد"(١)، ووافقه في ذلك النحاس(٢)، وذكر ابن حسنون أن معنى الميل في الآية: "تخطئوا خطأً بيّنا بلغة سبأ"(٣).

ويبين أبو حيان القيمة الدلالية للتعبير بالمصدر والوصف بالعظم هنا

(١) معاني القرآن وإعرابه ٤٤/٢، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م.

(٢) ينظر: معاني القرآن ٦٩/٢، تح: محمد علي الصابوني، ط: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

(٣) اللغات في القرآن ص٢٤، تح: صلاح الدين المنجد، ط: مطبعة الرسالة بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦م.

فيقول: "وَأَكَّدَ فِعْلَ الْمَيْلِ بِالْمَصْدَرِ عَلَى سَبِيلِ الْمُبَالَغَةِ، لَمْ يَكْتَفِ حَتَّى وَصَفَهُ بِالْعِظَمِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْمُيُولَ قَدْ تَخْتَلِفُ، فَقَدْ يَتْرُكُ الإِنْسَانُ فِعْلَ الْخَيْرِ لِعَارِضٍ شَغَلَ، أَوْ لِكَسَلٍ، أَوْ لِفِسْقٍ يَسْتَلِذُّ بِهِ، أَوْ لِضَلالَةٍ بِأَنْ يَسْبِقَ لَهُ سُوءُ اعْتِقَادٍ"(١).

إذًا فالميل في الآية هو العدول والانحراف عن طريق الحق إلى اتباع الشهوات.

ب) قوله سبحانه: ﴿وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ تَغۡفُلُونَ عَنۡ أَسۡلِحَتِكُمۡ وَأَمۡتِعَتِكُمۡ فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[النساء: ١٠٢].

يقول ابن عاشور: "وَالْمَيْلُ: الْعُدُولُ عَنِ الْوَسَطِ إِلَى الطَّرَفِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْعُدُولِ عَنْ شَيْءٍ كَانَ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ، كَمَا هُنَا، أَيْ: فَيَعْدِلُونَ عَنْ مُعَسْكَرِهِمْ إِلَى جَيْشِكُمْ"(٢)، ويكاد يكون هناك شبه إجماع من العلماء على أن المراد بالميل المقصود من الآية هو الحمل والهجوم والكَرّ والشَّد، فقد ذكر الطبري أن المقصود هو أن الكفار "يحملون عليكم وأنتم مشاغيل بصلاتكم عن أسلحتكم وأمتعتكم حملة واحدة"(٣)، ووافقه في ذلك البغوي(٤)، والسمرقندي(٥)، والنيسابوري(٦)، والألوسي(٧)،

(١) البحر المحيط ٦٠٣/٣، تح: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر ببيروت، طبعة سنة ١٤٢٠هـ.

(٢) التحرير والتنوير ١٨٧/٥، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة ١٩٨٤م.

(٣) جامع البيان للطبري ١٦٢/٩، ط: دار التربية والتراث بمكة المكرمة (د. ت).

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ٢٨٠/٢، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

(٥) بحر العلوم ٣٣٣/١.

(٦) إيجاز البيان عن معاني القرآن ٢٥٤/١، تح: حنيف بن حسن القاسمي، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

(٧) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ١٣١/٣، تح: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

ويقول الزمخشري: "﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم﴾: فيشدون عليكم شدة واحدة"(١)، ووافقه في ذلك البيضاوي(٢)، وأبو البركات النسفي(٣)، وأبو حيان(٤)، والشوكاني(٥).

فاستعار المولى ﷻ الميل للحرب والهجوم، ولما كان المقصود من الميل هنا الهجوم والكَرَّ وَالشَّدَّ عُدِّيَ بـ (على)، أَيْ: فَيَشُدُّونَ عَلَيْكُمْ فِي حَالِ غَفْلَتِكُمْ(٦).

ج) قوله: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓاْ أَن تَعْدِلُواْ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ﴾[النساء:١٢٩].

وقد أوضح أبو عبيدة أن المراد بقوله: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ﴾ هنا أنه "لا تجوروا"(٧)، ووافقه في ذلك الزمخشري(٨)، وأبو حيان(٩)، وهذا المعنى مأخوذ من قولهم: مال الحاكمُ في حكمه: جار فيه وظلم، وكل من مالَ فقد جَار(١٠).

---

(١) الكشاف ٥٦٠/١، ط: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٩٤/٢، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٣٩١/١، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.

(٤) البحر المحيط ٥١/٤.

(٥) فتح القدير ٥٨٧/١، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.

(٦) ينظر: البحر المحيط ٦٢/٤، والتحرير والتنوير ١٨٧/٥.

(٧) مجاز القرآن ١٤٠/١، محمد فؤاد سزكين، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، طبعة سنة ١٣٨١هـ.

(٨) الكشاف ٥٧٢/١.

(٩) البحر المحيط ٨٩/٤.

(١٠) ينظر: المخصص ٣٤٩/٣، والمصباح المنير (م ي ل) ٥٨٨/٢.

٢. المصـدر: وقد ورد في صورتين:

أ) المصدر الصريح: وجاء في موضعين من القرآن الكريم، هما الموضعان الأول والثالث في صيغة المضارع.

ب) اسم المرة: وهو الموضع الثاني من مواضع الفعل المضارع، وهو قوله تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً﴾[النساء: ١٠٢].

والذي يتأمل المواضع التي ورد فيها لفظ (الميل) في القرآن الكريم يجد أن الغالب فيها اختصاص لفظ (الميل) بالميل القلبي، وميل الهوى، فمعنى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾: "فلا تميلوا بأهوائكم إلى من لم تملكوا محبته منهن كلَّ الميل؛ حتى يحملكم ذلك على أن تجوروا على صواحبها في ترك أداء الواجب لهن عليكم من حق: في القسم لهن، والنفقة عليهن، والعشرة بالمعروف"(١)، وهذا بالطبع ميل قلبي عاطفي، ويظهر هذا جليًّا في سبب نزول هذه الآية؛ فقد "رُوِيَ أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَمَيْلِهِ بِقَلْبِهِ إِلَى عَائِشَةَ رضي الله عنها"(٢)، ويستحيل شرعًا وعقلًا أن يكون المراد بالميل من النبي ﷺ غير الميل القلبي، وقال الماتريدي في تفسيرها: "وقوله ﷻ: ﴿فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ﴾: في النفقة والقسمة، معناه: "لا يحملنكم شدة الحب والميل بالقلب أن تتركوا الإنفاق عليها وإيفاء الحق"(٣)، ومعنى قوله تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾: "ويريد الذين يطلبون لذّات الدنيا وشهوات أنفسهم فيها أن تميلوا عن أمر

(١) جامع البيان للطبري ٢٨٤/٩.

(٢) ينظر: المحرر الوجيز ١٢٠/٢، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ، والبحر المحيط ٨٨/٤.

(٣) تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي ٣٨٠/٣، تح: مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م.

الله تبارك وتعالى، فتجوروا عنه بإتيانكم ما حرّم عليكم وركوبكم معاصيه ميلًا عظيمًا"[(١)]، وهذا الميل لا يكون إلا باتباع هوى النفس، والميل القلبي.

أما لفظ **(العدول)** فلم يرد في القرآن الكريم مرادًا به الانحراف أو الميل إلى أحد الجانبين صراحة، بل قد جاء دالًّا على هذا المعنى في أحد تأويلين لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء: ١٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[النمل: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٧].

فعن الموضع الأول يقول الواحدي: "وقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ﴾، أكثر المفسرين على أن هذا من العدول الذي هو الميل والجور، على معنى: واتقوا أن تعدلوا، فحذف؛ لأن في النهي عن اتباع الهوى دليلًا على الأمر بالتقوى، وهذا معنى قول مقاتل؛ لأنه قال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ﴾ في الشهادة، واتقوا الله ﴿أَن تَعْدِلُواْ﴾ عن الحق إلى الهوى، وقال ابن عباس: يريد أن تميلوا عن العدل، وهو قول الكلبي أيضًا، وعند الفراء والزجاج: يجوز أن يكون ﴿تَعْدِلُواْ﴾ من العدل على معنى: ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا، كما تقول: لا تتبعن هواك لترضي ربك، أي: أنهاك عن هذا كيما ترضي ربك. قاله الفراء"[(٢)]، فكأن معنى الآية: فلا تتبعوا أهواءَ أنفسكم في الميل في شهادتكم إذا قمتم بها لغني على فقير، أو لفقير على غني إلا أحد الفريقين، فتقولوا غير الحق، ولكن قوموا فيه بالقسط، وأدُّوا

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٢١٢/٨.

(٢) التفسير البسيط ١٤٢/٧، تح: مجموعة من الباحثين، ط: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

الشهادة على ما أمركم الله بأدائها، بالعدل لمن شهدتم له وعليه[١].

وعن الموضع الثاني يقول الثعلبي: "وقال النضر بن شميل: الباء في قوله: ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ بمعنى عن، وقوله: ﴿يَعْدِلُونَ﴾ من العدول، أي: يميلون وينحرفون"[٢]، ويقول عبد القاهر الجرجاني: "وعن النضر بن شميل أنّ الباء بمعنى (عن)، أي: عن ربّهم يعرضون وينحرفون"[٣]، وقد أورد هذا الرأي أيضًا كلٌّ من البغوي[٤]، وابن الجوزي[٥]، والقِنَّوجي[٦]، وقد جعله الكرماني في تفسيره (غرائب التفسير وعجائب التأويل) من التفسير العجيب، فقال: "العجيب: (الباء) بمعنى (عن)، وهو من صلة ﴿يَعْدِلُونَ﴾، والمعنى: يميلون عن عبادة ربهم"[٧]، وقد أوضح الكرماني المقصود بالعجيب في تفسيره بقوله: "وكل ما وصفته بالعجيب ففيه أدنى خلل ونظر"[٨]، إلا أنه لم يبين الخلل في هذا القول، وقد أوضحه ابن عاشور بقوله: "وَلَا يَصِحُّ تَعْلِيقُهُ بِـ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ لِعَدَمِ الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ"[٩].

(١) جامع البيان للطبري ٣٠٢/٩.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي ٢٤/١٢، ط: دار التفسير بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م.

(٣) دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر ٥٩٨/١، تح: طلعت صلاح الفرحان، ط: دار الفكر بالأردن، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

(٤) معالم التنزيل في تفسير القرآن ١٠٨/٢.

(٥) زاد المسير في علم التفسير ٨/٢، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.

(٦) فتح البيان في مقاصد القرآن ٩٩/٤، ط: المَكتبة العصريَّة ببيروت سنة ١٩٩٢م.

(٧) غرائب التفسير وعجائب التأويل ٣٥١/١، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة.

(٨) غرائب التفسير وعجائب التأويل ١٤١٣/٢.

(٩) التحرير والتنوير ١٢٨/٧.

والمتأمل في هذا الرأي يجده يقول بأن معنى قوله تعالى: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ من العدول وذلك بتأويل معنى الباء في ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ بـ (عن)، وفي حقيقة الأمر فإن هناك رأيًا آخر يجعل ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ من العدول من غير القول بالتناوب بين الحرفين، وقد لخص السمين هذا الرأي بقوله: "قوله: ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ يجوز أن يتعلَّق بـ ﴿كَفَرُواْ﴾ فيكون ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ بمعنى يَميلون عنه، من العُدول، ولا مفعولَ له حينئذ، ويجوز أن يتعلَّق بـ ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، وقُدِّم للفواصل، وفي الباء حينئذٍ احتمالان، أحدهما: أن تكون بمعنى عن، و﴿يَعۡدِلُونَ﴾ من العُدول أيضًا، أي: يعدِلون عن ربهم إلى غيره. والثاني: أنها للتعدية، و﴿يَعۡدِلُونَ﴾ من العَدْل وهو التسوية بين الشيئين، أي: ثم الذين كفروا يُسَوُّوْن بربهم غيرَه من المخلوقين، فيكون المفعول محذوفًا"[1]، وقد ذكر هذا الرأي أيضًا كلٌّ من البيضاوي[2]، وأبي البركات النسفي[3]، وأبي حيان[4]، والألوسي[5].

وعلى هذا فإن في قوله تعالى: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ وجهين للعلماء:

أحدهما: أنه من العدول عن الشيء بمعنى الانحراف والميل عنه، وذلك باعتبار قوله تعالى: ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ متعلق بقوله: ﴿كَفَرُواْ﴾، وعلى هذا الوجه يكون المعنى: إن الذين كفروا بربهم يميلون وينحرفون عن طريق الإيمان والحق إلى الكفر والضلال، وقد قيل على هذا الوجه أيضًا: إن (الباء) بمعنى (عن)، أي: يعدلون

(١) الدر المصون ٥٢٥/٤، ٥٢٦، تح: أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق.

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل المسمى تفسير البيضاوي ١٥٣/٢.

(٣) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٤٩٠/١.

(٤) البحر المحيط ٤٣٠/٤.

(٥) روح المعاني ٨١/٤.

عن ربهم، وهو رأي النضر بن شميل كما مر.

والثاني: أن الباء متعلقة بـ ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، ومعنى يعدلون يجعلون له نظيرًا في العبادة، من قول العرب: عدلت فلانًا بفلان إذا جعلته له عديلًا ونظيرًا.

ولكن البحث يرجح الوجه الثاني الذي ذكره عامة المفسرين؛ وذلك لأنه هو الوجه الذي ورد به القرآن، ودلَّ عليه في أكثر من موضع كقوله تعالى عن الكفار الذين عدلوا به غيره: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ۝٩٧ إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[الشعراء: ٩٧، ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[البقرة: ١٦٥]، كما أشار تعالى في آيات كثيرة إلى أن الكفار ساووا بين المخلوق والخالق، كقوله ﷻ: ﴿أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾[الرعد: ١٦]... إلى غير ذلك من الآيات(١).

ويكون المعنى على هذا: "أَيْ: يَعْدِلُونَ بِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يَقْدِرُ عَلَيْهِ، وَهَذَا نِهَايَةُ الْحُمْقِ وَغَايَةُ الرَّقَاعَةِ؛ حَيْثُ يَكُونُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ تِلْكَ النِّعَمُ، وَيَكُونُ مِنَ الْكَفَرَةِ الْكُفْرُ"(٢).

أما **الموضع الثالث** فهو صريح بعض الشيء في التعبير عن الميل من الذي قبله، وقد قال الماتريدي عن هذا الموضع: "يحتمل هذا وجهين: أحدهما: يحتمل ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، أي: يجعلون من لا يملك ما ذُكِر عديلًا لله. والثاني: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾، أي: يعدلون عن اللَّه، ويميلون إلى غيره من العدول، والله أعلم"(٣)، ويقول الرازي:

---

(١) ينظر في ذلك: التفسير القيم لابن القيم ص٤١٦، ط: دار ومكتبة الهلال ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ، وأضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لمحمد الأمين الشنقيطي ٢١٣/٢، ط: دار عطاءات العلم بالرياض، الطبعة الخامسة سنة ٢٠١٩م.

(٢) فتح القدير للشوكاني ١١٣/٢.

(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١٢٧/٨.

"ثم قال: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، وقد اختلفوا فيه فقيل: يعدلون عن هذا الحق الظاهر، وقيل: يَعْدِلُونَ بالله سواه، ونظير هذه الآية أول سورة الأنعام"(١).

وبالنسبة لترجيح أحد الوجهين على الآخر نجد أن بعض العلماء قد ذكر أن (يعدلون) من العدول بمعنى الميل واقتصر عليه كالطبري(٢)، والزجاج(٣)، والكرماني(٤)، والبيضاوي(٥)، والفيروزآبادي(٦)، ومنهم من ذكر أن (يعدلون) بمعنى تسوية الله ﷻ بغيره والشرك به واكتفى به كالثعلبي(٧)، والبغوي(٨)، وابن كثير(٩)، ومنهم من ذكر الوجهين دون ترجيح بينهما كالنحاس(١٠)،

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٥٦٣/٢٤، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

(٢) جامع البيان للطبري ٤٨٣/١٩.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١٢٨/٤.

(٤) لباب التفاسير ص١٩١٦، تح: عبد الله بن حمد المنصور، رسالة دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.

(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٦٤/٤.

(٦) بصائر ذوي التمييز ٣٠/٤.

(٧) الكشف والبيان عن تفسير القرآن ٣٠٣/٢٠.

(٨) معالم التنزيل في تفسير القرآن ٥١١/٣.

(٩) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ١٨٢/٦، تح: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

(١٠) معاني القرآن ١٤٤/٥.

ومكي بن أبي طالب[١]، والزمخشري[٢]، والقرطبي[٣]، وأبي البركات النسفي[٤]، وأبي حيان[٥]، والسمين الحلبي[٦]، والثعالبي[٧]، والشوكاني[٨].

والبحث يرجح أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ هو الميل والعدول؛ وذلك لأن سياق الآيات يوحي بذلك، وهذا المعنى هو الذي يُناسب سياق الكلام؛ وذلك لأن الله سبحانه وتعالى بعد أن بين نعمه على عباده في قوله تعالى: ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ﴾[النمل: ٦٠] أراد سبحانه أن يبكِّت هؤلاء الكفار ويوبخهم على العدول عن الحق الواضح مع علمهم به، فهم يرونه حولهم في السماوات والأرض، فأضرب وقال: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾، أي: إنهم قوم عادتهم العدول والميل عن الحق مع وضوحه لهم وعلمهم به، وقد

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية ٥٤٥٤/٨، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.

(٢) الكشاف ٣٧٦/٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٢/١٣، تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.

(٤) مدارك التنزيل وحقائق التأويل ٦١٥/٢.

(٥) البحر المحيط ٢٦٠/٨.

(٦) عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ (ع د ل) ٣٩/٣، تح: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.

(٧) الجواهر الحسان في تفسير القرآن ٢٥٦/٤، تح: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.

(٨) فتح القدير للشوكاني ١٦٨/٤.

قال أبو السعود: "﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾: إضرابٌ وانتقالٌ من تبكيتِهم بطريقِ الخطابِ إلى بيانِ سوءِ حالِهم وحكايتِه لغيرِهم، أي: بل هُم قومٌ عادتُهم العُدولُ عن طريقِ الحقِّ بالكليةِ والانحراف عن الاستقامة في كلِّ أمرٍ من الأمورِ فلذلك يفعلونَ ما يفعلونَ من العُدول عن الحقِّ الواضحِ الذي هو التَّوحيدُ والعُكوفُ على الباطلِ البيِّن الذي هو الإشراكُ، وقيل: يعدلونَ به تعالَى غيرَهُ، وهو بعيدٌ خالٍ عن الإفادةِ"(١).

وجدير بالإشارة هنا أنه قد ورد لفظ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ في ثلاثة مواضع أخرى من القرآن الكريم، **أولها:** قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١٥٠]، ولكن اتفق المفسرون على أن ﴿يَعْدِلُونَ﴾ هنا بمعنى يشركون.

والموضع الثاني والثالث: وهما: قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٥٩]، وقوله ﷻ: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[الأعراف: ١٨١]، معنى ﴿يَعْدِلُونَ﴾ فيهما: أنهم يحكمون بالعدل ويزنون الأمور بالحق، سواء في أقوالهم أو أفعالهم، أي أنهم يسيرون وفق منهج العدل والاستقامة، فلا يجورون في أحكامهم، وإنما يعدلون في كل شئونهم(٢).

يتضح مما سبق أن لفظ (العدول) يجيء بمعنى الميل، وهو بهذا المعنى يكون أحد الأفعال التي يتغير معناها بتغير الجار، تقول: عدلت عنه، بمعنى: ملت عنه، وتقول: عدلت إليه، بمعنى: أقبلت عليه، وفي السياق القرآني قد يجيء

(١) إرشاد العقل السليم = تفسير أبي السعود ٢٩٤/٦، ط: دار إحياء التراث العربي ببيروت.
(٢) ينظر: التفسير الوسيط ٣٦٩/٥، ٤٤٣/٥، محمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ – ١٩٩٨م.

هذا الفعل محتملًا لمعنى الميل، ومعنى التسوية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾؛ فإن اعتبرت الجار والمجرور ﴿بِرَبِّهِمْ﴾ متعلقين بـ ﴿يَعْدِلُونَ﴾ كان المعنى: إن الكفار يسوون الأصنام بربهم. وإن اعتبرتهما متعلقين بالفعل ﴿كَفَرُواْ﴾ كان ﴿يَعْدِلُونَ﴾ بمعنى يميلون، والمعنى: إن الكفار يميلون، وينحرفون عن إفراد الله بالوحدانية(١).

وأصرح من الموضع السابق قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾[الانفطار:٧] على قراءة التخفيف، حيث قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي ﴿فَعَدَلَكَ﴾ خفيفة(٢)، "فالتثقيل بمعنى: جَعَلَكَ متناسِبَ الأطرافِ، فلم يجعَلْ إحدى يَدَيْكَ أو رِجْلَيْكَ أطولَ، ولا إحدى عينَيْك أَوْسَعَ، فهو من التَّعْديلِ، وقراءةُ التخفيفِ تحتمل هذا، أي: عَدَلَ بعضَ أعضائِك ببعضٍ، وتحتمل أَنْ تكونَ من العُدولِ، أي: صَرَفَك إلى ما شاء من الهيئاتِ والأشكالِ والأشباهِ"(٣).

إذًا فقوله: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ على قراءة التخفيف يحتمل وجهين: إما أن يكون من التسوية والتقويم بأن خلقه متساوي الأطراف والأعضاء، فجعل له يدين مستويتين، لم يجعل إحداهما أطول من الأخرى، وكذلك سوى بين رجليه، وإما أن يكون من العدول، وكأن الذين قرأوه بالتخفيف "وجَّهوا معنى الكلام إلى صرفك وأمالك إلى أيّ صورة شاء، إما إلى صورة حسنة، وإما إلى صورة قبيحة، أو إلى صورة بعض

(١) ينظر: تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه ٦٤٥/٣، محمد علي طه الدرة، ط: دار ابن كثير – دمشق، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

(٢) ينظر: السبعة ص٦٧٤، ومعاني القراءات للأزهري ١٢٦/٣، وحجة الفارسي ٣٨٢/٦، وحجة ابن خالويه ص٧٥٢، والنشر ٣٩٩/٢، والإتحاف ص٥٧٥.

(٣) الدر المصون ٧١٠/١٠.

قراباته"[١].

وبناءً على ما رجحه البحث سابقًا من أنّ دلالة العَدْل ودلالة العدول من الممكن إرجاعهما إلى أصل دلالي واحد، هو الميل؛ إذ إن دلالة العَدْل مشتقة من معادلة الأعدال على الدابة من جانبين، أي أَنْ تَعْدِلَ العِدْل عن جهته فتُميله؛ حتى يُعادل العِدْل الآخر من الجهة الأخرى؛ حتى يتساويا بالكيل والوزن؛ كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، بناءً على ذلك فإن البحث يرجح هنا أن قوله تعالى: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ من الممكن إرجاع دلالته على الاستقامة والتسوية إلى الميل أيضًا، وبذلك يكون لفظ (الميل) جامعًا لهما، وذلك لأنه إذا مالَ شيءٌ قُلْتَ: عَدَلته، أَي: أَقمته فاعْتَدَل، أَي: اسْتَقَامَ[٢]، وقد مر بنا قول ابن سيده: "عدَلَ يعدِل عدْلًا، وعُدولًا، وانعدَل، وعدلْته عَنهُ: أملتُه، وَقيل: عدَلتُه: قوّمتُه عَن ميله، وعدلْت الشيءَ أعدِلُه: إِذا كَانَ فِيهِ أدنى ميلٍ فأقمْتَه"[٣].

وبناءً عليه يكون قوله تعالى: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بمعنى العدول والميل، وقد "قال أبو عبيد: معنى قوله: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف، أي: أمالك، وليس في ذكره كثير حكمة، واختار التشديد فيه.

وليس كما ذكر؛ بل في ذكر هذا من الأعجوبة ما في ذكر الآخر؛ فقوله: ﴿فَعَدَلَكَ﴾، أي: صرفك من حال إلى حال، ووجه صرفه – واللَّه أعلم –: أنه كان في الأصل ماء مهينًا في صلب الأب، فصرف ذلك الماء إلى رحم الأم، ثم أنشأه نطفة، ثم صرفها إلى العلقة، وإلى المضغة إلى أن أنشأه خلقًا سويًّا. أو صرفه على ما عليه من الحال من الصحة إلى السقم، ومن السقم إلى البرء؛ فيكون في

(١) جامع البيان للطبري ٢٦٩/٢٤.
(٢) ينظر: لسان العرب (ع د ل) ٤٣٣/١١.
(٣) المخصص ٣/ ٣٤٩.

ذكر هذا تعريف المنة والقدرة والحكمة، ففيه أعظم الفوائد"[١].

ومعنى ﴿فَعَدَلَكَ﴾ على هذا: "فأمالك عن تشويه الخلقة وتقبيح الصورة، وجعلك معتدلًا في صورتك، وكل هذا يقتضي غاية الشكر والخوف منه إن عصى؛ لأنه كما قدر على التسوية يقدر على التشويه وغيره من العذاب"[٢].

ولا وجه لترجيح الفراء قراءة التشديد على قراءة التخفيف، معللًا ذلك بأن (فِي) للتركيب أقوى فِي العربيِّة من أَن تكون (فِي) للعَدْلِ؛ لِأَنَّك تَقول: عَدَلْتُكَ إِلَى كَذَا وصَرفتُك إِلَى كَذَا، وَهَذَا أَجود فِي الْعَرَبيَّة من أَن تَقول: عَدَّلتك فِيهِ وصرَّفتك فِيهِ، فمن قرأ ﴿فَعَدَلَكَ﴾ بالتخفيف جعل (في) بمعنى (إِلَى) كأنه قال: عَدَلَكَ إلى أي صُورَةٍ شاءَ أن يُرَكبك فيها فرَكَّبك[٣]، لا وجه لذلك؛ لأن الكلام تام عند ﴿فَعَدَلَكَ﴾، و (في) متعلقة بـ ﴿رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨] لا بعدلك[٤].

نخلص مما سبق إلى أن (الميل) و(العدول) قد وردا في القرآن الكريم للدلالة على الانحراف والاعوجاج، وقد اتفقا دلاليًّا في أن هذا الانحراف يكون بعد نظرٍ، وظهور للأدلة على صحة رأي وفساد مقابله، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾، فهذا الميل يكون بعد ظهور فساد رأيهم وبطلان مذهبهم، ولا أعظم دلالة على ذلك من وصفهم بأنهم متبعو الشهوات، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٤٤٦/١٠.

(٢) نظم الدرر ٣٠٣/٢١.

(٣) ينظر: معاني القرآن للفراء ٢٤٤/٣، تح: محمد علي النجار وآخرين، ط: دار المصرية للتأليف والترجمة، الطبعة الأولى، ومعاني القراءات للأزهري ١٢٦/٣.

(٤) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ١٠٥/٥، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.

يَعۡدِلُونَ﴾، وقد بينا ذلك فيما سبق فلا حاجة لإعادته هنا.

كما أن من أوجه الاتفاق دلاليًّا ما في اللفظين من معاني التعدي، والجرأة، ومجاوزة الحد.

ومما سبق يمكن استخلاص الفرق بينهما في النص القرآني فيما يأتي:

١- أن العدول يكون من الحق إلى الباطل، أما الميل فيكون مطلقًا، فإن العدول في الآيتين الكريمتين اللتين ورد فيهما هذا اللفظ كان العدول فيهما عن طريق الحق والاستقامة إلى الباطل والضلال، أما الميل في الآيات التي ورد فيها فكان عامًّا.

٢- أن الميل لفظ يشير إلى الانحراف التدريجي أو التوجه نحو شيء معين دون الوصول إلى حد القطيعة أو التغيير الجذري، وقد يكون الميل داخليًّا أو نفسيًّا، مثل الميل إلى رأي أو فكرة، أو ميل القلب نحو شيء معين، وفي بعض السياقات القرآنية، يأتي الميل بمعنى الانحراف عن العدل أو الاستقامة، كما في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾[النساء:١٢٩]، حيث يدل على الميل المفرط الذي يؤدي إلى الإضرار بالآخرين، أما العدول فيحمل دلالة أقوى من الميل، إذ يعبر عن التحول الصريح من مسار إلى آخر، وغالبًا ما يكون العدول عن أمر إلى نقيضه، وذلك كالعدول عن عبادة الله إلى عبادة غيره.

٣- وبناءً على ذلك فإن لفظ الميل كان استعماله في الميل المعنوي أكثر من الميل الحسي، وإن دل على الميل الحسي فبطريق الاستعارة كما في قوله تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيۡكُم مَّيۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، أما العدول فأكثر استعماله في الميل الحسي من الميل المعنوي كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٧].

٤- أن العدول يغلب فيه الدلالة على الميل في الاعتقاد، أما الميل فيغلب فيه

الدلالة على الميل القلبي سواء أكان متعلقًا بالاعتقاد أم بغيره من الأمور الأخرى؛ إذ يرتبط لفظ (العدول) في القرآن الكريم بالتحول عن الحق أو تغيير الاتجاه بشكل واضح، كما في قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾، حيث يدل على ترك الحق والاتجاه نحو الباطل، وبذلك يمكن اعتبار الميل مرحلة أولية أو خفيفة من الانحراف، بينما العدول يعبر عن تغيير أكثر وضوحًا وجذرية في الاتجاه أو الموقف.

٥- أن الميل والعدول وإن كان كلاهما يدلان على الانحراف إلا أن الميل يدل على الانحراف دون التشكك في الأمر الممال عنه، أما العدول فهو انحراف عن الحق مع التشكك فيه؛ فإن من يترك الإنفاق على زوجته وإيفاء الحق لها يفعل ذلك ميلًا عنها ورغبة فيها دون تشكك في وجوب هذه الأشياء عليه، أما من يعدل عن عبادة ربه ويشرك به آلهة أخرى فإنه ما فعل ذلك إلا تشككًا وإنكارًا لله ﷻ، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا، والله أعلى وأعلم.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

•المبحث الثاني: الألفاظ غير الصريحة الدالة على الميل والعدول

وردت عدة ألفاظ في القرآن الكريم بمعنى (الميل والعدول)، وقد أحصاها الباحث فوجدها تربو على ثلاثين لفظًا، وقد رتبتها حسب الترتيب الألفبائي، ولكن قبل الشروع في بيان هذه الألفاظ **تجدر الإشارة هنا** إلى أن في بعض الألفاظ التي سأوردها يكون الميل عن الشيء، وفي بعضها الآخر يكون الميل إلى الشيء، يقول الفراهي: "في جميع الألسنة – ولا سيما في لغة العرب – ألفاظ خاصة لأفراد خاصة تحت معنى كلي، والذهول عن هذه الخصوصيات مبعد عن فهم اللسان، مثلًا (الميل) معنى كلي، ثم تحته: الزيغ والجور والارعواء والحيادة والتنحي والانحراف، كلها للميل عن الشيء. والفيء والتوبة والالتفات والصغو كلها للميل إلى الشيء، فمن خبط بينهما ضلّ وأضلّ"(١).

وهذه الألفاظ هي:

١- الإِخْلَاد:

وردت الصيغة الصرفية المزيدة (أ خ ل د) في القرآن الكريم مرتين بصيغة الفعل الماضي في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ﴾[الأعراف: ١٧٦]، وقوله سبحانه: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾[الهمزة: ٣].

ونص بعض اللغويين وأصحاب المعاجم أن الإخلاد يأتي بمعنى الميل إلى الشيء، يقول ابن سيده: "وخَلد إِلَى الأَرْض، وأخلد: أَقَامَ فِيهَا، وَمَال إِلَيْهَا، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿ وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾، وأخلد إِلَى الْأَمر: مَال إِلَيْهِ ورَضِى بِهِ"(٢)، ويقول ابن منظور: "وخَلَدَ إِلى الأَرض وأَخْلَد: أَقام فِيهَا، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:

(١) مفردات القرآن للفراهي ص٢٩٣، تح: محمد أجمل أيوب، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (خ ل د) ١٣٨/٥.

﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، أَي: رَكَنَ إِليها وَسَكَنَ، وأَخْلَد إِلى الأَرض وإِلى فُلَانٍ، أَي: رَكَنَ إِليه وَمَالَ إِليه وَرَضِيَ بِهِ، وَيُقَالُ: خَلَدَ إِلى الأَرض، بِغَيْرِ أَلف، وَهِيَ قَلِيلَةٌ، الْكِسَائِيُّ: خَلَدَ وأَخْلَد وخَلَّد إِلى الأَرض وَهِيَ قَلِيلَةٌ... وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ، يَذُمُّ الدُّنْيَا[1]: «مَنْ دَانَ لَهَا وأَخلد إِليها»، أَي: رَكَنَ إِليها وَلَزِمَهَا"[2].

إذًا فالإخلاد يأتي بمعنى الميل إلى الشيء مع السكون إليه والرضا به والاطمئنان إليه، وهذه المعاني لم تكن غائبة عن أذهان أهل المعاني والمفسرين حين تعرضوا لبيان معنى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، فالطبري يقول في تفسير هذه الآية: "يقول: سكن إلى الحياة الدنيا في الأرض، ومال إليها، وآثر لذتها وشهواتها على الآخرة"[3]، ويقول الواحدي: "وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، قال الفراء: ركن إليها وسكن... قال ابن عباس: ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾، يريد: مال إلى الدنيا، وقال مقاتل: رضي بالدنيا، وقال الزجاج: ولكنه سكن إلى الدنيا"[4].

ومن هذا يتضح أن الإخلاد في الآية بمعنى الميل إلى الأرض، ومن فسره بالركون فهو تفسير بالمرادف؛ لأن الركون من ألفاظ الميل كما سيأتي، ومن فسره بالسكون أو الرضا أو الاطمئنان لم يبعد؛ ذلك لأن الميل يتبعه سكون ورضًا واطمئنان إلى الشيء الممال إليه؛ ولأن "الإخلاد إلى الشيء الميلُ إليه مع

(١) الحديث في النهاية في غريب الحديث والأثر ٦١/٢، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية ببيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.

(٢) لسان العرب (خ ل د) ١٦٤/٣، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٣) جامع البيان للطبري ٢٦١/١٣.

(٤) التفسير البسيط ٤٦٥/٩ – ٤٦٧.

الاطمئنان به"[١]، كما أن "السياق واضح في أن المراد بالإخلاد إلى الأرض هنا هو الرضا بالدونية والركون إليها. فقول ابن عباس﵄: ﴿لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا﴾، أي: لشرّفنا ذكره ورفعنا منزلته لدينا بهذه الآيات التي يعود عليها الضمير في ﴿بِهَا﴾، وهي قوله تعالى في الآية السابقة: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾[الأعراف: ١٧٥]؛ هو الصواب"[٢].

وبناءً عليه فـ (الإخلاد) لفظ يشير إلى الاستقرار والثبات في الميل نحو الدنيا، فهو ميل مع اللزوم والدوام[٣]، بحيث يصبح الشخص متشبثًا بها دون رغبة في التغيير، وهو ما ظهر في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾، حيث يدل الإخلاد على التعلق الشديد بالدنيا والانغماس فيها حتى يصبح ذلك سلوكًا ثابتًا، فهو ميل إلى الدنيا والرغبة فيها وإيثارها على الآخرة، فـ "أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ، أَيْ: رَكَنَ وَمَالَ إِلَى الْأَرْضِ، وَالْكَلَامُ تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُتَلَبِّسِ بِالنَّقَائِصِ وَالْكُفْرِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، بِحَالِ مَنْ كَانَ مُرْتَفِعًا عَنِ الْأَرْضِ فَنَزَلَ مِنِ اعْتِلَاءٍ إِلَى أَسْفَلَ، فَبِذِكْرِ الْأَرْضِ عُلِمَ أَنَّ الْإِخْلَادَ هُنَا رُكُونٌ إِلَى السُّفْلِ، أَيْ: تَلَبُّسٌ بِالنَّقَائِصِ وَالْمَفَاسِدِ"[٤].

ومن هنا يظهر الفرق بين الإخلاد والميل؛ فالأول يدل على حالة أكثر رسوخًا وثباتًا من الميل، حيث يعكس ارتباطًا دائمًا بالمادة أو الدنيا، بينما الميل قد يكون مؤقتًا أو تدريجيًّا دون الوصول إلى حد الالتصاق الكامل.

أما (أخلده) في سورة الهمزة فقد اتفق المفسرون على أنه بمعنى الخلود؛ فلا

(١) إرشاد العقل السليم = تفسير أبي السعود ٢٩٣/٣.
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل (خ ل د) ٥٩٤/١.
(٣) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ٤٦٦/٩.
(٤) التحرير والتنوير ١٧٧/٩.

يدخل معنا في ألفاظ الميل والعدول.

٢- الإلْحَاد:

ورد تركيب (أ ل ح د) ومشتقاته في القرآن سبع مرات بثلاث صيغ، والصيغ التي وردت بها هي:

١- الفعل المضارع: وذلك في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، هي قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ﴾[الأعراف: ١٨٠]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل:١٠٣]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا ۗ﴾[فُصِّلَت: ٤٠].

٢- مصدر الفعل الرباعي (ألحد) في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج:٢٥].

٣- على وزن (مُفْتَعَل) من (التحد)، وذلك في موضعين من القرآن الكريم، هما قوله تعالى: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[الكهف: ٢٧]، وقوله ﷻ: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾[الجن: ٢٢].

وأوضح أصحاب المعاجم وأهل اللغة أن (الإلحاد) في أصل معناه يدل على الميل والعدول، فأرجع ابن فارس دلالته إلى "أصل يدل على ميل عن استقامة، يقال: أَلْحَد الرجل، إذا مال عن طريقة الحق والإيمان، وسمي اللَّحْد؛ لأنه مائل في أحد جَانِبَي الْجَدَثِ، يُقَالُ: لَحَدْتُ الْمَيِّتَ وَأَلْحَدْتُ، وَالْمُلْتَحَدُ: المَلْجَأ، سمي بذلك؛ لأن اللاجئ يميل إليه"(١)، ويقول الخليل: "والرجل يلْتَحِد إلى الشَيء: يلجأُ إليه ويميل، يقال: أَلْحَد إليه ولَحَدَ إليه بلسانه أيْ: مال... وأَلْحَد في الحَرَم – ولا يقال:

(١) مقاييس اللغة (ل ح د) ٥/٢٣٦.

لَحَدَ – إذا تَرَكَ القَصد ومال إلى الظلم"[١]، ويقول ابن الأثير: "وَأَصْلُ الإِلْحاد: المَيْل والعُدول عَنِ الشَّيْءِ"[٢].

إذًا فلفظ الإلحاد يدل في أصل معناه اللغوي على الميل عن الاستقامة والحق، وقد ذكر ذلك أيضًا أصحاب التفاسير وأهل المعاني، فبينوا أن الإلحاد في النص القرآني يدل على الميل عن الحق والعدول عنه فيما يتعلق بأسماء الله تعالى، أو بيته الحرام، أو بآياته الكريمة في دلالتها أو فيمن تنزلت عليه، فنقل الماتريدي عن ابن عباس قوله: "الإلحاد: الميل في جميع القرآن"[٣]، وقالوا في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾: "واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الأسماء الحسنى، وذلك أن يسموه بما لا يجوز عليه"[٤]، وبينوا معنى الإلحاد في أسماء الله تعالى فقالوا: "إلحادهم في أسماء الله ﷻ: أنهم عدلوا بها عمّا هي عليه، فسموا بها أوثانهم، وزادوا فيها ونقصوا منها، فاشتقوا اللات من الله، والعُزَّى من العزيز، ومناة من المنّان"[٥]، إذًا فالإلحاد في أسماء الله أنواع، يجمعها أن نقول: إن الإلحاد فيها الميل بها عما يجب اعتقاده فيها، والتوقف عند ما ورد فيها من أسماء توقيفية، فلا ينكر شيء من هذه الأسماء، ولا أن يسمَّى الله بأسماء لم يسمِّ بها نفسه، ولا أن يشتق من أسماء الله تعالى أسماء الأصنام، كاشتقاق اللات من الله، والعُزَّى من العزيز، ومَنَاة من المنَّان.

---

(١) العين (ل ح د) ١٨٢/٣، ١٨٣.

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٣٦/٤.

(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٩٩/٥.

(٤) الكشاف ١٨٠/٢.

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٦٠٨/١٢.

وبعد أن ذكر الطبري الأقوال المتعددة في معنى ﴿يُلۡحِدُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآ﴾ قال: "وكل هذه الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك فهي قريبات المعاني؛ وذلك أن اللحد والإلحاد: هو الميل، وقد يكون ميلًا عن آيات الله، وعدولًا عنها بالتكذيب بها، ويكون بالاستهزاء مكاء وتصدية، ويكون مفارقة لها وعنادًا، ويكون تحريفًا لها وتغييرًا لمعانيها، ولا قول أولى بالصحة في ذلك مما قلنا، وأن يعم الخبر عنهم بأنهم ألحدوا في آيات الله، كما عمّ ذلك ربنا تبارك وتعالى"(١)، واتفق معه ابن عطية الذي قال: "واختلف المفسرون في الإلحاد الذي أشير إليه ما هو؟ فقال قتادة وغيره: الإلحاد بالتكذيب، وقال مجاهد وغيره: الإلحاد بالمكاء والصفير واللغو الذي ذهبوا إليه، وقال ابن عباس: إلحادهم هو أن يوضع الكلام غير موضعه، ولفظة الإلحاد تعم هذا كله"(٢).

ولكن ما السر في العدول عن تعدية لفظ (يلحدون) في الآيتين السابقتين بـ (إلى) إلى التعدية بـ (في)؟ يجيب الطاهر بن عاشور عن ذلك فيقول: "والإلحاد: الميل عن وسط الشيء إلى جانبه، وإلى هذا المعنى ترجع مشتقاته كلها، ولما كان وسط الشيء يشبه به الحق والصواب استتبع ذلك تشبيه العدول عن الحق إلى الباطل بالإلحاد، فأطلق الإلحاد على الكفر والإفساد، ويعدى حينئذٍ بـ (في) لتنزيل المجرور بها منزلة المكان للإلحاد، والأكثر أن يكون ذلك عن تعمد للإفساد"(٣).

وقالوا أيضًا في قوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيٌّ﴾: إن معناه: "لسان الرجل الذي يميلون قولهم عن الاستقامة إليه لسان أَعْجَمِيٌّ غير

(١) جامع البيان للطبري ٤٧٨/٢١.
(٢) المحرر الوجيز ١٨/٥.
(٣) التحرير والتنوير ١٨٩/٩.

بين"[١].

واتفقوا على أن معنى (الإلحاد) في قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج: ٢٥] هو الميل، ولكن اختلفوا في تفسير هذا الإلحاد أو الميل إلى ثمانية أقوال[٢]، ولكن أكثرهم رجح أن يكون الإلحاد في الآية لفظ عام يشمل كل المعاصي، يقول الطبري بعد سرد الأقوال التي قيلت في تفسير (الإلحاد) في الآية: "وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب؛ القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس، من أنه معنيّ بالظلم في هذا الموضع كلّ معصية لله؛ وذلك أن الله عمَّ بقوله: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ﴾، ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل، فهو على عمومه، فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم، فيعصي الله فيه نذقه يوم القيامة من عذاب موجع له"[٣].

وتعددت أقوالهم في تفسير قوله تعالى: ﴿مُلْتَحَدًا﴾[الكهف: ٢٧]، [الجن: ٢٢]، فقد "قال مجاهد: ملجأ، وقال الفراء: الملتحد: الملجأ، وقال أبو عبيدة: معدلًا، وقال الزجاج: أي: لن تجد معدلًا عن أمره ونهيه"، وقال الواحدي بعد أن ذكر هذه الأقوال: "وأصل هذا الحرف: من الميل، ومن قال: ملجأ فهو يؤول إلى هذا المعنى أيضًا؛ لأنك إذا لجأت إلى شيء فليس يكون إلا بالميل منك إليه"[٤].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن الزمخشري وأبا حيان قد جعلا دلالة هذا اللفظ على الميل في الأمور الحسية هو الدلالة الحقيقية، ثم كانت دلالته على الميل في

(١) الكشاف ٦٣٥/٢.

(٢) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢١٧/٢٣، ٢١٨، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٤/١٢.

(٣) جامع البيان للطبري ٦٠٢/١٨.

(٤) التفسير البسيط للواحدي ٥٩٨/١٣.

الأمور المعنوية عن طريق الاستعارة، يقول الزمخشري: "يُقَالُ: أَلْحَدَ الْقَبْرَ ولحده، فهو ملحد وملحود إذا أَمَالَ حَفْرَهُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ فَحَفَرَ فِي شِقٍّ مِنْهُ، ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِكُلِّ إِمَالَةٍ عَنِ اسْتِقَامَةٍ، فَقَالُوا: أَلْحَدَ فُلَانٌ فِي قَوْلِهِ، وَأَلْحَدَ فِي دِينِهِ؛ لِأَنَّهُ أَمَالَ دِينَهُ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، لم يُمِلْهُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ"(١).

إذًا فـ (الإلحاد) في أصل معناه يدل على الميل والعدول، وهو المعنى الذي ترجع إليه مشتقات هذا اللفظ كلها، فيقال منه: اللحد لأنه مائل في أحد الجانبين، ودلالة لفظ (الإلحاد) على هذا المعنى الحسي هي الدلالة الأصلية له كما قال الزمخشري، وأبو حيان، ثم يستعار للدلالة على معانٍ أخرى ترجع إلى هذا المعنى الجامع، فيقال منه: الْمُلْحِد؛ لأنه أمال مذهبه عن الأديان كلها لم يمله عن دين إلى دين آخر، والملتحد: الملتجأ؛ لأنه الجانب الذي يمال إليه.

وفي حقيقة الأمر فإن أصوات هذه المادة (ل ح د) تدل على هذا الميل والانحراف، فاللام بما فيها من انحراف وجانبية –حيث يوصف صوت اللام بأنه منحرف جانبي–؛ للإيحاء بالانحرافات عن الجادة، ومجانبة الصواب.

ويكمن الفرق بين لفظي (الإلحاد) و(العدول) من جهة ولفظ (الميل) من جهة أخرى في النص القرآني في أن (الميل) انحراف بلا تشكك، أما الإلحاد والعدول انحراف معه تشكك، فالإلحاد في أسماء الله الحسنى وآياته ونبيه انحراف عن هذه الأشياء مع التشكك فيها، وكذلك الميل قد يكون إلى الخير وإلى الشر، أما الإلحاد فلا يستعمل إلا في الشر، ومن هنا يمكن عدّ الإلحاد انحرافًا أكثر جذرية عن الحق، بينما الميل قد يكون جزئيًّا أو تدريجيًّا دون الوصول إلى حد القطيعة التامة أو التغيير الجذري.

(١) الكشاف ٢/٦٣٥.

٣- التَّحَرُّف والتَّحْرِيف:

وردت مادة (ح ر ف) في القرآن الكريم ست مرات بثلاث صيغ، هي:

١- الفعل المضارع: وذلك في أربعة مواضع من القرآن الكريم، هي قوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: ٧٥]، وقوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء: ٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ١٣]، وقوله ﷻ: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ٤١].

٢- صيغة اسم الفاعل من الفعل الخماسي تحرَّف: وذلك مرة واحدة في القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾[الأنفال: ١٦].

٣- مصدر الفعل المجرد حَرَف: في موضع واحد في القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ﴾[الحج: ١١].

وأرجع أصحاب المعاجم معنى مادة (ح ر ف) إلى التغيير والتبديل، والميل، والطرف، وقد جعل ابن فارس دلالة لفظ (حرف) على العدول والميل أحد ثلاثة معانٍ ورد لها هذا اللفظ، فقال: "الْحَاءُ وَالرَّاءُ وَالْفَاءُ ثَلَاثَةُ أُصُولٍ: حَدُّ الشَّيْءِ، وَالْعُدُولُ، وَتَقْدِيرُ الشَّيْءِ..... وَالْأَصْلُ الثَّانِي: الِانْحِرَافُ عَنِ الشَّيْءِ يُقَالُ: انْحَرَفَ عَنْهُ يَنْحَرِفُ انْحِرَافًا. وَحَرَّفْتُهُ أَنَا عَنْهُ، أَيْ: عَدَلْتُ بِهِ عَنْهُ؛ وَلِذَلِكَ يُقَالُ: مُحَارَفٌ، وَذَلِكَ إِذَا حُورِفَ كَسْبُهُ فَمِيلَ بِهِ عَنْهُ، وَذَلِكَ كَتَحْرِيفِ الْكَلَامِ، وَهُوَ عَدْلُهُ عَنْ جِهَتِهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾....."[(١)]، ويقول الجوهري: "حرف

(١) مقاييس اللغة (ح ر ف) ٤٢/٢، ٤٣.

كل شيء: طرفه وشَفيرُهُ وحَدُّهُ، ومنه حَرْفُ الجبل، وهو أعلاه المُحَدَّدُ... وتحريف الكلام عن مواضعه: تغييرُه، وتحْريفُ القلمِ: قَطُّهُ مُحَرّفًا، ويقال: انْحَرَفَ عنه وتحرّفَ واحرورف، أي: مال، وعدل"(١)، ويقول ابن سيده: "وحَرْفُ الشَّيْء: ناحيته، وَفُلَان على حَرْفٍ من أمره: أَي نَاحيَة مِنْهُ، إِذا رأى شَيْئًا لَا يُعجبهُ عدل عَنهُ، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾، أَي: إِذا رأى مَا لَا يحب انْقَلب على وَجهه..... وحَرَفَ عَن الشَّيْء يَحْرِفُ حَرْفا وانحَرَف وتحَرَّفَ واحْرَوْرَفَ: عَدَل، وقلم مُحَرَّفٌ: عُدِل بِأحد حَرْفَيْهِ على الآخر... والتَّحرِيفُ فِي الْقُرْآن والكلمة: تَغْيِير الحرْفِ عَن مَعْنَاهُ، وَهِي قريبَة الشّبَه، وَفِي التَّنْزِيل: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾"(٢).

وبناءً عليه فقد ذكر أصحاب المعاجم أن مادة (ح ر ف) تدل على التغيير والتبديل، والطرف، ويمكن ردّ هذه المعاني إلى معنى الميل والعدول، فتغيير وتبديله الشي ميل وعدول به إلى غير الوجه الذي كان عليه، وكذلك يمكن رد معنى حد الشيء أو طرفه إلى الميل أيضًا؛ لأننا إذا أمَلْنا الشيء على غير جهته التي كان عليها – وهي وسطه – فقد جعلناه في طرفه، يقول الطاهر بن عاشور عند تفسيره قوله تعالى: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: "والتحريف: الميل بالشيء إلى الحرف وهو جانب الشيء وحافته... وهو هنا مستعمل في الميل عن سواء المعنى وصريحه إلى التأويل الباطل"(٣).

ولم تكن هذه المعاني التي ذكرها المعجميون غائبة عن أذهان المفسرين وأهل المعاني وهم يفسرون مادة (ح ر ف) ومشتقاتها التي وردت في القرآن الكريم، يقول الراغب: "وتَحريفُ الشيء: إمالته، كتحريف القلم، وتحريف الكلام: أن تجعله على

(١) الصحاح (ح ر ف) ١٣٤٢/٤، ١٣٤٣.
(٢) المحكم (ح ر ف) ٣٠٧/٣.
(٣) التحرير والتنوير ٧٥/٥، و١٤٣/٦.

حرفٍ من الاحتمال يمكن حمله على الوجهين، قال ﷻ: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾[النساء: ٤٦]، و ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾[المائدة: ٤١]...."[١]، ويقول الرازي: "التحريف: التغيير والتبديل، وأصله من الانحراف عن الشيء والتحريف عنه، قال تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ﴾[الأنفال: ١٦]، والتحريف: هو إمالة الشيء عن حقه، يقال: قلم محرَّف إذا كان رأسه قط مائلًا غير مستقيم"[٢].

ويبدو من هذه الأقوال – وقبلها أقوال اللغويين – أن الأصل في هذه الكلمة الدلالة على المحسوس، فالأصل فيها من تحريف القلم، إذا عُدل بأحد طرفيه عن الآخر، ثم انتقلت دلالته إلى الدلالة على المجرَّد.

وقال المفسرون في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ﴾: إن معناه: "ثم يبدلون معناه وتأويله ويغيرونه، وأصله من انحراف الشيء عن جهته، وهو ميله عنها إلى غيرها، فكذلك قوله: ﴿يُحَرِّفُونَهُۥ﴾، أي: يميلونه عن وجهه ومعناه الذي هو معناه إلى غيره"[٣]، ويقول الزمخشري في تفسير قوله تعالى: ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾: "يميلونه عنها ويزيلونه؛ لأنهم إذا بدلوه ووضعوا مكانه كَلِمًا غيره فقد أمالوه عن مواضعه التي وضعها اللَّه فيها، وأزالوه عنها"[٤]، واتفق معه البيضاوي[٥]، والنحاس[٦].

وعن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾ يقول أبو حفص النسفي: "وقوله

(١) المفردات في غريب القرآن (ح ر ف) ص٢٢٩.
(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣/٥٦٠.
(٣) جامع البيان للطبري ٢/٢٤٨، ٢٤٩.
(٤) الكشاف ١/٥١٦.
(٥) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/٧٧، و ٢/١٢٧.
(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/١٠٢، و ٢/١٢٧.

تعالى: ﴿إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ﴾: أي: مائلًا، يقال: تحرَّف وانحرف؛ أي: مال إلى جانبٍ، والحرف: الجانب"(١)، وفسره الواحدي بمعناه اللغوي فقال: "معنى التحرف في اللغة: الزوال عن جهة الاستواء، يقال: تحرف وانحرف واحرورف"(٢)، ويكاد يكون هذا المعنى هو الذي ورد عند كثير من المفسرين بعد الواحدي، فاتفق معه القرطبي في تفسير اللفظ بنصه(٣)، وهو عند الشوكاني كذلك إلا أنه أضاف أن "الْمُرَاد بِهِ هُنَا: التَّحَرُّفُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ فِي الْمَعْرَكَةِ؛ طَلَبًا لمكايد الحرب وخدعًا لِلْعَدُوِّ، وَكَمَنَ يُوهِمُ أَنَّهُ مُنْهَزِمٌ لِيَتْبَعَهُ الْعَدُوُّ فَيَكِرَّ عَلَيْهِ وَيَتَمَكَّنَ مِنْهُ"(٤)، وهو المعنى نفسه عند الألوسي الذي أضاف معنى جديدًا، فقال: "التحرف: الزوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحرف، ومنه الاحتراف وهو أن يقصد جهة من الأسباب طالبًا فيها رزقه"(٥).

إذًا فالتحرف هو الزوال عن الاستواء، وما دام قد زال عن الاستواء فقد مال أو عدل عن الوسط، وهذه التفاسير كلها بمعنى واحد، وهي تجمع على أن التحرف في الآية الكريمة هو الميل والعدول، ولا ضير في التعبير بالزوال بدلًا من التعبير بالميل والعدول، فكلها ألفاظ مترادفة؛ فقد قال ابن سيده: "الزَّيْغُ والعُدُولُ والزَّوَالُ سَواءٌ"(٦).

و﴿حَرْفٍ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ بمعنى "ميل،

(١) التيسير في التفسير ١٦٢/٧، تح: ماهر أديب حبوش وآخرين، ط: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، اسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ. ٢٠١٩م.
(٢) التفسير البسيط للواحدي ٦٢/١٠.
(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٨٣/٧.
(٤) فتح القدير للشوكاني ٣٣٦/٢.
(٥) روح المعاني للألوسي ١٦٩/٥.
(٦) المخصص ٣٧٥/٢.

أو متحرفًا بين الإيمان والكفر"[١]، وقال الزجاج: "جاء في التفسير: على شَكٍّ، وحقيقتُه أنَّه يعبدُ اللَّه على حَرْفِ الطريقَةِ في الدِّينِ، لا يدخل فيه دخول متمكن"[٢]، وقد ذكر البحث من قبل أن معنى الحرف أو الطرف يرجع إلى الميل والعدول، ويقول الواحدي تأكيدًا لذلك: "أصل الحرف من الميل، سمي الطرف حرفًا لميله عن الوسط... وقال المبرد: والعرب تقول: فلان على حرف، إذا كان بين قوم يظهر الميل إلى أحدهم وفي نفسه من الآخرين شيء"[٣]، وقد جعل الزجاج ذلك من قبيل عدم التمكن في الدين فيكون منه على طرف، وفسره بعض المفسرين بالشرط، أي: "يعبده على شرط الإعطاء؛ يقول إن أعطاني أَملي عبدْتُه، وإن لم يعطني ذلك لم أعبُدْه؛ تكون عبادته على هذا الشرط، وقَالَ بَعْضُهُمْ: ﴿يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾، أي: على حال واحدة، وعلى جهة واحدة، ليس يعبده على حالين كالمؤمن يعبده في حالين جميعًا: حالة الظاهر، وحالة الباطن، وحالة الضراء والسراء، وحالة السعة والشدة على ما تعَبَّدَه اللَّه"[٤]، وعلى كلا القولين فإن لفظ (الحرف) في الآية يمكن رده أيضًا إلى الميل؛ فإن من عبد الله على هذه الحالة فقد مال إليها ورضي بها، فإن حدث عكسها مال إلى عدم عبادته سبحانه، ويكون قوله تعالى: ﴿يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ "تَمْثِيلٌ لِحَالِ الْمُتَرَدِّدِ فِي عَمَلِهِ، يُرِيدُ تَجْرِبَةَ عَاقِبَتِهِ بِحَالِ مَنْ يَمْشِي عَلَى حَرْفِ جَبَلٍ أَوْ حَرْفِ وَاد فَهُوَ متهيّئ لِأَنْ يَزِلَّ عَنْهُ إِلَى أَسْفَلِهِ فَيَنْقَلِبَ، أَيْ يَنْكَبَّ"[٥].

---

(١) تفسير العز بن عبد السلام ٣٤٦/٢، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط: دار ابن حزم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤١٤/٣.

(٣) التفسير البسيط للواحدي ٢٨٥/١٥، ٢٨٦.

(٤) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٣٩٦/٧.

(٥) التحرير والتنوير ٢١٢/١٧.

إذًا فالتحريف والتحرف من ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم، غير أن الفرق بينهما يكمن في أن الميل انحراف حسي، أما التحريف والتحرف فميل مادي أو معنوي كما في تحريف اليهود للتوراة، أو التحرف في القتال، وعبادة الله على حرف كذلك على ما بينه البحث سابقًا.

٤- الجنف:

وردت مادة (ج ن ف) ومشتقاتها في القرآن الكريم في موضعين بصيغتين مختلفتين، هما:

١- مصدر الفعل جَنِف، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة: ١٨٢].

٢- اسم الفاعل من الفعل تجانف، وذلك في قوله ﷻ: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[المائدة: ٣].

وبتتبع هذه المادة في معاجم اللغة يتضح أنها ترجع إلى أصل واحد هو الميل، وهو ما أصَّل به ابن فارس لهذه المادة، فقال: "الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَيْلُ، يُقَالُ: جَنِفَ: إِذَا عَدَلَ وَجَارَ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى جَلَّ ثَنَاؤُهُ: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾[البقرة: ١٨٢]. وَرَجُلٌ أَجْنَفُ: إِذَا كَانَ فِي خَلْقِهِ مَيْلٌ، وَيُقَالُ: لَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي الطُّولِ وَالِانْحِنَاءِ. وَيُقَالُ: تَجَانَفَ عَنْ كَذَا، إِذَا مَالَ، قَالَ[(١)]:

تَجَانَفُ عَنْ جُلِّ الْيَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا عَدَلَتْ عَنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا[(٢)].

ويقول الخليل: "الجَنَف: المَيلُ في الكلام، وفي الأمور كُلِّها، تقول: جَنَفَ فلانٌ

(١) من الطويل، وهو للأعشى في ديوانه ص٨٩، شرح وتعليق: د. محمد حسين، ط: مكتبة الآداب بالجماميز، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م.

(٢) مقاييس اللغة (ج ن ف) ٤٨٦/١.

علينا، وأجنَفَ في حُكمه، وهو شبيهٌ بالحَيفِ، إلا أنَّ الحَيفَ من الحاكِم خاصَّةً، والجَنَفُ عامٌ"[١]، ويقول الخطابي: "الجنف: العدول عن الحق، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾، ويقال: أَجْنَفَ القاضي في حكمه، وجَنَف أيضًا، والأولى أفصح"[٢]، ويقول ابن سيده: "وجَنِف عَلَيْهِ جَنَفًا، وأَجْنَف: مَال عَلَيْهِ فِي الحكم، وَالْخُصُومَة، وَالْقَوْل، وَغَيرهَا"[٣]، ويقول ابن الأثير: "يُقَالُ: جَنَفَ وأَجْنَفَ: إِذَا مَال وجَار... وَقِيلَ: الجَانِف يَخْتصُّ بالوَصِيَّة، والمُجْنِف المَائِل عَنِ الحقِّ"[٤]، ويقول الزمخشري: "التجانف: الْميل، والجنف والإجناف كَذَلِك"[٥]، ويقول الصغاني: "الجَنَفُ بالتحريك، والجنوف: المَيْل والجَوْر والعُدُول، ومنه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾، وقد جنِف بالكسر... وأجنف: مال، مثل جَنِف... والتركيب يدل على المَيْل والمَيَل"[٦]، ويقول الكفوي: "وجنِف كـ (فَرِح) فِي مُطلق الْميل عَن الْحق، وأجنف: مُخْتَصّ بِالْوَصِيَّةِ"[٧].

ولقد أكثرت من نصوص معاجمنا اللغوية في بيان معنى الجنف؛ لنقف على هذا اللفظ وصيغه الواردة فيه؛ لأنه بنظرة فاحصة فيها يتبين لنا أنها قد اتفقت على

(١) العين (ج ن ف) ١٤٣/٦.

(٢) غريب الحديث ٤٥/٣، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، ط: دار الفكر بدمشق، طبعة سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.

(٣) المحكم (ج ن ف) ٤٥٤/٧.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٣٠٧/١.

(٥) الفائق في غريب الحديث والأثر ٢٣٩/١، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة بلبنان، الطبعة الثانية.

(٦) العباب الزاخر واللباب الفاخر حرف الفاء ص٧١: ٧٣، تح: محمد حسن آل ياسين، ط: دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨١م.

(٧) الكليات ص٣٥٦، تح: عدنان درويش ـ محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة ببيروت.

أن الجنف الميل، ولكنها ذكرت لذلك المعنى صيغتين، هما: (جنف)، و(أجنف)، وقد اختلفوا فيما بينهم في تحديد معنى كل منهما، فذكر بعضهم – كالخليل، والخطابي، والكفوي – أن (جنف) الميل المطلق، و(أجنف) مخصوص بالحكم كما ذكر، أو الوصية كما ذكر الكفوي، وقد عكس ابن الأثير ذلك، فحكى أن (جنف) مختص بالوصية، و(أجنف) بالميل عن الحق، وذكر البعض الآخر منهم – كابن فارس، وابن سيده، والزمخشري، والصغاني – أن الصيغتين بمعنى واحد، وهو مطلق الميل، فيكون في الحكم، والخصومة، والقول، وغيرها، ومثل هاتين الصيغتين صيغة (تجانف).

ولكن من الممكن أن يرد على من قال بأن (أجنف) خاص بالوصية أن القرآن استعمل الجنَف، لا الإحناف في الوصية، وعليه يكون الرأي الذي ذكره ابن الأثير هو الرأي الأقرب إلى الصواب بناءً على الاستعمال القرآني لهذا اللفظ، أما رأي ابن فارس ومن وافقه في أن الجنف والإجناف والتجانف بمعنى واحد، وهو الميل العام؛ فربما كان ذلك احتكامًا إلى استعمال العرب لهذه الألفاظ الثلاثة، أما بالاحتكام إلى الاستعمال القرآني لهذه الألفاظ فيكون الجنف في الوصية.

ولكن الأصوب من ذلك أن يقال: إن الجنف والإجناف والتجانف الميل، مأخوذ من قولهم: رجلٌ أَجْنَف: إذا كان فِي أَحَدِ شِقَّيْه مَيَلٌ على الآخر[١]، ثم اتسعت دلالته فأصبح يدل على الميل عن الحق الواجب أو المحدود، ثم يتفرع عن ذلك الميل في الوصية، وفي الحكم، وغيرها.

وهذه الاختلافات بين هذه الألفاظ الثلاثة لم تكن غائبة عن أذهان المفسرين وأهل المعاني عند تعرضهم لمعنى هذه الألفاظ، ولكن بقي المعنى الجامع

(١) ينظر (ج ن ف) في: العين، تهذيب اللغة، والمحيط في اللغة، والمحكم، ولسان العرب، والتاج.

أو الأصل الذي أرجعوا إليه هذه الألفاظ هو الميل، يقول الراغب: "أصل الجَنَف ميل في الحكم، فقوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾، أي: ميلًا ظاهرًا، وعلى هذا: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾، أي: مائل إليه"(١).

وقد قال المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾: "أولى الأقوال في تأويل الآية أن يكون تأويلها: فمن خاف من مُوصٍ جَنفًا أو إثمًا، وهو أن يميل إلى غير الحق خطأ منه، أو يتعمد إثمًا في وصيته... فمعنى الكلام: من خاف من موصٍ جَنفًا له بموضع الوصية، وميلًا عن الصواب فيها، وجورًا عن القصد، أو إثمًا بتعمده ذلك على علم منه بخطأ ما يأتي من ذلك فأصلح بينهم فلا إثم عليه"(٢)، ومعنى هذا أنهم قد فسروا (الجنف) في الآية بالميل عن الحق بطريق الخطأ، والإثم بتعمد ذلك، وقد اختار هذا كثير من المفسرين يقول الرازي: "والفرق بين الجنف والإثم؛ أن الجنف هو الخطأ من حيث لا يعلم به، والإثم هو العمد"(٣)، ويوضح الجصاص مرادهم بتفسير الجنف بالخطأ فيقول: "الْجَنَفُ: الْمَيْلُ عَنْ الْحَقِّ، وَقَدْ حَكَيْنَا عَنْ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ أَنَّهُ قَالَ: الْجَنَفُ: الْخَطَأُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُرَادُهُ: الْمَيْلَ عَنْ الْحَقِّ عَلَى وَجْهِ الْخَطَأ، وَالْإِثْمُ مَيْلُهُ عَنْهُ عَلَى وَجْهِ الْعَمْدِ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ مُسْتَقِيمٌ"(٤).

وهذا الميل مع عدم التعمد هو ما فسروا به قوله تعالى: ﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾، فقالوا: "﴿غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ﴾ يعني: غير متعمد المعصية لأكله فوق

(١) المفردات في غريب القرآن (ج ن ف) ص٢٠٧.

(٢) جامع البيان للطبري ٣/٤٠٣: ٤٠٦.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٥/٢٣٧، وينظر: تفسير الثعلبي ٤/٣٨٨.

(٤) أحكام القرآن ١/٢٠٩، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية ببيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى١٩٩٤م.

الشبع، وأصل الجنف الميل، وقال الزجاج: يعني غير متجاوز للحد، وغير آكل لها على وجه التلذذ فلا إثم عليه في أكله"[١]، وهو ما قال به البيضاوي أيضًا[٢].

ومما سبق يتبين لنا أن الجنف والإجناف والتجانف تستعمل في الميل عن الحق الواجب والحد المرخص به، ويكون منه الجور في الوصية، والميل عن الإنصاف في الحكم، وقد قيده كثير من المفسرين واللغويين أيضًا بالميل الخطأ الذي لا يكون عن عمد، وعليه يكون لفظ الجنف من ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم إلا أن الفرق بين الجنف والميل يكمن في أن أولهما يستعمل في الانحراف عن الحق الواجب والحد المسموح به، فهو ميل غير متوازن يؤدي إلى ظلم أو تحيز، ويكون ذلك في الحكم، والوصية، وغيرهما، وثانيهما يستعمل في الميل القلبي كما سبق أن أشرنا، كما أن الجنف انحراف عن الحق عن غير عمد، أو بطريق الخطأ، أما الميل فيكون عن عمدٍ غالبًا.

٥- الجُنُوح:

وردت مادة (ج ن ح) ومشتقاتها في ست صيغ، هي:

١) الماضي «جَنَح».

٢) الأمر منه: وهاتان الصيغتان قد وردتا في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾[الأنفال: ٦١].

٣) على وزن (فُعَال) «جُنَاح» بضم الجيم، وجاء ورودها أربعًا وعشرين مرة؛ عشر مرات في سورة البقرة، وخمس مرات في سورة النساء، ومرة واحدة في سورة المائدة، وأربع مرات في سورة النور، وثلاث مرات في سورة الأحزاب، ومرة واحدة في سورة الممتحنة.

(١) بحر العلوم ١/٣٧٠.

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/١١٥.

٤) على وزن (فَعال) «جَناح» بفتح الجيم، وتكرر ورودها خمس مرات: في سورة الإسراء، وسورة الحجر، وسورة طه، وسورة الشعراء، وسورة القصص.

٥) مثنى «جَناح»: وقد جاء مرة واحدة في سورة الأنعام.

٦) جمع «جَناح»: وقد ورد في موضع واحد في سورة فاطر.

وقد اختلفت الدلالات السياقية لمادة «جنَح» ومشتقاتها في القرآن الكريم، إلا أننا إذا أعدنا النظر في كتب اللغة والتفسير والمعاني وغيرها وجدنا أن اللغويين والمفسرين وأهل المعاني قد أدركوا أن هناك معنىً دلاليًا واحدًا يجمع بين الكلمة ومشتقاتها في النص القرآني، وهذا المعنى هو الميل، يقول ابن فارس: "الْجِيمُ وَالنُّونُ وَالْحَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدْوَانِ. وَيُقَالُ: جَنَحَ إِلَى كَذَا، أَي: مَالَ إِلَيْهِ. وَسُمِّيَ الْجَنَاحَانِ جَنَاحَيْنِ؛ لِمَيْلِهِمَا فِي الشِّقَّيْنِ. وَالْجُنَاحُ: الْإِثْمُ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِمَيْلِهِ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ"(١)، ووافقه في ذلك أبو هلال العسكري الذي قال: "الجناح: أصله الميل، ومنه قيل: جنحت السفينة، أي: مالت، وقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، وسمي الإثم جناحًا؛ لأنه ميل إلى هوى النفس، وجنح الليل حين يميل، وقيل: حين تميل الشمس للمغيب، ومنه جناح الطائر؛ لأنها في جانبيه ما يلين عن سواء جنبك"(٢).

فبالنسبة للفظ (الجُناح) بَيَّن المفسرون وأهل المعاني أن معناه حيثما وقع في القرآن الكريم دلَّ على الميل الذي هو أصله اللغوي، يقول الزجاج: "والجُناح أُخِذَ من جَنَح: إِذَا مال وعدل عن القصد"(٣)، ويقول في موضع آخر: "الجناح: الإثم،

(١) مقاييس اللغة (ج ن ح) ١/ ٤٨٤.

(٢) الوجوه والنظائر ص١٦٤، تح: محمد عثمان، ط: مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.

(٣) معاني القرآن وإعرابه ٢٣٤/١.

وتأويله من جنحت: إذا عدَلْتُ عن المكان أي أخَذْتُ جانبًا عن القَصْد، فتأويل: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[النساء: ١٠٢]، أي: لا تَعدلون عن الحق إن وضَعتم أسْلِحتكم"(١)، ثم اختلفوا في كيفية الميل المستفادة من لفظ (الجُناح) في النص القرآني على النحو الذي بَيَّنَه الرازي بقوله: "... فَثَبَتَ أَنَّ أَصْلَهُ مِنَ الْمَيْلِ، ثُمَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ بَقِيَ فِي عُرْفِ الْقُرْآنِ كَذَلِكَ أَيْضًا، فَمَعْنَى لَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَيْنَمَا ذُكِرَ فِي الْقُرْآنِ: لَا مَيْلَ لِأَحَدٍ عَلَيْهِ بِمُطَالَبَةِ شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: بَلْ هُوَ مُخْتَصٌّ بِالْمَيْلِ إِلَى الْبَاطِلِ وَإِلَى مَا يَأْثَمُ بِهِ"(٢)، ويقول ابن العربي: "الْجُنَاحُ فِي اللُّغَةِ عِبَارَةٌ عَنْ الْمَيْلِ كَيْفَمَا تَصَرَّفَ، وَلَكِنَّهُ خُصَّ بِالْمَيْلِ إلَى الْإِثْمِ، ثُمَّ عُبِّرَ بِهِ عَنْ الْإِثْمِ فِي الشَّرِيعَةِ"(٣)، ووافقه في ذلك الراغب(٤)، وأبو حيان(٥).

ويفهم من كلام ابن العربي والراغب وأبي حيان أن الجناح في اللغة الميل مطلقًا، ثم خصص بالميل إلى الإثم، ثم أطلق على الإثم، ومعنى هذا أن الجناح بمعنى الإثم كان خاصًّا بالميل عن الحق أو إلى الإثم، ثم عمم ليشمل كل إثم سواء كان فيه ميل أم لا، إذًا فقد حدث تطوران دلاليان في هذا اللفظ بانتقال لفظ الجناح أولًا من الدلالة على الميل عمومًا إلى الدلالة على الميل إلى الإثم أو الميل عن الحق، ثم توسع فيه بانتقاله من الدلالة على الميل إلى الإثم إلى دلالته على الإثم مطلقًا سواء كان معه ميل أم لا.

وبالنسبة للفظ (الجَناح) يقول القرطبي: "وَالْجَنَاحُ أَحَدُ نَاحِيَتَيِ الطَّيْرِ الَّذِي

(١) معاني القرآن وإعرابه ٩٩/٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ١٣٧/٤.

(٣) أحكام القرآن ٦٩/١، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.

(٤) المفردات في غريب القرآن (ج ن ح) ص٢٠٦، ٢٠٧.

(٥) البحر المحيط ٦٢/٢.

يَتَمَكَّنُ بِهِ مِنَ الطَّيَرَانِ فِي الْهَوَاءِ، وَأَصْلُهُ الْمَيْلُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ النَّوَاحِي، وَمِنْهُ جَنَحَتِ السَّفِينَةُ: إِذَا مَالَتِ إِلَى نَاحِيَةِ الْأَرْضِ لَاصِقَةً بِهَا فَوَقَفَتْ"(١).

ولا يتسع المقام لذكر كل الآيات والسياقات التي تمثل مجيء لفظ (جنح) للدلالة على الميل والعدول، ولكن نكتفي بذكر آية واحدة أجمع العلماء على أن المراد بصيغة (جنح) فيها هو الميل، وهي قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، فقد ذكروا أن معناه: وإن مالوا إلى الصلح فمِلْ إليه، ويقال منه: جَنَحَ الرَّجُلُ إِلَى كَذَا يَجْنَحُ إِلَيْهِ جُنُوحًا وهي لتميم، وقيس تقول: «يجنُح» بضم النون، وآخرون: يقولون: «يَجْنِح» بكسر النون، وذلك إذا مال، ومنه قول النابغة(٢):

جَـــوَانِحَ قَـــدْ أَيْقَـــنَّ أَنَّ قَبِيلَـــهُ إِذَا مَـا التَقَـى الجمْعَـانِ أَوَّلُ غَالِـبِ

أي: مَوَائِل(٣).

مما سبق يتضح لنا أن صيغة (جنح) ومشتقاتها قد وردت في القرآن الكريم بمعنى عام ترجع إليه الكلمة وما تصرف منها وهو الميل، فالجُناح حملت معنى الإثم؛ لأنها تعني الميل عن الصواب، وجناح الطائر سمّي بذلك؛ لأنّه يميله حيثما يشاء، وجانب الإنسان سمي جَناحًا؛ لأنه مستعار من جناح الطائر، ثم وردت هذه الصيغة بمعانٍ بلاغية مستعارة ترتبط بهذا المعنى الكلي كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ ﴾[الإسراء: ٢٤] فهو استعارة، وعليه كان لفظ (جنح) من ألفاظ (الميل والعدول) في القرآن الكريم، وأما الفرق بين الجنوح والميل فهو أن الجنوح ميل مع العمل، والميل مطلق؛ فلا يكفي في السلام مجرد ميلهم

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤١٩/٦.

(٢) البيت من الطويل، وهو للنابغة الذبياني في ديوانه ص٤٣، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف، الطبعة الثانية.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٤٠/١٤.

الداخلي، ما لم يتحول هذا الميل إلى واقع حي ملموس[١]؛ ولذلك يمكن عد الميل مرحلة أولية أو خفيفة من الانحراف، بينما الجنوح يعبر عن ميل أكثر وضوحًا وقوة، وغالبًا ما يكون له تأثير عملي في السلوك أو القرار، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا﴾، حيث يدل على ميل واضح نحو السلم بعد موقف العداء، فالجنوح يدل على الميل الشديد الذي قد يصل إلى حد الخروج عن المسار المعتاد.

٦- الجَــوْر:

بالرجوع إلى معاجم اللغة نجدها ترجع لفظ (الجور) إلى الميل والعدول، يقول ابن فارس: "الْجِيمُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَيْلُ عَنِ الطَّرِيقِ، يُقَالُ: جَارَ جَوْرًا"[٢]، ويقول ابن دريد: "والجور: ضد الْقَصْد. وَيُقَال: جَار عَن الطَّرِيق إِذا مَال عَنهُ، وكل مائل عَن شَيْء فَهُوَ جَائِر عَنهُ، وَمِنْه جَوْرُ الْحَاكِم إِذا مَال عَن الْحق"[٣].

وهذا اللفظ لم يرد بمعنى الميل والعدول إلا مرة واحدة في القرآن، وجاء بصيغة اسم الفاعل، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنۡهَا جَآئِرٞۚ وَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ﴾[النحل: ٩].

والذي عليه المفسرون أن ﴿جَآئِرٞ﴾ في الآية الكريمة معناه: "من الطرق ما

(١) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن ص١١٩، عبد السلام أحمد الراغب، ط: دار فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٢) المقاييس (ج و ر) ٤٩٣/١.

(٣) جمهرة اللغة (ج و ر) ٤٦٧/١، تح: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م، وينظر: الصحاح (ج و ر)، والمحكم (ج و ر).

هو مائل من طريق الهدى إلى طريق اليهودية والنصرانية"[١]، وقد اختلفوا في بيان السبل المائلة أو الجائرة، يقول الثعلبي: "﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾: بيان طريق الحق لكم، والقصد: الطرِيق المستقيم، وقيل: وعلى الله القصد بكم إلى الدين، ﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾ يعني: من السبيل جائر عن الاستقامة معوج، وإنما أنث الكناية؛ لأن لفظ السبيل واحد ومعناه الجمع، السبيل مؤنثة في لغة الحجاز، فالقصد من السبيل هي الحنيفية دين الإسلام، والجائر منها اليهودية والنصرانية وغير ذلك من ملل الكفر، وقال جابر بن عبد الله: قصد السبيل هو السنة، ومنها جائر: يعني بيان الشرائع والفرائض، وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله: قصد السبيل: هو السنة، ومنها جائر: يعني الأهواء والبدع"[٢]، ويقول ابن كثير: "﴿وَمِنۡهَا جَآئِرٞ﴾، أي: حائد مائل زائغ عن الحق، قال ابن عباس وغيره: هي الطرق المختلفة، والآراء والأهواء المتفرقة كاليهودية، والنصرانية، والمجوسية"[٣].

ويتضح مما سبق أن لفظ (الجور) من ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم، والفرق بينه وبين الميل أن الميل يكون في الميل القلبي، أما الجور فهو الميل والعدول عن الشيء مطلقًا سواء أكان ماديًّا أم معنويًّا، فيقال: جار في الحكم: مال عن الحق والإنصاف فيه، وجار عن الطريق: عدل؛ ومن هنا يمكن القول بأن الجور يشير إلى الظلم والانحراف عن العدل بشكل واضح، وغالبًا ما يكون مقترنًا بتجاوز الحدود المشروعة، حيث يدل الجور على التصرف غير العادل الذي يؤدي إلى ظلم الآخرين؛ ولهذا يمكن عد الجور حالة أكثر وضوحًا من الظلم والانحراف عن العدل، بينما الميل قد يكون تدريجيًّا أو جزئيًّا دون الوصول إلى حد الظلم

(١) تفسير السمرقندي ٢/٢٦٧.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ١٦/٢٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤/٥٦٠.

الصريح.

٧- الحَنَـف:

بتتبع مادة (ح ن ف) في المعاجم العربية نجد أن الأصل اللغوي الذي ترجع إليه هو الميل، فـ "إِنَّمَا أُخِذَ الحَنَفُ من قَوْلهم: رِجْل حَنْفَاءُ ورَجُلٌ أَحْنَفُ، وَهُوَ الَّذِي تَمِيلُ قَدَمَاه كلُّ واحدةٍ إِلَى أُختِها بِأَصَابعها"(١)، و"يقال: سُمِّيَ الأحنفُ بنُ قَيْسٍ به؛ لحَنَفٍ كان في رِجْله، وقالتْ حاضِنة الأحنَف(٢):

واللهِ لـولا حَنَـفٌ بِرِجْلِـهِ ما كـانَ فـي فِتْيـانِكم كمِثْلِـهِ"(٣).

ويقول ابن فارس: "الْحَاءُ وَالنُّونُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ مُسْتَقِيمٌ، وَهُوَ الْمَيَلُ. يُقَالُ لِلَّذِي يَمْشِي عَلَى ظُهُورِ قَدَمَيْهِ أَحْنَفُ. وَقَالَ قَوْمٌ – وَأَرَاهُ الْأَصَحَّ –: إِنَّ الْحَنَفَ اعْوِجَاجٌ فِي الرِّجْلِ إِلَى دَاخِلٍ. وَرَجُلٌ أَحْنَفُ، أَيْ: مَائِلُ الرِّجْلَيْنِ، وَذَلِكَ يَكُونُ بِأَنْ تَتَدَانَى صُدُورُ قَدَمَيْهِ وَيَتَبَاعَدَ عَقِبَاهُ. وَالْحَنِيفُ: الْمَائِلُ إِلَى الدِّينِ الْمُسْتَقِيمِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[آل عمران: ٦٧]، وَالْأَصْلُ هَذَا، ثَمَّ يُتَّسَعُ فِي تَفْسِيرِهِ، فَيُقَالُ: الْحَنِيفُ: النَّاسِكُ، وَيُقَالُ: هُوَ الْمَخْتُونُ، وَيُقَالُ: هُوَ الْمُسْتَقِيمُ الطَّرِيقَةِ، وَيُقَالُ: هُوَ يَتَحَنَّفُ، أَيْ: يَتَحَرَّى أَقْوَمَ الطَّرِيقِ"(٤).

---

(١) تهذيب اللغة (ح ن ف) ٧٢/٥، تح: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

(٢) الرجز لِدَايَةِ الأحنَف في تهذيب اللغة ٧١/٥، و٣٤٠/١٥، والمحكم ٢٣٢/٤، وشرح أدب الكاتب ص٧٢، واللسان ٥٧/٩، و٤٢١/١٣، وتاج العروس ١٦٩/٢٣، وهو لأم الأحنف في المخصص ٥٨/٢، وتفسير ابن الجوزي ١١٦/١، ومفاتيح الغيب للرازي ٧٣/٤، وبغية الطلب في تاريخ حلب ٣٩١/٣، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٠/٢، والدر المصون ١٣٧/٢، والرواية في هذه المصادر: «مَا كَانَ فِي فِتْيَانِكُمْ مِنْ مِثْلِهِ».

(٣) العين (ح ن ف) ٢٤٨/٣.

(٤) المقاييس (ح ن ف) ١١١/٢.

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن دلالة الحنف في الأصل كانت دلالة مادية حسية ثم انتقلت إلى دلالة معنوية، فبعد أن كان يدل على الميل في القدم أصبح يدل على الميل في الاعتقاد أو السلوك، أو الميل من دين إلى دين آخر.

وقد وردت مادة (ح ن ف) ومشتقاتها في القرآن الكريم في اثني عشر موضعًا بصيغتين، هما:

١- على وزن (فعيل) في عشرة مواضع، أولها قوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥]، وآخرها قوله ﷻ: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[الروم: ٣٠]، ويلاحظ على هذه المواضع العشر التي وردت فيها هذه اللفظة أن لفظ (الحنف) كان في ثمانية منها خاصًّا بملة سيدنا إبراهيم عليه السلام، أما الموضعان الآخران فقد كان خاصًّا بملة سيدنا ونبينا محمد ﷺ ومن استقام عليها.

٢- على وزن (فُعَلاء) جمعًا لـ (فَعِيل) في موضعين من القرآن الكريم، وهما: قوله سبحانه: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ﴾[الحج: ٣١]، وقوله عز من قائل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[البيّنة: ٥].

وقد ظلت دلالة الميل هي العلاقة التي تربط بين الحنف في اللغة ودلالته عند المفسرين وأهل المعاني، فقد اتفق أهل المعاني والمفسرون مع اللغويين في أن الحنف في أصل دلالته يدل على الميل، يقول الراغب: "الحَنَفُ: هو ميل عن الضّلال إلى الاستقامة، والجنف: ميل عن الاستقامة إلى الضّلال، والحَنِيف هو المائل إلى ذلك، قال ﷻ: ﴿قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا﴾[النحل: ١٢٠]، وقال: ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[آل عمران: ٦٧]، وجمعه حُنَفَاء، قال ﷻ: ﴿وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠ حُنَفَآءَ لِلَّهِ﴾[الحج: ٣٠، ٣١]، وتَحَنَّفَ فلان، أي: تحرّى طريق الاستقامة، وسمّت العرب كلّ من حجّ أو اختتن حنيفًا؛ تنبيها أنّه على دين إبراهيم عليه السلام، والأحنف:

من في رجله مَيَل، قيل: سمّي بذلك على التّفاؤل، وقيل: بل استعير للميل المجرّد"[١]، وبين أبو عبيدة ما حدث للفظ (الحنيف) من تطور فقال: "الحَنيفُ في الجاهليةِ مَنْ كان على دين إبراهيم، ثُمَّ سُمي مَن اختَتَن وحَجَّ البيت حنيفًا لَمَّا تناسخت السنون، وبقي من يعبد الأوثان من العرب، قالوا: نحن حنفاء على دين إبراهيم، ولم يتمسكوا منه إلا بِحجِّ البيت، والخِتان. والحَنيفُ اليومَ: المسلمُ. قال ذو الرمة[٢]:

إذا خَـــالفَ الظِـــلّ العَشـــيَّ رأَيتَـــهُ حَنيفًا ومِنْ قَرْنِ الضُّحَى يَتَنَصَّرُ"[٣].

ومعنى هذا أن الحنيف كان في أصل معناه دالًّا على كل من اتبع دين إبراهيم مطلقًا، ثم خصصت دلالته فصار يطلق على من حج واختتن فقط، فلما جاء الإسلام توسِّع في دلالته مرة أخرى فأصبح يطلق على المسلم كما في قول ذي الرمة، إذًا فقد حدث لهذا اللفظ أكثر من تطور دلالي، فكان –أولًا– بانتقاله من الدلالة على المعنى الحسي وهو ميل القدم إلى الدلالة على المعنى المعنوي وهو الميل في الأديان والمعتقدات، وكأن الذي به حنف يميل في مشيه عن الطريق المعتاد، ثم أصبح – ثانيًا – خاصًّا بمن اتبع ملة سيدنا إبراهيم، ومن هنا ظهر مصطلح الحنيفية علمًا على ديانة إبراهيم، وظهر كذلك مصطلح الحنفاء كزيد بن

(١) المفردات في غريب القرآن (ح ن ف) ص٢٦٠.

(٢) من الطويل، وهو لذي الرمة في ديوانه ٦٣٢/٢، تح: عبد القدوس أبو صالح، ط: مؤسسة الإيمان بجدة، الطبعة الأولى ١٩٨٢م، والبيت في صفة الحرباء، يقول: إذا خالف الظل العشى، وذلك عند ميل الشمس إلى جهة المغرب، صار الحرباء متوجهًا للقبلة فهو حنيف، فإذا كان في أول النهار فهو متوجه للشرق؛ لأن الشمس تكون في جهة المشرق، فيصير متنصرًا؛ لأن النصارى تتوجه في صلاتها إلى جهة المشرق. ينظر: لسان العرب (ح و ل) ١٩٥/١١.

(٣) مجاز القرآن ٥٨/١.

عمرو، وهي تلك الفئة التي أخلصت عبادتها لله، ونبذت عبادة الأصنام والأوثان قبل الإسلام، فأصبح يقال على كل من دان بدين إبراهيم أنه حنفي، أي مائل عن الشرك وعبادة الأصنام، ثم خصص – ثالثًا – بإطلاقه على كل من اختتن وحج البيت فقط، ثم خصصت دلالته – أخيرًا – وبعد ظهور الإسلام بالمسلم كما قال أبو عبيدة واستدلَّ على ذلك بشعر ذي الرمة.

وقد اختلف أهل المعاني والمفسرون في تفسير (الحنيف) في القرآن الكريم على أقوال، أشهرها المستقيم، والمائل، وقد اختار الأول ابن قتيبة الذي يقول: "الحَنيفُ: المستقيم، وقيل للأعرج: حَنِيفٌ؛ نظرًا له إلى السلامة"(١)، وقد حكى بعض المفسرين هذا الرأي عن ابن قتيبة دون اتباع له، بينما تبعه فيه بعضهم كالطبري الذي ذكر معنى قول ابن قتيبة، ثم قال: "والحنف عندي هو الاستقامة على دين إبراهيم، واتباعه على ملته"(٢)، وقد اختار الثاني – وهو المائل – كثير من المفسرين، فقد "روي عن ابن عباس أنه قال: الحنيف: المائل عن الأديان كلها إلى دين الإسلام"(٣)، وقد اختاره الزمخشري أيضًا(٤).

وبالرغم من أن أكثر المفسرين ذهب إلى أن الحنف هو الميل عن الأديان الأخرى الباطلة؛ فإنه سواء قيل: إن معنى ﴿حَنِيفًا﴾: مائلًا إلى دين الله، أو قيل: مستقيمًا على الدين فلا شك أنهما يؤديان إلى معنىً واحد، فمن مال عن الشرك فقد استقام على الدين، يقول ابن عطية: "والحنف: الميل في كلام العرب، وأصله في الأشخاص، وهو في المعاني مستعار، فالمعوَجُّ في الأجرام أحنف على الحقيقة، أي: مائل، والمستقيم فيها أحنف على تجوُّزٍ، كأنه مال عن كل جهة إلى

(١) غريب القرآن ص٦٤.
(٢) جامع البيان للطبري ١٠٤/٣: ١٠٧.
(٣) التفسير البسيط للواحدي ٣٥٥/٣.
(٤) ينظر: الكشاف ١٩٤/١.

القَوَام"[(١)]، بل إن بعض العلماء خصَّ الحنف في الإسلام بالميل إليه والاستقامة والثبات فيه وعدم الرجوع عنه، كالزجاج الذي يقول: "معنى الحنف في اللغة إقبال صُدُور القَدميْن كل واحدة على أختها إقبالًا يكون خلقةً لا رجوع فيه أبدًا، فمعنى الحنيفية في الإسلام الميل إليه والإقامة على ذلك العقد"[(٢)]، واشتقاق هذا اللفظ يؤكد هذا الكلام، كما أن مجيء لفظ (حنيف) على وزن (فعيل) بمعنى (فاعِل)، وهي صفة مشبهة تدل على شدة الاتصاف بالحنف، ولزوم هذه الصفة يؤكد ذلك أيضًا.

وقد بين البقاعي أن الحنف الميل إلى الدليل في سهولة ولطافة، وذلك عند تعرضه لقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[البقرة: ١٣٥]، فقال: "﴿حَنِيفًا﴾، أي: لينًا هشًا سهلًا قابلًا للاستقامة مائلًا مع داعي الحق منقادًا له مسلمًا أمره إليه، لا يتوجه إليه شيء من العشاوة والكثافة والغلظة والجمود التي يلزم منها العصيان والشماخة والطغيان؛ وذلك لأن مادة (حنف) بكل ترتيب تدور على الخفة واللطافة، ويشبه أن تكون الحقيقة الأولى منها النحافة، ويلزم هذا المعنى الانتشار والضمور والميل، فيلزمه سهولة الانقياد والاستقامة، ويكشفه آية آل عمران: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا﴾[آل عمران: ٦٧]؛ فبذلك حاد عن بنيات طرق الخلق في انحرافهم عن جادة طريق الإسلام، وقال الحرالي: الحنيف المائل عن متغير ما عليه الناس عادة إلى ما تقتضيه الفطرة حنان قلب إلى صدق حسه الباطن"[(٣)].

---

(١) المحرر الوجيز ٣١٤/٢.

(٢) معاني القرآن وإعرابه ٤٢٧/١، وينظر أيضًا: ٢٦٨/٢، و ١٨٤/٤.

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١٨٤/٢، ١٨٥، و٥/ ٤١٣، و١٦٢/٧، و٧/ ٣٣٨، ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.

وحقيقة الأمر فإن التركيب الصوتي لمادة (ح ن ف) وترتيب أصواتها يعضد هذا الرأي؛ فالمادة يغلب عليها الأصوات الضعيفة التي تدل على سهولة الانقياد والميل إلى الاستقامة، فالحاء وهو صوت مهموس يدل على ضعف وخفة هذا الميل، مع لطافته وهشاشته، ثم يأتي صوت النون – وهو صوت متوسط، وهو قوي نسبيًّا بالمقارنة مع صوت الحاء فهو صوت مجهور متوسط مستفل منفتح ذلق أغن – ليدل على تمكن هذا الميل من الإنسان وعدم الرجوع عنه والاستقامة عليه، ثم تختم المادة بحرف الفاء الذي هو حرف ضعيف، فهو صوت مهموس رخو مستفل منفتح ذلق، وهذا يتناسب مع صفات الضعف والانقياد والاستسلام التي تسيطر على المرء الذي يميل من الضلال إلى الحق، أو من كل دين باطل إلى الإسلام، كما اختص لفظ (حنيف) بزيادة الياء المدية التي توصف بالضعف، وهذا كله يدل على الضعف وخفاء الميل الذي يتصف به الإنسان، وكان للمد الطويل فيها دلالة على طول هذا الميل واستقامة الإنسان عليه وملازمته له.

مما سبق يتضح لنا أن لفظ (الحنف) يعد من ألفاظ الميل والعدول في القرآن الكريم بناءً على أصله اللغوي وتأويلات المفسرين له في الآيات البينات التي ورد فيها، أما من فسره بالحج، أو الختان، أو الإخلاص، أو غيرها من الأقوال فإنها تفسيرات بلازم معنى اللفظ، أو بجزء من معناه، فإن لفظ (الحنف) يعم ذلك كله؛ فإن المراد به الميل إلى أمر اللَّه وعبادته، والإخلاص فيها، والاستقامة عليها كالحَنَفَ في الرِّجلِ وهو مَيْلها إلى خارجها خِلْقَةً، لا يَملكُ الأحنَفُ أن يَرُدَّ حَنَفَهُ كما قال الزجاج.

والفرق بين الحنف والميل أن الحنف يغلب استعماله في الميل عن الباطل إلى الحق، وأن هذا الميل صار حقيقة عرفية في الميل عن الدين الباطل إلى دين الحق، فهو ليس مجرد ميل عشوائي، بل هو ميل نحو الاستقامة، أما الميل فيكون عامًّا من حق إلى باطل أو العكس، فالحنف ميل إيجابي عن الضلال إلى الاستقامة، أما الميل في السياق القرآني فهو ميل سلبي إلى الظلم والعدوان واتباع

الشهوات كما سبق، كما أن الحنف ميل مادي ومعنوي، والميل يغلب عليه الميل القلبي كما مر.

٨- الحَيْد:

ذكر كثير من أصحاب المعاجم أن مادة (ح ي د) ترجع في أصل معناها إلى الميل والعدول، فأرجع ابن فارس دلالة هذه المادة إلى "أَصْل وَاحِد، وَهُوَ الْمَيْلُ وَالْعُدُولُ عَنْ طَرِيقِ الِاسْتِوَاءِ، يُقَالُ: حَادَ عَنِ الشَّيْءِ يَحِيدُ حَيْدَةً وَحُيُودًا، وَالْحَيُودُ: الَّذِي يَحِيدُ كَثِيرًا..."(١)، ويقول الجوهري: "حاد عن الشيء يحيد حُيودًا وحَيْدَة وحَيْدودَةً: مال عنه وعدل"(٢)، وفي الحديث(٣): "«أَنَّهُ رَكِب فَرَسا فَمرَّ بشَجَرة فطَارَ مِنْهَا طائِر فحَادَتْ فنَدَر عَنْهَا»، حَادَ عَنِ الشَّيْءِ والطَّرِيق يَحِيدُ إِذَا عَدَل، أَرَادَ أَنَّهَا نَفَرت وتَرَكَت الْجادّة، وَفِي خُطْبة عَلِيٍّ: «فَإِذَا جَاء القتَال قُلتم: حِيدِي حَيَادِ»، حِيدِي أَيْ: مِيلي"(٤).

ومن الاستعمالات المحدثة والمعاصرة المتصلة بهذه المادة قولهم: التزم الحياد، أو وقف على الحياد، وحِياديّ، والمحايد، وفي المعجم الوسيط: "الحياد: عدم الْمِيل إِلَى أَي طرف من أَطْرَاف الْخُصُومَة، والحياد الإيجابي (فِي السياسة الدولية): أَلا تتحيز الدولة لإحدى الدول المتخاصمة مَعَ مشاركتها لسَائِر الدول فِيمَا يحفظ السّلم الْعَام"(٥)، وقد أقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة هذه الاستعمالات المعاصرة بناءً على أن المعنى اللغوي الأصلي للكلمة هو المجانبة والميل عن

(١) مقاييس اللغة (ح ي د) ١٢٣/٢.

(٢) الصحاح (ح ي د) ٤٦٧/٢.

(٣) الحديث في غريب الحديث للخطابي ٥٢٣/١، وجامع المسانيد والسنن لابن كثير ٤١٧/٥، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي ٢٦٤/٥.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٤٦٦/١.

(٥) المعجم الوسيط (ح ي د) ٢١١/١.

الشيء[١].

فدلالة هذه المادة على الميل والعدول دلالة أصلية، وهذه الدلالة على الميل دلالة حسية؛ فهي مأخوذة من حَيْد الْجَبَل، وهو "ما شخص من الرَّأْسِ والجَبَلِ واعْوَجَّ، وكلّ ما اشتدَّ اعوجاجه من ضِلَعٍ أو عظم فهو: حَيْدٌ"[٢]، ويلاحظ أن دلالة لفظ الحيد على الميل والاعوجاج يكون دون تجانب وتباعد عن الشيء الممال عنه، كالاعوجاج في رأس الجبل، أو في الضلع، أو في العظم، وقد ذكر بعضهم أن هذا الميل يكون مع خوف، يقول الخليل: "وَالرَّجُلُ يَحِيدُ عَنِ الشَّيْءِ حَيْدًا وحَيَدانًا وحَيْدُودَةً إذا صدَّ عَنْهُ خَوْفًا وأَنفة"[٣].

ولم ترد مادة (ح ي د) في القرآن الكريم ومشتقاتها إلا مرة واحدة بصيغة المضارع (تحيد) في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩].

هذا، ولم يبعد أصحاب المعاني والمفسرون في تفسير هذه الآية الكريمة عما قاله المعجميون وأهل اللغة عن تأصيل مادة (ح ي د)، وأنها ترجع في دلالتها إلى الميل والعدول، يقول الواحدي: "ويقال لمن جاءته سكرة الموت: ﴿ذَٰلِكَ﴾، أي: ذلك الموت ﴿مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾: تهرب وتميل، يقال: حاد عنه يحيد حيدًا إذا مال عنه"[٤]، وقد ذكر بعضهم معاني أخر للحيد في الآية ولكنها كلها ترجع إلى

(١) ينظر في ذلك: القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب من ١٩٣٤ ـ ١٩٨٧م الصادرة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ص٢٥٦، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٨٩م، وكتاب الألفاظ والأساليب الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٤٣/٣، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة٢٠٠٠م.

(٢) العين (ح ي د) ٢٧٩/٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) التفسير الوسيط للواحدي ١٦٧/٤، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: دار الكتب =

معنيين رئيسين، هما: الميل، والفرار، يقول الماتريدي: "ثم الحيد: الميل والكراهة، وقال أَبُو عَوْسَجَةَ: الحيد: الفرار"(١).

ولكن كل هذه الآراء – كما قلنا – تعود إلى الميل والفرار، والفرار بطبيعة الحال يعود إلى الميل أيضًا؛ فإن من فرَّ من شيء مال عنه وراغ منه، وقد نقل البحث عن الخليل أن الحيد يكون خوفًا وأنفة ورهبة من الشيء الممال عنه، وكأن قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ المقصود منه أن الإنسان يميل ويفر من الموت خوفًا ورهبة له، و"معنى هذا الحيد أنه يقول: أعيش كذا وكذا، فمتى فكر في قرب الموت حاد بذهنه وأمله إلى مسافة بعيدة من الزمن، وأيضًا فحذر الموت وتحرزاته ونحو هذا حيْدٌ كلُّه"(٢)، وعلى هذا فلفظ ﴿تَحِيدُ﴾ هنا "مُسْتَعَارٌ لِلْكَرَاهِيَةِ، أَوْ لِتَجَنُّبِ أَسْبَابِ الْمَوْتِ"(٣).

وقد عبر سبحانه عن هذا الميل والفرار بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث؛ للدلالة على أن هذا هو دأب الإنسان وديدنه وحاله المستمر في الميل والفرار من تذكر الموت وسكراته، والبعث وتبعاته، وكذلك كان للفظ (تحيد) بما يحمله من دلالة صوتية تغاير غيره من الألفاظ أثر في ورود هذا اللفظ دون غيره في هذا الموضع وذلك السياق، فإن هذا اللفظ له دلالة صوتية مميزة، فهو يتوسطه الياء المدية التي تدل على طول هذا الميل والفرار، وعلى طول الأمل الذي يأمله

=

العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

(١) تأويلات أهل السنة ٣٥٦/٩، وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٤٦٤/٢٤، والنكت والعيون للماوردي ٣٤٨/٥، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية ببيروت.

(٢) المحرر الوجيز ١٦١/٥، وينظر: البحر المحيط ٥٣٤/٩.

(٣) التحرير والتنوير ٣٠٦/٢٦.

الإنسان لنفسه ويرغب في تحققه، ولكنه يفاجأ بالموت وسكرته، والفراق وشدته اللَّذَيْن تصورهما أعظم تصوير الدال المجهورة الشديدة التي صاحبتها القلقلة، وكأنها ترسم لنا صورة حية لهذه الشدة، وذلك القلق والفزع والاضطراب الذي يعتري الإنسان عندما يفاجأه الموت، ويلقاه الأجل.

وهكذا يتضح لنا أن كل كلمة في كتاب الله تؤدي معنى غير الذي تؤديه مرادفتها أو القريبة منها في المعنى، وأن أي كلمة إذا حلت محل كلمة أخرى فلن تؤدي المعنى الذي يراد بها في هذا الموضع، فكل كلمة مناسبة للسياق الذي وردت فيه مغنية عما عداها، والسياق طالب لها دون سواها، فسبحان من كان هذا كلامه.

وبهذا يظهر الفرق بين الحيد من جهة والميل والعدول من جهة أخرى، فإن الأول يكون ميلًا بخوف ورهبة وفزع من الشيء الممال عنه، أما الميل والعدول فغالبًا لا يكون معهما هذا الخوف والرهبة، وكذلك فإن الحيد يكون ميلًا مع عدم التباعد والانفصال عن الشيء الممال عنه، أما الميل والعدول فيكون ميلًا مطلقًا قد يكون معه تباعد وتجانب وانفصال، وقد لا يكون.

٩- الحَيْص:

وردت مادة (ح ي ص) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة مواضع بصيغة واحدة على وزن (مَفْعِل)، وهي لفظة (محيص)، وهذه المواضع أولها قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾[النساء: ١٢١]، وآخرها قوله سبحانه: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴾[ق: ٣٦]، ويتوسطهما موضع سورة إبراهيم آية (٢١)، وموضع سورة فصلت آية (٤٨)، وموضع سورة الشورى آية (٣٥).

وهذه المادة قريبة من سابقتها في المعنى، بل تكاد تكون متطابقة معها حتى إن بعض العلماء قد فسرها بها، يقول الخليل: "الحَيْصُ: الحَيْدُ عن الشّيء،

والمَحِيص: المَحيِد. يقال: هو يَحيص عنّي، أي: يحيد وهو يحايصني، وما لك من هذا الأمر مَحِيص، أي: مَحِيد"(١)، ولم يبينوا فروقًا دقيقة بينهما، فإذا كان الحيد ميل بخوف ورهبة فإن الحيص كذلك، يقول ابن فارس: "الْحَاءُ وَالْيَاءُ وَالصَّادُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَيْلُ فِي جَوْرٍ وَتَلَدُّدٍ، يُقَالُ: حَاصَ عَنِ الْحَقِّ يَحِيصُ حَيْصًا: إِذَا جَارَ"(٢)، وَقَالَ أَبُو عبيد: "فِي حَدِيث ابْن عُمَر أَنه كَانَ فِي غزَاة بَعثهمْ فِيهَا النَّبِي ﷺ، قَالَ ابْن عمر(٣): «فَحَاص الْمُسلمُونَ حَيْصَةً»، وَبَعْضهمْ يَقُول: «فجاض الْمُسلمُونَ جَيْضَةً»... قَالَ الْأَصْمَعِي: الْمَعْنى فيهمَا وَاحِد، وَإِنَّمَا هُوَ الرَّوْغان والعُدول عَن الْقَصْد"(٤)، إلا أنه يلاحظ أن الميل في الحيص أشد من الحيد؛ فالحيص يكون معه روغان وتلدد، أي تلفت يمينًا وشمالًا، وليس كذلك الحيد.

وبنحو الذي قاله أصحاب المعاجم قال أهل المعاني والمفسرون، يقول الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾[النساء:١٢١]: "﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾، يقول: لا يجدون عن جهنم – إذا صيّرهم الله إليها يوم القيامة – مَعْدِلًا يعدِلون إليه، يقال منه: حاص فلان عن هذا الأمر يَحِيص حَيْصًا وحُيُوصًا: إذا عدل عنه"(٥)، ويقول ابن قتيبة: "﴿مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾، أي: مَعْدِلٍ. يقال: حاصَ عن الحق يحيصُ؛ إذا زاغ وعَدَل"(٦)، وهنا

(١) العين (ح ي ص) ٢٦٩/٣.

(٢) مقاييس اللغة (ح ي ص) ١٢٤/٢.

(٣) الحديث أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٢٠١/٥، والإمام أحمد في مسنده برقم (٥٧٥٢) ٤٠/١٠، و أبو داود في سننه ٤٦/٣، والترمذي في سننه ٢١٥/٤.

(٤) غريب الحديث ٢٩٣/٥، تح: حسين محمد محمد شرف، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة الأولى ١٩٨٤م.

(٥) جامع البيان للطبري ٢٢٦/٩.

(٦) غريب القرآن ص٢٣٢.

نجد ابن قتيبة يضيف ملمحًا دلاليًّا لهذا اللفظ وهو الزيغ، واتفق معه أبو حيان الذي رأى أن المحيص "مَفْعِلٌ مِنْ حَاصَ يَحِيصُ: زَاغَ بِنُفُورٍ"(١)، فأضاف ملمحًا دلاليًّا آخر، هو النفور، ويقول الراغب عن هذا اللفظ: "أصله من حَيْص بيص، أي: شدّة، وحَاصَ عن الحقّ يَحِيصُ، أي: حاد عنه إلى شدّة ومكروه"(٢)، وهنا ملمح دلاليٌّ آخر يضيفه الراغب وهو الميل والعدول إلى شدة وكُرْه، ويقول أيضًا في تفسيره: "المحيص: المَعْدِلُ عَلى سبيل الهرب"(٣)، واتفق معه البيضاوي الذي فسَّر الحَيْص بأنه "العدول على جهة الفرار"(٤)، فقيَّد الراغب والبيضاوي هذا العدول والميل بأنه على جهة الفرار والهرب.

وهكذا نجد أن اللغويين والمفسرين قد اتفقوا على أن (الحيص) هو العدول والميل على جهة الشدة والضيق، وأن هذا العدول يكون معه زيغان، أو فرار، أو تلدد وهو التلفت يمينًا وشمالًا؛ لأن الحيص – كما ذُكِر – يكون من خوف ورهبة للشيء الممال عنه، وهذا ما نجده متحققًا في المواضع الخمسة التي وردت فيها مادة (ح ي ص) في القرآن الكريم؛ فالملاحظ على هذه المادة أنها قد وردت في ثلاثة مواضع من المواضع الخمسة في سياق الحديث عن النار أو يوم القيامة، وفي الموضع الرابع وهو قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ﴾[ق: ٣٦] كانت في سياق الحديث عن إهلاك الله للأمم السابقة، وهي مواضع بلا شك تحمل في طياتها معاني الخوف والفزع والرهبة من المواقف التي يتعرض لها هؤلاء الكافرون والمكذبون حال عرضهم على

(١) البحر المحيط ٦٤/٤.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ح ا ص) ص٢٦٥.

(٣) تفسير الراغب الأصفهاني ١٦٧/٤، تح: هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين ـ جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ١٩٧/٣.

النار، أو حال حلول عذاب الله بهم، ووقوع الهلاك لهم، فناسب هذه السياقات مجيء لفظ (محيص)؛ للتعبير عن هذا العدول والميل الذي يصاحبه الخوف والفزع والاضطراب، فيستتبع ذلك التفكير في الفرار والهرب والزيغان، وكل هذه المعاني أداها لفظ (محيص) خير أداء، وعبر عنها أصدق تعبير.

وغير خفي مما ذكر سابقًا أن لفظ (الحيص) يتفق دلاليًّا مع لفظي الميل والعدول في الدلالة على الميل والانحراف، ولكنه يفترق معهما في دلالته على الميل الممزوج بالخوف والرهبة والفزع، مع التفكير في الفرار المفاجئ أو التراجع السريع والتلفت يمينًا وشمالًا؛ ولذلك كان أكثر استعماله في مواقف الشدة والضيق كما ذُكِر.

١٠- الحَيْف:

وردت مادة (ح ي ف) في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[النور: ٥٠].

وقد نصَّت معاجم اللغة على أن لفظ (الحيف) في أصل معناه يدل على الميل والعدول، يقول ابن فارس: "الْحَاءُ وَالْيَاءُ وَالْفَاءُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْمَيْلُ. يُقَالُ: حَافَ عَلَيْهِ يَحِيفُ، إِذَا مَالَ، وَمِنْهُ تَحَيَّفْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَخَذْتَهُ مِنْ جَوَانِبِهِ، وَهُوَ قِيَاسُ الْبَابِ؛ لِأَنَّهُ مَالَ عَنْ عُرْضِهِ إِلَى جَوَانِبِهِ"(١)، ويقول الخليل: "الحَيْفُ: المَيْلُ في الحُكْم. حاف يَحيفُ حَيْفًا"(٢)، ويقول الأزهري: "قَالَ الليث: وناحيةُ كل شَيْء حَافَتُه وَمِنْه حافَتَا الْوَادي، وتصغيره حُوَيْفَةٌ، وَقَالَ الْفراء: تحَوَّفْتُ الشيءَ: أخذتُه من حَافَتِه، قَالَ: وتخوَّفْتُه بِالْخَاءِ بِمَعْنَاهُ، وَقَالَ غَيره: حِيفَةُ الشيءِ ناحِيتُه، وَقد تحيّفْتُ

(١) مقاييس اللغة (ح ي ف) ١٢٥/٢.

(٢) العين (ح ي ف) ٣٠٧/٣.

الشيءَ أخذتُه من نَواحيه، والحَيْفُ: المَيْلُ فِي الحكم، يُقَال: حَاف يحِيف حَيْفًا"[١].

وهذا ما نصَّ عليه أهل المعاني والمفسرون أيضًا، فأرجعوا مادة (ح ي ف) إلى الميل والعدول في الحكم، يقول الراغب: "الحَيْفُ: الميل في الحكم والجنوح إلى أحد الجانبين، قال الله تعالى: ﴿أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[النور: ٥٠]، أي: يخافون أن يجور في حكمه، ويقال: تَحَيَّفْتُ الشيء أخذته من جوانبه"[٢]، وفسر الواحدي هذا اللفظ بقوله: "الحيف: الميل في الحكم، فيقال: حاف في قضيته، أي: جار فيما حكم"[٣]، وقد تناقل كثير من المفسرين بعد الواحدي عبارته هذه في شرح لفظ (الحيف) دون نسبتها إليه، وجعلوا معنى الآية: "أم جوَّزوا في أنفسهم أن يميل رسول الله ﷺ في بعض حكمه فخافوك وعدلوا عن حكمك"[٤].

ومن أقوال اللغويين والمفسرين يتضح أن لفظ (الحيف) أكثر دلالته على الميل في الحكم؛ ولأن الحيف مجرد الميل في الحكم استعمله القرآن في سياق الحديث عن الظلم الذي يخافه الكفار أن يقع عليهم من قبل الله ورسوله؛ فإيثار التعبير بالحيف على التعبير بلفظ الظلم تنزيهًا أن ينسب الظلم إلى الله ورسوله؛ ولأنه إذا نُفي مجرد الميل والعدول في الحكم كان نفي الظلم والجور من باب أولى[٥].

وهذا اللفظ يتشابه في دلالته على الميل مع لفظ آخر سابق هو لفظ (الجنف)؛ مما دعا بعض اللغويين أن يعقد بينهما مقارنة للوقوف على الفروق الدقيقة بينهما،

---

(١) تهذيب اللغة (ح ي ف) ١٧٠/٥.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ح ي ف) ص٢٦٦.

(٣) التفسير الوسيط للواحدي ٣٢٥/٣.

(٤) لباب التفاسير للكرماني ص١٧٣١.

(٥) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي ٣٨٧/٢، ط: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.

كالخليل الذي جعل الجنف للميل عامّة، وخصَّ الحيف بالميل من الحاكم، يقول: "الجَنَف: المَيلُ في الكلام، وفي الأمور كُلِّها، تقول: جَنَفَ فلانٌ علينا، وأجنَفَ في حُكمه، وهو شبيهٌ بالحَيفِ، إلا أنَّ الحَيفَ من الحاكِم خاصَّةً، والجَنَفُ عامٌ"(١)، وقد ردَّ عليه الأزهري في هذا التخصيص، ورأى عدم صحة تخصيص الحيف بالحكام، وأنه عامٌّ في كل جائر، فقال بعد أن أورد قول الخليل السابق: "قلت: أمَّا قَوْله: «الحَيْفُ من الْحَاكِم خاصَّة» فَهُوَ خطأ، والحَيْفُ يكون مِن كلِّ مَنْ حافَ، أَي جارَ، وَمِنْه قَول بعض الْفُقَهَاء: «يُرَدُّ مِنْ حَيْف النَّاحِلِ مَا يُرَدُّ من جَنَفِ المُوصِي»، والنّاحِل إِذا فَضَّل بعض أَوْلَاده على بعض بنُجْل فقد حافَ، وَلَيْسَ بحاكم"(٢).

وقد روي عن سيدنا علي كرم الله وجهه أنه قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِن مُّوصٍ جَنَفًا﴾[البقرة: ١٨٢]: ﴿حَيَفًا﴾ بالحاء والياء(٣)؛ ولعل هذه القراءة المروية عن سيدنا علي تكون معضدة ومؤكدة لما ذهب إليه الأزهري من عدم تخصيص الحيف بالحاكم، فالآية واردة في سياق الحديث عن الوصية والخوف من أن يميل الموصي فيها كما سبق أن أشرنا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذه القراءة تؤكد أنه لا فرق بين اللفظين دلاليًّا؛ لأن "مثل هذه الروايات وغيرها – وهي كثيرة – لا تعتبر قرآنًا بحال، وإنما يوردها المفسرون على أساس أنها منهج الصحابي في التفسير، وقد أعرض عنها بالطبع أئمة الرواية"(٤)، فالقراءة تفسيرية موضحة لمعنى (الجنف) في الآية؛ مما يدل على أنه لا فرق بين اللفظين من حيث

(١) العين (ج ن ف) ١٤٣/٦.

(٢) تهذيب اللغة (ج ن ف) ٧٧/١١.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٣٨٨/٤.

(٤) القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية لمحمد حبش ص٤٩، ط: دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

دلالتهما على الميل والعدول عمومًا.

ويمكن أن يقال هنا: إن بين اللفظين قدرًا مشتركًا من الدلالة، وهو الدلالة على الميل في الحكم أو الحق الواجب كما سبق القول في لفظ (الجنف)، ولكن الميل في (الجنف) أعظم منه في (الحيف)؛ وذلك للدلالة الصوتية التي توحي بها أصوات اللفظين؛ فقد اختص الجنف بالصوت القوي وهو الجيم المجهورة الشديدة المقلقلة، بينما اختص الحيف بالصوت الضعيف، وهو الحاء المهموسة الرخوة؛ ولذلك ورد الجنف في سياق الحديث عن الجور والظلم في الوصية؛ لأن الموقف فيها أشد، والزجر في هذا الموضع آكد، فقد روي عن ابن عَبَّاسٍ قال: «الجَنَفُ فِي الْوَصِيَّةِ وَالْإِضْرَارُ فِيهَا مِنَ الكبائر»(١)، أما الحيف فقد ورد في سياق خوف المنافقين من حيف رسول اللهﷺ عليهم؛ ولما كان المنافقون يظهرون خلاف ما يبطنون ناسبت حالتهم هذه الحاء الخفية، ولما كانت أفئدتهم هواء وادعاءاتهم فارغة وحجتهم داحضة؛ فإنه ناسب ذلك الحاء غير الشديدة التي يتسرب هواؤها دون غلق؛ فالميل عن الحق والعدول عنه في الموضع الأول مُتيَقَّن منه؛ ولهذا ناسبه لفظ الجنف القوي، أما الموضع الثاني فالميل فيه مظنون وغير متحقق أصلًا؛ فناسبه لفظ الحيف الضعيف.

وكذلك من الألفاظ التي تتقارب دلاليًّا مع الحيف في الدلالة على الميل لفظ (الحنف)، وفرق أبو هلال العسكري بين الحيف والحنف – الذي سبق أن ذكرنا أنه صار حقيقة عرفية تدل على الميل من الأديان الباطلة إلى الإسلام – فقال: "الفرق بين الحنف والحيف أن الحنف هو العدول عن الحق، والحيف الحمل على الشيء حتى ينقصه، وأصله من قولك: تحيفت الشيء إذا تنقصته من حَافَّاته"(٢)، ويبدو

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه ٦٧٤/٢، والبيهقي في السنن الكبرى ٣٤/١٣.

(٢) معجم الفروق اللغوية ص٢٠٤، تح: الشيخ بيت الله بيات، ط: مؤسسة النشر الإسلامي بـ (قُم)، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

أن هذا التفريق غير دقيق؛ وذلك لأن ابن فارس قد أرجع قولنا: تحيفت الشيء إلى الميل والعدول أيضًا؛ لأننا إذا أمَلْنا الشيء على غير جهته التي كان عليها وهي وسطه فقد جعلناه في حافته، وفي هذا إمالة عن عرضه إلى جوانبه كما ذكر.

مما سبق يتبين لنا أن لفظ (الحيف) يدل في أصل معناه على الميل والعدول؛ ولهذا كان من الألفاظ الدالة على الميل والعدول في القرآن الكريم، غير أن الفرق بين الحيف والميل أن الحيف يغلب استعماله في الميل في الحكم والحق الواجب، وأن الميل خاص بالأمور القلبية؛ ولذلك كان الحيف حالة أكثر وضوحًا من الظلم والانحراف عن العدل، بينما الميل قد يكون تدريجيًّا أو جزئيًّا دون الوصول إلى حد الظلم الصريح.

١١- الدُّلُوك:

ورد لفظ الدُّلُوك في القرآن الكريم مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ ﴾[الإسراء: ٧٨].

وأرجعت بعض معاجم اللغة مادة (د ل ك) إلى الميل، إلا أنه يلاحظ من خلال تتبع أقوال أصحاب المعاجم واللغويين أن الدلوك عندهم يتوزع معناه بين اتجاهات ثلاثة:

١) أنه بمعنى الزوال، فقد خصَّه بعضهم في اللغة بذلك، يقول الأزهري: "فإنْ قِيلَ: فَمَا مَعْنى الدُّلُوكِ فِي كلامِ العَرَبِ؟ قيل: الدُّلوكُ: الزَّوَالُ؛ وَلذَلِك قيل لِلشَّمْسِ إذا زَالَتْ نصفَ النَّهارِ: دَالِكَةٌ، وَقيل لَهَا إذا أَفَلَتْ: دَالِكَةٌ؛ لأَنَّها فِي الحَالتَيْن زَائِلَةٌ"(١)، ويقول ابن فارس: "الدَّالُ وَاللَّامُ وَالْكَافُ أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى زَوَالِ شَيْءٍ عَنْ شَيْءٍ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا بِرِفْقٍ. يُقَالُ: دَلَكَتِ الشَّمْسُ: زَالَتْ، وَيُقَالُ:

(١) تهذيب اللغة (د ل ك) ٦٩/١٠.

دَلَكَتْ: غَابَتْ، وَالدَّلَكُ: وَقْتُ دُلُوكِ الشَّمْسِ"[١].

٢) أنه بمعنى الغروب والمغيب، فهناك أيضًا من خص لفظ الدلوك بالغروب كما في قول ابن دريد: "دَلَكَتِ الشمسُ: إِذا مَالَتْ عَن كبد السَّمَاء دلُوكًا، وَذَلِكَ الْوَقْت يسمّى الدَّلَك. قَالَ الراجز[٢]:

تَبَلُّجُ الزّهراء عَن جِنْحِ الدَّلَكْ

الزّهراء: الشَّمْس، ويُروى: فِي قَرْنِ الدَّلَك. وَقَالَ قوم من أهل اللُّغَة: دَلَكَتْ إِذا مَالَتْ للغروب"[٣]، وكما في قول الأزهري: "وَقَالَ الفراءُ: جاءَ عَن ابْن عَبَّاس فِي دُلُوكِ الشمسِ أَنَّه زوالُهَا للظُّهرِ، قَالَ: ورأَيتُ الْعَرَب يَذهبُونَ بالدُّلُوكِ إِلَى غِيابِ الشَّمْس"[٤]، وكما حكى ابن فارس في آخر النص المنقول عنه.

٣) أنه بمعنى الميل مطلقًا، وهو قول المحققين منهم، يقول أبو عبيد الهروي: "وروى نافع عن ابن عمر: دلوكها ميلها، وقال ابن عرفة: سمعت أحمد بن يحيى يقول: دلكت الشمس إذا مالت"[٥]، ويقول ابن الأثير: "«دُلُوك الشَّمْسِ» فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ الْحَدِيثِ، وَيُرَادُ بِهِ زَوالها عَنْ وسَط السَّماء وغُروبها أَيْضًا، وأَصْل الدُّلُوكِ: الميْل"[٦]، ويقول صاحب معجم (متن اللغة): "الدلوك: أصل

(١) مقاييس اللغة (د ل ك) ٢٩٧/٢.

(٢) الرجز لرؤبة في ديوانه ص١١٧، بعناية وتصحيح: وليم بن الورد البروسي، ط: دار ابن قتيبة – الكويت.

(٣) جمهرة اللغة (د ل ك) ٦٧٨/٢.

(٤) تهذيب اللغة (د ل ك) ٦٨/١٠، ٦٩.

(٥) الغريبين في القرآن والحديث ٦٤٨/٢، تح: أحمد فريد المزيدي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

(٦) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٣٠/٢.

معناه الميل، وهو في كلام العرب الزوال"[١].

ولكن الأرجح من وجهة نظر البحث أن الدلوك يعني الميل مطلقًا؛ وذلك لأن القولين الآخرين يمكن جمعهما تحت هذا القول؛ فالشمس تميل عند زوالها وعند غروبها؛ فلذلك يطلق على الزوال والغروب، والدلوك بهذا الاعتبار لفظ جامع، وإن كان إطلاقه على الميل وقت الزوال أكثر في لسان العرب كما سيتبين لنا فيما يأتي.

وبناءً على اختلاف أهل اللغة في تحديد المراد بالدلوك فقد اختلف أهل المعاني والمفسرون في تحديد الوقت المراد من دلوك الشمس، فنجد هذه الاتجاهات الثلاثة ماثلة في أذهان أهل المعاني والمفسرين وهم يذكرون معنى لفظ الدلوك في الآية الكريمة، فذكر أهل المعاني في معنى (دلوك الشمس) أقوال:

أحدها: أن دلوكها غروبها، وهو اختيار الفراء[٢]، وابن قتيبة[٣]، والراغب[٤].

وثانيها: أن الدلوك الزوال، يقول السمين: "الدلوك: الزوال، وهو ميلها عن الاستواء إلى الغروب"[٥]، وقد جعل ابن حسنون معنى دلوك الشمس "زوالها بلغة قريش"[٦]، في حين ذكر السيوطي أنه الزوال بلغة هذيل[٧].

وثالثها: أن الدلوك ميلها عند الزوال والغروب، وممن قال بذلك الزجاج[٨].

---

(١) معجم متن اللغة (د ل ك) ٤٤٣/٢.

(٢) معاني القرآن ١٢٩/٢.

(٣) غريب القرآن ص٢٥٩، ٢٦٠.

(٤) المفردات (د ل ك) ص٣١٧.

(٥) عمدة الحفاظ (د ل ك) ٢٠/٢.

(٦) اللغات في القرآن ص٣٤.

(٧) الإتقان ١١١/٢.

(٨) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٢٥٥/٣.

إلا أن المشهور عند بعض المفسرين وأئمة المذاهب أن في دلوك الشمس "تأويلين: **أحدهما:** أنه غروبها، وأن الصلاة المأمور بها صلاة المغرب، ومنه قول ذي الرمة[١]:

مَصَابِيحُ لَيْسَتْ بِاللَّوَاتِي تَقُودُهَا نُجُومٌ وَلا بِالآفِلاتِ الدَّوَالِكِ

قاله ابن مسعود، وابن زيد، ورواه مجاهد عن ابن عباس، وهو مذهب أبي حنيفة.

الثاني: أنه زوالها، والصلاة المأمور بها صلاة الظهر، وهذا قول ابن عباس في رواية الشعبي عنه، وهو قول أبي بردة، والحسن، وقتادة، ومجاهد، وهو مذهب الشافعي، ومالك؛ لرواية أبي بكر بن عمرو بن حزم عن ابن مسعود، وعقبة بن عامر قالا: قال رسول الله ﷺ[٢]: «أتاني جبريل لدلوك الشمس حين زالت فصَلَّى بي الظهر»"[٣].

وبناءً على أن المراد بالدلوك في اللغة الميل فإن من المفسرين من رجح أن يكون المراد بالدلوك ميلها عند الزوال، يقول الطبري: "وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بقوله ﴿ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمۡسِ ﴾: صلاة الظهر، وذلك أن الدلوك في كلام العرب: الميل، يقال منه: دلك فلان إلى كذا: إذا مال إليه. ومنه الخبر الذي رُوي عن الحسن أن رجلًا قال له: أيُدالك الرجل امرأته؟ يعني بذلك: أيميل بها إلى المماطلة بحقها..... فإذا كان معنى الدلوك في كلام العرب هو الميل، فلا شكّ أن الشمس إذا زالت عن كبد السماء، فقد مالت للغروب، وذلك وقت صلاة الظهر، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله ﷺ"[٤]، ووافقه

(١) من الطويل، وهو لذي الرمّة في ديوانه ١٧٣٤/٣.

(٢) الحديث أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار ٢٩٢/٢، والسنن الكبرى ٥٣٢/١.

(٣) النكت والعيون للماوردي ٢٦٢/٣.

(٤) جامع البيان للطبري ٥١٦/١٧، ٥١٧.

في ذلك الرازي الذي ردَّ على من قال بأن لفظ الدلوك مختص بالغروب بقوله: "واعلم أن هذا الاستدلال ضعيف؛ لأن عندنا الدلوك عبارة عن الميل والتغير، وهذا المعنى حاصل في الغروب، فكان الغروب نوعًا من أنواع الدلوك، فكان وقوع لفظ الدلوك على الغروب لا ينافي وقوعه على الزوال، كما أن وقوع لفظ الحيوان على الإنسان لا ينافي وقوعه على الفرس"(١).

ولكن كثيرًا من المفسرين عدَّ هذين القولين في تفسير «الدلوك» بالزوال، وتفسيره بالغروب يرجعان إلى أصل واحد؛ وذلك لأن الدلوك هو الميل، والميل يشمل ميل الشمس لزوالها وميلها لغروبها، يقول ابن عطية عن هذين القولين: "وهما من جهة اللغة حسنان؛ وذلك أن الدلوك هو الميل في اللغة، فأول الدلوك هو الزوال، وآخره هو الغروب، ومن وقت الزوال إلى الغروب يسمى دلوكًا؛ لأنها في حالة ميل، فذكر الله الصلوات التي في حالة «الدلوك» وعنده، فيدخل في ذلك الظهر والعصر والمغرب ويصح أن تكون المغرب داخلة في غَسَقِ اللَّيْلِ"(٢)، ويقول ابن القيم عن هذين القولين: "وليسا بقولين، بل اللفظ يتناولهما معًا؛ فإن الدلوك هو الميل، ودلوك الشمس ميلها، ولهذا الميل مبدأ ومنتهى، فمبدؤه الزوال، ومنتهاه الغروب، فاللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار لا بتناول المشترك لمعنييه، ولا اللفظ لحقيقته ومجازه"(٣).

وعلى هذا فمن فسر الدلوك بميلها في الزوال فسره بذلك لابتداء الميل عنده، ومن فسره بالغروب فلأنه نهاية ميل الشمس حين تختفي، في حين أن كثيرًا من أهل المعاني والمفسرين اقتصر على أن لفظ الدلوك هو الميل مطلقًا، فيشمل الميل عند الزوال وعند الغروب، ولكن إطلاقه على وقت الزوال أكثر.

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣٨٣/٢١.

(٢) المحرر الوجيز ٤٧٧/٣.

(٣) التفسير القيم لابن القيم ص٢٥٠.

نخلص مما تقدم إلى أن الدلوك لفظ عام يشمل ميل الشمس عند الزوال، وميلها عند الغروب، وإن كان البحث يرجح أن الأولى أن يحمل الدلوك على الميل عند الزوال؛ لكثرة القائلين به، فإن أكثر المفسرين حملوه عليه؛ ولتكون الآية شاملة لكل أوقات الصلاة، فوقت الزوال يشمل صلاتي الظهر والعصر، وغسق الليل يشمل صلاتي المغرب والعشاء، قال أبو جعفر النحاس: "الدلوك في اللغة الميل، فهي تميل عند الزوال، وعند الغروب، إلا أن الزوال في هذا أكثر على ألسن الناس، ويدل عليه أن بعده إلى غسق الليل، فيدخل فيه الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وبعده ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ﴾، فلا يمتنع أن يكون غسق الليل أوله وذلك عند غروب الشمس، قال ذلك أبو هريرة، وهو يقوِّي قول من قال: الدلوك ميلها للزوال"[1].

وغير خافٍ –بناءً على ما سبق– أن الدلوك والميل يشتركان في دلالة الانحراف والزوال أو التحول، لكنهما يختلفان في طبيعة هذا الانحراف ومدى ارتباطه بالسياق اللغوي والقرآني، فلفظ الدلوك في السياق القرآني خاص بالدلالة على ميل الشمس عن وسط السماء باتجاه الغروب عند الزوال، فهو يدل في النص القرآني على الانحراف والميل التدريجي المرتبط بالزوال أو التغير في الزمن، بينما الميل يعبر عن انحراف أو توجه نحو شيء معين دون أن يكون مرتبطًا بالزوال أو التغير الزمني.

١٢- الرُّكُون:

وردت مادة (ر ك ن) في أربعة مواضع من القرآن الكريم، بصيغتين مختلفتين:

١– واحدة منها: الفعل المضارع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ

(١) معاني القرآن ١٣٢/٤.

فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾[هود: ١١٣]، وقوله ﷻ: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[الإسراء: ٧٤].

٢- والأخرى: على وزن (فُعْل) (رُكْن) في قوله تعالى: ﴿ قَالَ لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[هود: ٨٠]، وقوله سبحانه: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾[الذاريات: ٣٩].

وذكر أصحاب المعاجم أن مادة (ر ك ن) وما اشتق منها تدل في أصل معناها على الميل المصحوب بالاطمئنان والسكون، يقول الخليل: "رَكِنَ إلى الدنيا: مال إليها واطمأن يَركَنُ رَكَنًا، وَركَنَ يَركُنُ رُكُونًا، لغة سفلى مضر. وناس أخذوا من اللغتين فقالوا: رَكَنَ يَرْكَنُ. والرُّكْنُ: ناحية قوية من جبل، أو دار، والجمع: أركانٌ، وأركنت لحاجتي: نزلت. ورُكْنُ الرجل: قومه وعدده الذين يعتز بهم. قال عز اسمه حكاية عن لوط: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾"(١)، ويقول الجوهري: "رَكَنَ إليه يَرْكُنُ بالضم، وحكى أبو زيد: رَكِن إليه بالكسر يَرْكَنُ رُكونًا فيهما، أي: مالَ إليه وسكن. قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾، وأمَّا ما حكَى أبو عمرو: رَكَنَ يركَن بالفتح فيهما فإنَّما هو على الجمع بين اللغتين. ورُكن الشيء: جانبه الأقوى. وهو يأوي إلى رُكْنٍ شديدٍ، أي عزّ ومَنَعَةٍ"(٢)، ويقول ابن الأثير: "وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ (٣): «دخَل الشَّامَ فَأَتَاهُ أُرْكُون قَرْية فَقَالَ: قَدْ صَنَعْت لَكَ طَعامًا»، هُوَ رَئِيسُهَا ودِهْقانُها الْأَعْظَمُ، وَهُوَ أُفْعُول مِنَ الرُّكُونِ: السُّكون إِلَى الشَّيْءِ والمَيْل إِلَيْهِ؛

(١) العين (ر ك ن) ٣٥٤/٥.

(٢) الصحاح (ر ك ن) ٢١٢٦/٥.

(٣) الحديث في الغريبين في القرآن والحديث للهروي ٧٧٦/٣، والفائق ٨١/٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ٤١٣/١.

لِأَنَّ أَهْلَهَا إِلَيْهِ يَرْكَنُونَ، أَيْ: يَسْكنون ويَمِيلون"[١].

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن الركون يدور معناه في المعاجم العربية حول الجانب، والعزة والمنعة، وكلها معانٍ يمكن إرجاعها إلى أصل واحد، وهو الميل، فالركن وهو الجانب، سمي بذلك؛ لأن المعتمد عليه يميل بجنبه إليه، ثم استعير الركن للأعوان وللعشيرة الذين يتقوى ويعتز بهم الرجل، فمن يتقوى بغيره يميل إليه لذلك، مع ملاحظة صفات الاطمئنان، والسكون، والرضا التي يتصف بها المائل إلى كل ذلك.

ولم تكن هذه المعاني غائبة عن أذهان أهل المعاني والمفسرين حين تطرقوا لبيان معنى مادة (ر ك ن) في المواضع الواردة فيها، فقالوا في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾: "ولا تميلوا أيها الناس إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، فتمسكم النار بفعلكم ذلك"[٢]، وإن كان المفسرون قد اختلفوا في المراد بالركون الذي يوجب مس النار إلى أربعة أقوال: "أحدها: لا تميلوا إلى المشركين، قاله ابن عباس. والثاني: لا تَرضوا أعمالهم، قاله أبو العالية. والثالث: لا تلحقوا بالمشركين، قاله قتادة. والرابع: لا تُداهنوا الظلمة، قاله السّدّيّ، وابن زيد"[٣]، ويقول ابن عاشور: " الرُّكُونُ: الْمَيْلُ وَالْمُوَافَقَةُ، وَفِعْلُهُ كَعَلِمَ. وَلَعَلَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الرُّكْنِ – بِضَمٍّ فَسُكُونٍ – وَهُوَ الْجنب؛ لأنّ المائل يُدْنِي جَنْبَهُ إِلَى الشَّيْءِ الْمُمَالِ إِلَيْهِ. وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْمُوَافِقِ، فَبَعْدَ أَنْ نَهَاهُمْ عَنِ الطُّغْيَانِ نَهَاهُمْ عَنِ التَّقَارُبِ مِنَ الْمُشْرِكِينَ؛ لِئَلَّا يُضِلُّوهُمْ وَيُزِلُّوهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ"[٤]، ولكن البحث

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/٢٦١.
(٢) جامع البيان للطبري ١٥/٥٠٠.
(٣) زاد المسير في علم التفسير ٢/٤٠٥.
(٤) التحرير والتنوير ١٢/١٧٧، ١٧٨.

يرى أن هذه الأقوال ما هي إلا تفسير للميل والركون إلى الظلمة، وأن هذا اللفظ يشمل كل ما ذكر من آراء تفسيرية في هذه الآية، يقول ابن عطية: "فالركون يقع على قليل هذا المعنى وكثيره، والنهي هنا يترتب من معنى الركون على الميل إليهم بالشرك معهم إلى أقل الرتب من ترك التغيير عليهم مع القدرة"(١)، وذلك – أيضًا – لأن "الركون إذا تعدَّى بـ (إلى) كان بمعنى الميل، ومنه الركن المستند إليه غيره، لكنه ليس مطلق الميل؛ بل الميل اليسير، وأدنى الميل"(٢).

وفي هذه الآية لطيفتان أشار إليهما بعض العلماء بناءً على أن الركون هو الميل اليسير؛ بما يبرز القيمة التعبيرية والسياقية للفظ ﴿تَرۡكَنُوٓاْ﴾ في الآية وما تدل عليه، خاصة حين تُضَم إلى الألفاظ الأخرى الموجودة في سياق الآية الكريمة، **أما اللطيفة الأولى** فقد أشار إليها الزمخشري بقوله: "وتأمّل قوله: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ﴾ فإن الركون هو الميل اليسير، وقوله: ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، أي: إلى الذين وجد منهم الظلم، ولم يقل: إلى الظالمين"(٣)، ومعنى كلام الزمخشري أن الله سبحانه وتعالى عبر عن الميل بالركون؛ لأن الركون هو الميل اليسير؛ وذلك ليناسب سياق الحديث عمن ظَلَم، والذين عبر عنهم بـ ﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾، أي وجد منهم أي ظلم، وجاءت جملة ﴿إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾؛ للدلالة على أن الظلم منهم ليس سجية أو طبيعة؛ ولهذا لم يقل: (الظالمين) الدالة على أن الظلم متأصل فيهم وثابت لهم، ومعلوم أن (الظالمين) اسم فاعل يدل على الثبوت والاستمرار؛ لهذا كله ناسب التعبير عن الميل إلى الذين ظلموا التعبير بلفظ (الركون) دون غيره من ألفاظ الميل.

---

(١) المحرر الوجيز ٤٧٧/٣.

(٢) حاشية الشهاب علي تفسير البيضاوي ١٤٣/٥.

(٣) الكشاف ٤٣٣/٢.

واللطيفة الثانية في هذه الآية أشار إليها الزركشي بقوله: "فإنه سبحانه لما نهى عن الركون إلى الظالمين وهو الميل إليهم والاعتماد عليهم وكان دون ذلك مشاركتهم في الظلم أخبر أن العقاب على ذلك دون العقاب على الظلم وهو مس النار الذي هو دون الإحراق والاضْطِرَامِ"(١)، ومعنى هذا أن العقاب على الظلم يختلف عن العقاب على الميل إلى الظالمين؛ ولهذا عبر عن هذا العقاب بـ «المس» دون «الإحراق»؛ فناسب سياقَ الحديث عن الميل اليسير المسُّ الخفيف دون غيره من الألفاظ القوية الدالة على العذاب.

واتفقوا على أن المراد بالركون في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾ هو: "لقد كدت تميل إليهم وتطمئنّ شيئًا قليلًا"(٢).

أما لفظ الرُّكْن في قوله تعالى: ﴿أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾[هود: ٨٠]، وقوله ﷻ: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾[الذاريات: ٣٩] فبالرغم من أن المفسرين وأهل المعاني قد فسروه بالعضد والقوة والمنعة إلا أنهم أرجعوه إلى الميل مع السكون، يقول الراغب: "رُكْنُ الشيء: جانبه الذي يسكن إليه، ويستعار للقوّة، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴾"(٣)، ووافقه في ذلك مقاتل(٤)، والفيروزآبادي(٥)، ويقول السمين: "قوله: ﴿ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ ﴾، أي: بما كان يركن إليه، أي يميل ويتقوى به من

(١) البرهان في علوم القرآن ٣٧٩/٣، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٥٧م.

(٢) جامع البيان للطبري ٥٠٨/١٧.

(٣) المفردات في غريب القرآن (ر ك ن) ص٣٦٥.

(٤) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان ٩٨/٣، تح: عبد الله محمود شحاتة، ط: دار إحياء التراث ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

(٥) ينظر: بصائر ذوي التمييز ٩٨/٣.

جنده"[١].

مما سبق يتبين لنا أن لفظ (الركون) يعد من الألفاظ التي جاءت بمعنى الميل دلاليًّا، ومن فسره بمعنى الود والمحبة والطاعة والقوة والمنعة وغيرها من الألفاظ في الآيات الوارد فيها هذا اللفظ فإنه قد فسره بلازمه، فإنه يلزم من الركون إلى الظالمين – مثلًا – مودتهم ومحبتهم وطاعتهم والسكون والاطمئنان إليهم، وهو ما ذكره بعض اللغويين الذين ذكروا أن الركون هو الميل المصحوب بالسكون والاطمئنان، الذي يصل إلى حدِّ الاعتماد أو الاستسلام، وهو ما يفسر لنا سبب اختيار هذا اللفظ في المواضع التي ورد فيها دون غيره من الألفاظ، وكذلك يوضح لنا الفرق الدلالي بين هذا اللفظ ولفظ الميل؛ فإن الركون ميل مع سكون واطمئنان إلى الشيء الممال إليه، وليس كذلك لفظ الميل الذي يدل على مطلق الميل، فالركون حالة أكثر ثباتًا واستقرارًا من الميل، حيث يعكس ارتباطًا دائمًا أو قبولًا واضحًا، في حين قد يكون الميل تدريجيًّا أو جزئيًّا دون الوصول إلى حد الاطمئنان الكامل، أو الاستسلام التام.

١٣- الرَّوْغ والرَّوَغَان:

وردت مادة (ر و غ) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع بصيغة واحدة، هي الفعل الماضي (راغ)، وهذه المواضع هي:

١، ٢– قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾[الصافات: ٩١: ٩٣].

٣– قوله ﷻ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴾[الذاريات: ٢٦].

ويلاحظ على هذه المواضع أن هذه المادة لم ترد في القرآن الكريم إلا في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام.

(١) عمدة الحفاظ (ر ك ن) ٢/١١٠.

وقد أرجع أصحاب المعاجم وأهل العربية الأصل الدلالي لهذه المادة إلى الميل مع الاستخفاء والاحتيال، فبين ابن فارس أنها "أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَيْلٍ وَقِلَّةِ اسْتِقْرَارٍ. يُقَالُ: رَاغَ الثَّعْلَبُ وَغَيْرُهُ يَرُوغُ، وَطَرِيقٌ رَائِغٌ: مَائِلٌ، وَرَاغَ فُلَانٌ إِلَى كَذَا: إِذَا مَالَ سِرًّا إِلَيْهِ... وَمِنَ الْبَابِ: رَاوَغَ فُلَانٌ فُلَانًا، إِذَا صَارَعَهُ؛ لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُرِيغُ الْآخَرَ، أَيْ: يُدِيرُهُ"(١)، ويقول الخليل: "وما زال فلانٌ يَروغُ عنّي، أي: يحيد. وطريقٌ رَائغٌ، أَي: مائل. وراغ فلانٌ إلى فلانٌ، أَي: مَال إليه سرًّا... والرَّائِغُ: ما حادَ عن الطّريق الأعظم. وتقول: راغ عليه بضَرْبةٍ، أي: مال، إذا فعل ذلك سِرًّا، قال جلَّ وعزَّ: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾، وقول الله جلَّ وعزَّ: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴾، كلّ ذلك انحرافٌ في استخفاء"(٢).

ومن هذا يتبين لنا أن لفظ الروغ يدور معناه حول الميل في استخفاء وتحايل وعدم استقرار، ومنه الطريق الرائغة وهو الطريق المائل، وَ"فِي حَدِيثِ الْأَحْنَفِ(٣): «فعَدَلتُ إِلَى رَائِغَةٍ مِنْ رَوَائِغِ المَدِينة»، أَيْ: طَرِيق يَعْدِل ويَمِيل عَنِ الطَّرِيقِ الأَعْظَم"(٤)، والمراوغة بمعنى المصارعة كذلك؛ لأن كل واحد من المتصارعين يريد أن يميل الآخر ويصرعه.

ولم يكن أهل المعاني والمفسرون ببعيدين عن هذه المعاني لمادة (ر و غ) وهم يفسرونها في مواضعها الواردة فيها، فها هو الفراء يذكر أن قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ معناه: "مال عليهم ضربًا، واغتنم خَلوتَهم من أهل

(١) مقاييس اللغة (ر و غ) ٤٦٠/٢.
(٢) العين (ر و غ) ٤٤٥/٤.
(٣) الحديث في المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للمديني ٨٢١/١، و ١٨٤/٢.
(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٧٨/٢.

دينهم... وكأن الروغ هاهنا أنّه اعتلّ رَوْغًا ليفعل بآلهتهم ما فعل"[١]، ويقول في موضع آخر: "والروغ وإن كَانَ عَلَى هَذَا المعنى فإنه لا يُنطق بِهِ حَتَّى يكون صاحبه مُخْفيًا لذهابه، أَوْ مجيئه؛ ألا ترى أنك لا تَقُولُ: قَدْ راغ أهل مكَّة، وأنت تريد رجعوا أَوْ صدروا؟ فلو أخفى راجِعٌ رُجُوعَه حَسُنَتْ فِيهِ: راغ ويروغ"[٢]، واتفق معه ابن قتيبة[٣]، ويقول الراغب: "الرَّوْغُ: الميل على سبيل الاحتيال، ومنه: رَاغَ الثّعلب يَرُوغُ رَوَغَانًا، وطريق رَائِغٌ: إذا لم يكن مستقيما، كأنه يُرَاوِغُ، ورَاوَغَ فلان فلانا، ورَاغَ فلان إلى فلان: مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال، قال: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾، ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾، أي: مال، وحقيقته: طلب بضرب من الرَّوَغَانِ، ونبّه بقوله: (على) على معنى الاستيلاء"[٤].

فمعنى قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ ﴾: "مال إليها، وهو ميل في خفية، يقال: راغ إليه، أي: مال إليه سرًّا... ثم أقبل عليهم ضربًا كما قال الله: ﴿ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يريد: فأقبل عليهم، وهذا معنى وليس بتفسير، وتفسيره: مال عليهم بالضرب، قاله الزجاج والمبرد وابن قتيبة، وقال الزجاج: المعنى فمال إلى الأصنام يضربهم ضربًا، وقال المبرد: مال عليهم بالضرب، وقال ابن قتيبة: مال عليهم يضربهم"[٥].

ويبين الرازي القيمة الدلالية للتعبير بلفظ (راغ) في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ ﴾ فيقول: "وقوله هاهنا: ﴿ فَرَاغَ ﴾ فإن الروغان يدل على السرعة والروغ الذي

(١) معاني القرآن ٣٨٨/٢.
(٢) المصدر السابق ٨٦/٣.
(٣) غريب القرآن ص٤٢١.
(٤) المفردات في غريب القرآن (ر و غ) ص٣٧٣.
(٥) التفسير البسيط للواحدي ٧٣/١٩.

بمعنى النظر الخفي أو الرواح المخفي أيضًا كذلك، ثم الإخفاء فإن المضيف إذا أحضر شيئًا ينبغي أن يخفيه عن الضيف؛ كيلا يمنعه من الإحضار بنفسه حيث راغ هو، ولم يقل: هاتوا، وغيبة المضيف لحظة من الضيف مستحسن؛ ليستريح، ويأتي بدفع ما يحتاج إليه، ويمنعه الحياء منه"(١)، ويقول ابن عاشور: " وَقَالَ أَبُو عُبَيْدٍ الْقَاسِمُ بْنُ سَلَامٍ: إِنَّ الرَّوَغَانَ مَيْلٌ فِي الْمَشْيِ عَنِ الِاسْتِوَاءِ إِلَى الْجَانِبِ مَعَ إِخْفَاءِ إِرَادَتِهِ ذَلِكَ، وَتَبِعَهُ عَلَى هَذَا التَّقْيِيدِ الرَّاغِبُ وَالزَّمَخْشَرِيُّ وَابْنُ عَطِيَّةَ، فَانْتَزَعَ مِنْهُ الزَّمَخْشَرِيُّ أَنَّ إِخْفَاءَ إِبْرَاهِيمَ مَيْلَهُ إِلَى أَهْلِهِ مِنْ حُسْنِ الضِّيَافَةِ؛ كَيْلَا يُوهِمَ الضَّيْفَ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحْضِرَ لَهُمْ شَيْئًا؛ فَلَعَلَّ الضَّيْفَ أَنْ يَكُفَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَيَعْذُرَهُ، وَهَذَا مَنْزَعٌ لَطِيفٌ"(٢).

مما سبق يتبين سبب اختيار لفظ (راغ) دون غيره من الألفاظ؛ وذلك لأنه في سياق الحديث عن تحطيم آلهتهم؛ فكأن سيدنا إبراهيم احتال ومال إلى الآلهة في خفاء وسر ليفعل ما فعله بآلهتهم، وهنا لطيفة نبه عليها الراغب في نصه السابق، وهي تعدية (راغ) في قوله تعالى: ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴾ دون الموضعين الآخرين؛ وذلك للدلالة على الاستيلاء الذي كان مع الضرب، فكأنه قد تمكن منهم من أعلاهم إلى أسفلهم، ولم يكن هناك استيلاء في الموضعين الآخرين؛ لذلك لم يعده بـ (على)، وإنما عداه بـ (إلى)؛ لأنه كان مجرد ميل دون استيلاء أو تمكن، وكذلك في سياق الحديث عن ضيوف إبراهيم كأن سيدنا إبراهيم مال عن هؤلاء الضيوف متخفيًا مستترًا؛ لئلا يروه فيثنوه عن إكرامهم.

وبهذا القيد الذي ذكره العلماء مع لفظ (الروغ) يدرك الفرق بين هذا اللفظ والميل، فالروغ ميل مع احتيال واختفاء، وغالبًا ما يحمل دلالة التملص أو الخداع

(١) مفاتيح الغيب للرازي ١٧٧/٢٨.

(٢) التحرير والتنوير ٣٥٩/٢٦.

والمراوغة، أما الميل فهو عام في الانحراف أو العدول سواء كان معه احتيال وتخفٍّ أم لا.

١٤- الزَّوْر والازْوِرار:

وردت مادة (ز و ر) ومشتقاتها في القرآن الكريم في خمسة مواضع من القرآن الكريم، بثلاث صيغ مختلفة، هي:

١- المصدر، وذلك في أربعة مواضع، هي قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾[الحج: ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾[الفرقان: ٤]، وقوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِٱللَّغْوِ مَرُّوا۟ كِرَامًا﴾[الفرقان: ٧٢]، وقوله ﷻ: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا﴾[المجادلة: ٢].

٢- الفعل الماضي (زار)، وذلك في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾[التكاثر: ٢].

٣- مضارع (تَفَاعَل)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾[الكهف: ١٧].

وأرجع أصحاب المعاجم أصل معنى مادة (ز و ر) إلى الميل والعدول، فبين ابن فارس أنها "أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ وَالْعُدُولِ. مِنْ ذَلِكَ الزُّورُ: الْكَذِبُ؛ لِأَنَّهُ مَائِلٌ عَنْ طَرِيقَةِ الْحَقِّ. وَيُقَالُ: زَوَّرَ فُلَانٌ الشَّيْءَ تَزْوِيرًا، حَتَّى يَقُولُونَ: زَوَّرَ الشَّيْءَ فِي نَفْسِهِ: هَيَّأَهُ؛ لِأَنَّهُ يَعْدِلُ بِهِ عَنْ طَرِيقَةٍ تَكُونُ أَقْرَبَ إِلَى قَبُولِ السَّامِعِ..... وَالزَّوَرُ: الْمَيْلُ. يُقَالُ: ازْوَرَّ عَنْ كَذَا، أَيْ: مَالَ عَنْهُ، وَمِنَ الْبَابِ: الزَّائِرُ؛ لِأَنَّهُ إِذَا زَارَكَ فَقَدْ عَدَلَ عَنْ غَيْرِكَ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَى هَذَا، فَيُقَالُ لِرَئِيسِ الْقَوْمِ وَصَاحِبِ أَمْرِهِمْ:

الزُّوَيْرُ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَعْدِلُونَ عَنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَيْهِ....."[1]، ويقول الخليل: "والزَّوَر: مَيَلٌ في وَسَط الصّدر. وكَلْبٌ أَزْور: استدقّ جَوْشَنُ زَوْره وخرج كَلْكَلُه كأنّه قد خُصِر جانباه، وهو في غير الكلاب مَيَلٌ لا يكون معتدل التّربيع. قال أعرابيّ: الزَّوْر للزّائر، أي: صدرُ الدّجاجة للضّيف، ومَفازةٌ زوراء، أي: مائلة عن القصد والسّمت. والأَزْوَرُ: الذي ينظر إليك بمؤخّر عينه"[2]، ويقول الجوهري: "ويقال للقَوْسِ: زَوْراءُ لميْلِها، وللجيش: أزور، ودجلة بغداد تسمى: الزوراء، والازورار عن الشيء: العدول عنه. وقد ازْوَرَّ عنه ازوِرارًا، وازوار عنه ازويرارًا، وتزاور عنه تزاورًا، كلُّه بمعنى عَدَلَ عنه وانحرف"[3].

إذًا فمادة (ز و ر) دلالتها الأصلية في اللغة دلالة حسية، وهو الميل والاعوجاج في الزَّوْر، ومن هذا الأصل الحسي جاءت استعمالات المادة كلها في الميل، فالزُّور سمي زورًا؛ لأنه ميل عن الحق، أو كأنه مال عن الصدق إلى الكذب، والزائر سمي بذلك؛ لأنه يعدل عن غيرك ليزورك، ففي الزيارة ميل جسديٌّ، وآخر معنويٌّ عاطفيٌّ، والزوراء القوس؛ لميلها، ومدينة زوراء، أي: مائلة، ورجل أَزْوَرُ وَامْرَأَة زَوْراءُ إذا كَانَ فِي صدرهما ميل واعوجاج.

وهو ما اتفق فيه أهل المعاني والمفسرون مع أصحاب المعاجم وأهل العربية، يقول الراغب: "والزَّوَرُ: ميل في الزّور، والْأَزْوَرُ: المائلُ الزّور، وقوله: ﴿تَّزَٰوَرُ عَن كَهۡفِهِمۡ﴾، أي: تميل... يقال: تَزَاوَرَ عنه، وازْوَرَّ عنه، ورجلٌ أَزْوَرُ، وقومٌ زَوَّرٌ، وبئرٌ زَوْرَاءُ: مائلة الحفر، وقيل لِلْكَذِبِ: زُورٌ؛ لكونه مائلًا عن جهته، قال: ﴿ظُلۡمٗا وَزُورٗا﴾، و﴿قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾، ﴿مِّنَ ٱلۡقَوۡلِ وَزُورٗا﴾، ﴿لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾، ويسمّى

(١) مقاييس اللغة (ز ور) ٣/٣٦.
(٢) العين (ز و ر) ٧/٣٧٩.
(٣) الصحاح (ز و ر) ٢/٦٧٢، ٦٧٣.

الصّنم زُورًا؛ لكون ذلك كذبًا وميلًا عن الحقّ"(١)، ويقول القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمۡسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ﴾: "يَعْنِي بِقَوْلِهِ: ﴿تَّزَٰوَرُ﴾: تَعْدِلُ وَتَمِيلُ، مِنَ الزَّوَرِ: وَهُوَ الْعِوَجُ وَالْمَيْلُ، يُقَالُ مِنْهُ: فِي هَذِهِ الْأَرْضِ زَوَرٌ: إِذَا كَانَ فِيهَا اعْوِجَاجٌ، وَفِي فُلَانٍ عَنْ فُلَانٍ ازْوِرَارٌ، إِذَا كَانَ فِيهِ عَنْهُ إِعْرَاضٌ"(٢)، ووافقه ابن عطية في ذلك(٣).

إذًا فتزاور الشمس معناه أن الشمس تميل عن الكهف، كما يميل المتزاور عن الشيء بصدره ووجهه، فمعنى التَّزَاور: التمايل من الزَّوْر، "فإن قلت: كيف جاز أن يقال: تزاور، ولا يكاد يستعمل هذا البناء في هذا النحو؟ فإن هذا حَسُنَ لمّا كان معناه الميل عن الموضع، وقد استعملوا تمايل، فأجروا تزاور مجرى تمايل"(٤)، فكما "أنّ ﴿تَّقۡرِضُهُمۡ﴾: تجاوزهم وتتركهم عن شمالها، كذلك تزاور عنهم: تميل عنهم ذات اليمين، فإذا مالت عنهم إذا طلعت، وتجاوزتهم إذا غربت، وكانوا في فجوة من الكهف، دلَّ أن الشمس لا تصيبهم البتّة، أو في أكثر الأمر، فتكون صورهم محفوظة"(٥).

ويقول ابن عطية عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾: "والزُّور عام في الكذب والكفر؛ وذلك أن كل ما عدا الحق فهو كذب وباطل وزور... والزُّور مشتقٌ من الزَّوَر، وهو الميل، ومنه: في جانب فلان زَوَرٌ"(٦).

مما سبق يتبين لنا أن مادة (ز و ر) في اللغة تدور حول الميل والعدول عن

(١) المفردات في غريب القرآن (ز و ر) ص٣٨٦، ٣٨٧.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦١٩/١٧.
(٣) ينظر: المحرر الوجيز ٥٠٢/٣.
(٤) الحجة للقراء السبعة ١٣٣/٥.
(٥) المصدر السابق ١٣٤/٥.
(٦) المحرر الوجيز ١٢٠/٤.

الشيء، وهي كذلك في السياق القرآني؛ فتزاور الشمس معناه أن الشمس تميل عن الكهف، كما يميل المتزاور عن الشيء بصدره ووجهه، فمعنى التَّزَاور: التمايل، والزُّور: الميل عن الحق والصواب، وزيارة المقابر: الميل إليها، وبهذا يتضح لنا الفرق بين مادتي (ز و ر)، و (م ي ل) في أن الأولى ميل وعدول قد يكون حسِّيًّا كما في تزاور الشمس، والزيارة التي يكون فيها ميل جسدي، وقد يكون معنويًّا كما في الزُّور، وكما في الزيارة التي يكون فيها ميل معنويّ عاطفيّ، أما مادة (م ي ل) فالميل فيها قلبي عاطفي لا غير، وبناءً عليه يدل الزور والازْوِرار على الميل القوي أو العدول عن شيء معين، والميل يشير إلى الانحراف التدريجي دون الوصول إلى حدِّ القطيعة التامة.

١٥- الزَّيْغ:

وردت مادة (ز ي غ) ومشتقاتها في تسعة مواضع من القرآن الكريم بأربع صيغ مختلفة، وهذه الصيغ هي:

١- الفعل الماضي (زاغ)، وذلك في أربعة مواضع، هي: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾[الأحزاب: ١٠]، وقوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[ص: ٦٣]، وقوله ﷻ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[الصف: ٥].

٢- الفعل المضارع: وذلك في ثلاثة مواضع: أولها: قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾[آل عمران: ٨]، وثانيها قوله سبحانه: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾[التوبة: ١١٧]، وثالثها قوله ﷻ: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾[سبأ: ١٢].

٣- مصدر الفعل الثلاثي (زيْغ)، وذلك في موضع واحد في القرآن، هو قوله

تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾[آل عمران: ٧].

٤- الفعل الرباعي (أزاغ): في موضع واحد من الذكر الحكيم، هو قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾[الصف: ٥].

وذكر أصحاب المعاجم وأهل العربية أن مادة (ز ي غ) تعود في أصل معناها إلى الميل والعدول، فأشار ابن فارس إلى أنها "أصل يدل على ميل الشيء، يقال: زاغ يزيغ زيغًا. وَالتَّزَيُّغُ: التمايل، وقوم زاغة، أي: زائغون، وزاغت الشمس، وذلك إذا مالت وفاء الفيء، وقال الله جل ثناؤه: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، فأما قولهم: تَزَيَّغَتِ المرأة، فهذا من باب الإبدال، وهي نون أبدلت غينًا"(١)، ويقول الجوهري: "الزَيْغُ: الميلُ. وقد زاغَ يَزيغُ، وزاغَ البصر، أي: كَلَّ، وأَزاغَهُ عن الطريق، أي: أمالَه. وزاغَتِ الشمس، أي: مالت، وذلك إذا فاء الفيء، وقوم زاغة عن الشيء، أي زائغون. والتزايغ: التمايل، قال أبو زيد: تزيغت المرأة، أي: تزينت وتبرجت"(٢)، وأشار الكفوي إلى أن "كل مَا فِي الْقُرْآن من الزيغ فَهُوَ الْميل، إِلَّا ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فَإِن مَعْنَاهَا شخصت"(٣).

ومن هذه النصوص يتبين لنا أن معاني هذه المادة تدور حول الميل والعدول والانحراف، وأن أصل دلالتها كان حسيًّا؛ إذ هو من قولهم: التزايغ: التمايل في الأسنان، كما ذكر الخليل، ومن الاستعمالات المعاصرة قولهم: زاغ من المدرسة أو زوَّغ من العمل، وقد ذكر صاحب معجم (الصواب اللغوي) أن الأفصح: هرب من المدرسة أو العمل، ولكنه حكم بأن هذا التعبير صحيح على تضمين الفعل (زاغ) معنى الفعل «هرب» الذي يتعدى بحرف الجر «من»، والتضمين كثير في

(١) مقاييس اللغة (ز ي غ) ٣/٤٠، ٤١.
(٢) الصحاح (ز ي غ) ٤/١٣٢٠، وينظر: العين (ز ي غ) ٤/٤٣٤.
(٣) الكليات ص٥٨٦.

لغة العرب[١].

واتفق معهم أهل المعاني والمفسرون في إرجاع أصل هذه المادة إلى الميل، يقول ابن عزير السجستاني: "زيغ: ميل، وَقَوله جلّ وَعز: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾، أَي: ميل عَن الْحق. و ﴿زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾، أَي: مَالَتْ. وَقَوله جلّ وَعز: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾، أَي: فَلَمَّا مالوا عَن الْحق وَالطَّاعَة أمال الله قُلُوبهم عَن الْإِيمَان وَالْخَيْر"[٢]، ويقول الراغب: "الزَّيْغُ: الميل عن الاستقامة، والتَّزَايُغُ: التمايل، ورجل زَائِغٌ، وقوم زَاغَةٌ، وزائغون، وزاغت الشمس، وزَاغَ البصر"[٣].

ويلاحظ على المواضع التسعة التي ورد فيها لفظ (الزيغ) أنه قد ورد فيها منسوبًا إما إلى القلوب كما في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ الذي معناه: "فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق وانحرافٌ عنه، يقال منه: زاغ فلان عن الحق، فهو يَزيغ عنه زَيْغًا وزيَغانًا وزيْغُوغَة وزُيوغًا، وأزاغه الله: إذا أماله، فهو يُزيغه، ومنه قوله جل ثناؤه: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾: لا تُمِلْها عن الحق"[٤]، وكذلك قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ﴾ الذي اختُلِف في المراد بالزيغ فيه إلى ثلاثة أقوال: "أحدها: تميل إلى التخلف عنه، وهم ناس من المسلمين هَمُّوا بذلك، ثم لحقوه، قاله أبو صالح عن ابن عباس. والثاني: أن القلوب مالت إلى الرجوع للشدة التي لقوها، ولم تَزِغ عن الإيمان، قاله الزجاج. والثالث: أن

(١) ينظر: معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر ٤١٧/١، ط: عالم الكتب بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.

(٢) غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب لابن عُزير السجستاني، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط: دار قتيبة بسوريا، الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

(٣) المفردات في غريب القرآن (ز ي غ) ص٣٨٧.

(٤) جامع البيان للطبري ١٨٣/٦.

القلوب كادت تزيغ تلفًا بالجهد والشدة، ذكره الماوردي"[١].

وإما منسوبًا إلى الأبصار كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾، الذي ذكر المفسرون فيه وجهين: أحدهما: شخصت، والثاني: مالت، والشخوص غير الزيغ؛ لأن الشخوص هو أن يفتح عينه ينظر إلى الشيء فلا يطرف؛ يقال: شخص بصر الميت. وإنما فسروا الزيغ بالشخوص هاهنا؛ لأن المعنى أن الأبصار مالت عن كل شيء فلم تنظر إلا إلى هؤلاء الذين أقبلوا من كل جانب، كأنها اشتغلت عن النظر إلى شيء آخر فمالت عنه وشخصت بالنظر إلى الأحزاب[٢]، وزيغان البصر وميلانه كناية عن شدة الخوف، وذلك أن الخائف لا يستقرّ له بصرٌ؛ إشارةً إلى ما يداخلهم من الخوف حتى أظلمت أبصارهم[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، الذي اختلفوا في الزيغ فيه، هل هو في الدنيا، أم في الآخرة؟ فقد "قال مجاهد: أتخذناهم سخريًّا في الدنيا فأخطأنا، أم زاغت عنهم الأبصار فلم نعلم مكانهم؟ قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا، اتخذوهم سخريًّا، وزاغت عنهم أبصارهم في الدنيا محقرة لهم، وقيل: معنى ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، أي: أهم معنا في النار فلا نراهم"[٤].

وفي حقيقة الأمر فإن سياق الآيات يوحي بهذين الوجهين ويقويهما، وكذلك القراءات الواردة في قوله: ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾، وكذلك معنى ﴿أَمْ﴾ في الآية واتصالها بما قبلها؛ وذلك لأن قوله: ﴿أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ "له وجهان من الاتصال، **أحدهما:** أن يتصل بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾[ص: ٦٢]، أي: ما لنا لا نراهم في النار؟

(١) زاد المسير لابن الجوزي ٣٠٧/٢.
(٢) ينظر: التفسير البسيط للواحدي ١٨٦/١٨.
(٣) ينظر: عمدة الحفاظ (ز ي غ) ١٥٧/٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٢٥/١٥.

كأنهم ليسوا فيها، بل أزاغت عنهم أبصارنا فلا نراهم وهم فيها، قسموا أمرهم بين أن يكونوا من أهل الجنة، وبين أن يكونوا من أهل النار، إلا أنه خفي عليهم مكانهم.

والوجه الثاني: أن يتصل بـ ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا ﴾، إما أن تكون ﴿أَمْ﴾ متصلة على معنى: أيّ الفعلين فعلنا بهم: الاستسخار منهم، أم الازدراء بهم والتحقير، وأن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم، على معنى إنكار الأمرين جميعًا على أنفسهم، وعن الحسن: كل ذلك قد فعلوا، اتخذوهم سخريًا وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم. وإما أن تكون منقطعة بعد مضي اتخذناهم سخريًا على الخبر أو الاستفهام، كقولك: إنها إبل أم شاء، وأزيد عندك أم عندك عمرو، ولك أن تقدّر همزة الاستفهام محذوفة فيمن قرأ بغير همزته؛ لأنّ ﴿أَمْ﴾ تدل عليها، فلا تفترق القراءتان"[1].

والخلاصة: إن الكفار حين دخلوا النار ونظروا في جوانبها لم يروا المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم في الدنيا فتناجوا، وقالوا: ما بالنا لا نرى الذين كنا نتخذهم فى الدنيا سخريًا؟ ألم يدخلوا النار معنا، أم دخلوها ولكن زاغت عنهم أبصارنا فلم نرهم؟ هذا إذا تعلقت ﴿أَمْ﴾ بقوله: ﴿مَا لَنَا﴾، أما إذا تعلقت بقوله: ﴿ أَتَّخَذْنَاهُمْ﴾، فإن أريد الاستفهام فالمعنى: أي الفعلين فعلنا بهم، الاستسخار منهم أم ازدراؤهم وتحقيرهم؟ وإن أبصارنا كانت تعلو عنهم وتقتحمهم، ويكون استفهامًا على معنى الإنكار على أنفسهم، وإن لم يرد الاستفهام فـ «أم» منقطعة بمعنى «بل»، ويجوز أن تكون بمعنى «بل» أيضًا مع تقدم الاستفهام كقولك: أزيد عندك أم عندك عمرو؟ واستفهمت عن زيد، ثم أضربت عن ذلك واستفهمت عن عمرو،

(١) الكشاف ١٠٣/٤.

ويكون التقدير: بل أزاغت عنهم الأبصار[١].

وكذلك أسند الزيغ إلى البصر في قوله ﷻ: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾، قال ابن عباس: ما مال هكذا ولا هكذا، وقال الزمخشري: أي: أثبت ما رآه إثباتا مُسْتَيْقِنًا صَحِيحًا من غير أن يزيغ بصره أو يتجاوزه؛ إذ ما عدل عن رؤية العجائب التي أُمِر برؤيتها وَمُكِّنَ منها[٢]، وهذا وصف أدب النبيﷺ في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت جانبًا ولم يمد بصره إلى غير ما أري من الآيات واستقبله من العجائب.

ويبين الرازي القيمة الدلالية لإسناد الزيغ إلى البصر، وكذلك التعبير بـ «زاغ» و«طغى» دون «مال» و«جاوز»، فيقول: "إن كان المراد محمدًا، فلو قال: ما زاغ قلبه كان يحصل به فائدة قوله: ما زاغ البصر، نقول: لا؛ وذلك لأن من يحضر عند ملك عظيم يرى من نفسه أنه يهابه ويرتجف إظهارًا لعظمته مع أن قلبه قوي، فإذا قال: ما زاغ البصر يحصل منه فائدة أن الأمر كان عظيمًا ولم يزغ بصره من غير اختيارٍ من صاحب البصر... وأما على قولنا: غشيها نور فقوله: ما زاغ، أي: ما مال عن الأنوار، وما طغى أي: ما طلب شيئًا وراءها، وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال: ما زاغ، وما طغى، ولم يقل: ما مال، وما جاوز؛ لأن الميل في ذلك الموضع والمجاوزة مذمومان، فاستعمل الزيغ والطغيان فيه، وفيه وجه آخر وهو أن يكون ذلك بيانًا لوصول محمدﷺ إلى سدرة اليقين الذي لا يقين فوقه، ووجه ذلك أن بصر محمدﷺ ما زاغ، أي: ما مال عن الطريق، فلم ير الشيء على خلاف ما هو عليه، بخلاف من ينظر إلى عين الشمس مثلًا، ثم ينظر إلى شيء أبيض، فإنه يراه أصفر أو أخضر يزيغ بصره عن جادة الأبصار، وما

(١) ينظر: البحر المحيط ١٧٠/٩، ١٧١.

(٢) ينظر: البحر المحيط ١٤/١٠، والكشاف ٤٢١/٤.

طغى: ما تخيل المعدوم موجودًا فرأى المعدوم مجاوزًا الحد"[١].

ولم يسند الزيغ إلى القلوب أو الأبصار في موضع سورة سبأ، وهو قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾، فإنه ورد عامًّا في معنى الميل، ومعناه: يمل ويعدل عَنْ أَمْرِنا الذي أمرناه به من طاعة سليمان[٢].

ومن هذا يتبين لنا أن الزيغ هو الميل على الإطلاق، ثم يكون ميلًا بالقلوب عن الحق، ويكون ميلًا عن الطمأنينة، ويكون ميلًا عن الرؤية فيزيغ البصر عن الشيء بأن ينحرف عنه فلا يراه، ويقع الغلط في الرؤية تبعًا لذلك؛ ولذلك نفى الله زيغ بصر رسولهﷺ في قوله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[٣]، ومن هذا يعلم الفرق بين الزيغ والميل، فالميل عام في المحبوب والمكروه، والزيغ ميل عن الحق والباطل، وكذلك فإن الميل أكثر ما يستخدم في الميل القلبي، أما الزيغ فعام في الميل القلبي وغيره، يقول أبو هلال العسكري: "الفرق بين الزيغ والميل: أن الزيغ مطلقًا لا يكون إلا الميل عن الحق، يقال: فلان من أهل الزيغ، ويقال أيضًا: زاغ عن الحق، ولا أعرف زاغ عن الباطل؛ لأن الزيغ اسمٌ لميلٍ مكروهٍ؛ ولهذا قال أهل اللغة: الفرغ زيغ في الرسغ، والميل عام في المحبوب والمكروه"[٤]، ويقول الراغب: "وزاغ وزال ومال تتقاربُ، لكن زاغ لا تُقال إلا فيما كان عن حقٍّ إلى باطلٍ"[٥].

١٦-السُّجُود:

ترد مادة (س ج د) في اللغة العربية لمعانٍ متعددة، ومن هذه المعاني معنى

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٢٤٦/٢٨.

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٣٧/٢٢.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (ز ي غ) ٩٠٢/٢.

(٤) معجم الفروق اللغوية ص٢٦٩.

(٥) تفسير الراغب الأصفهاني ٤١٣/٢، تح: عادل بن علي الشِّدِي، ط: دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م.

الميل، يقول ابن قتيبة: "وَقد يجوز أَن يُسمى الرَّاكِع سَاجِدًا غير أَنه لم يسْتَعْمل فِي الصَّلَاة؛ لِأَن السُّجُود أَيْضًا إِنَّمَا هُوَ التطامن والميل مَعًا. يُقَال: سجد الْبَعِير وأسجد إِذا خفض رَأسه ليركب، وسجدت النَّخْلَة إِذا مَالَتْ، وَهَذِه نخل سواجد، أَي: موائل"(١)، ويقول ابن الأنباري: "والساجد: المنحني عند بعض العرب، وهو في لغة طيئ المنتصب... والسجود في غير هذا: الخشوع والخضوع والتذلّل؛ كقوله جلّ اسمه: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴾[الحج: ١٨]، فسجود الشمس والقمر على جهة الخشوع والتذلل... وقد قال الله ﷻ: ﴿ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴾[الرحمن: ٦]، فخبّر عن النجم والشجر بالسجود على معنى الميْل، أَي: يستقبلان الشمس ثمَّ يميلان معها حتَّى يَنْكَسِرَ الفيء، والسُّجود في الصَّلاة سُمِّي سجودًا لعلَّتين: إحداهما أَنه خُضوعٌ وتَذَلُّلٌ لله جلّ وعزّ؛ إِذْ كانت العرب تجعل الخاضع ساجدًا. والعلة الأُخرى أَنَّهُ سُمِّيَ سجودًا لأَنَّه بالميل يقع، والانحناء والتطاطؤ"(٢)، ويقول القاضي عياض: "وأصل السُّجُود الْميل والانحناء، سجدت النَّخْلَة: مَالَتْ"(٣)، ويقول ابن منظور: "وَنَخْلَةٌ سَاجِدَةٌ: إِذا أَمالها حِمْلُهَا، وَسَجَدَتِ النَّخْلَةُ: إِذا مَالَتْ. وَنَخْلٌ سَوَاجِدُ: مَائِلَةٌ؛ عَنْ أَبي حَنِيفَةَ"(٤).

إِذًا فالسجود يدل في أحد معانيه على الميل مع ملاحظة قيد التطأطؤ والانحناء، وقد أشار أهل المعاني والمفسرون إلى أن السجود ورد بمعنى الميل في موضعين من القرآن الكريم، هما: قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَىٰ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ

(١) غريب الحديث ص١٤١، تح: عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني ببغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.

(٢) الأضداد ص٢٩٤ ـ ٢٩٧، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية، لبنان، طبعة سنة ١٩٨٧م.

(٣) مشارق الأنوار على صحاح الآثار ٢٠٧/٢، ط: المكتبة العتيقة ودار التراث.

(٤) اللسان (س ج د) ٢٠٦/٣.

﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَٱلشَّمَآئِلِ سُجَّدٗا لِلَّهِ وَهُمۡ دَٰخِرُونَ﴾[النحل: ٤٨]، وقوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا﴾[الرعد: ١٥]، فقال المفسرون فيهما: ميلانها سجودها، وشرح ابن قتيبة هذا شرحًا وافيًا فقال: "وأصل السجود: التطأطؤ والميل، يقال: سجد البعير وأسجد: إذا طؤطيء ليركب، وسجدت النّخلة: إذا مالت... ومن هذا قيل لمن وضع جبهته بالأرض: ساجد؛ لأنه تطامن في ذلك. ثم قد يستعار السجود فيوضع موضع الاستسلام والطاعة والذّل، كما يستعار التطأطؤ والتّطامن فيوضعان موضع الخشوع والخضوع والانقياد والذل، فيقال: تطامن للحق، أي أخضع له، وتطأطأ لها تخطّك، أي تذلّل لها ولا تعزّز، ومن الأمثال المبتذلة[1]: «اسجد للقرد في زمانه»، يراد: اخضع للسّفلة واللئيم في دولته، ولا يراد معنى سجود الصلاة... والشمس والظلّ خلقان مسخّران لأن يعاقب كلّ واحد منهما صاحبه بغير فصل، والظلّ في أول النهار قبل طلوع الشمس يعمّ الأرض كما تعمّها ظلمة الليل، ثم تطلع الشمس فتعمّ الأرض إلا ما سترته الشّخوص، فإذا ستر الشّخص شيئًا عاد الظّل، فرجوع الظلّ بعد أن كان شمسًا، ودورانه من جانب إلى جانب هو سجوده،؛ لأنه مستسلم منقاد مطيع بالتّسخير، وهو في ذلك يميل، والميل: سجود"[2]، ويقول الطبري عن الآية الأولى: "واختلف في معنى قوله: ﴿سُجَّدٗا لِلَّهِ﴾، فقال بعضهم: ظلّ كلّ شيء سجوده... وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر في هذه الآية أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: مَيَلانها ودورانها من جانب إلى جانب، وناحية إلى ناحية كما قال ابن عباس، يقال من ذلك: سجدت النخلة إذا مالت، وسجد البعير

(١) أورده الميداني في مجمع الأمثال ٣٥٦/١، ونصه: اسْجُدْ لِقِرْدِ السُّوء فِي زَمَانِهِ.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٣٦، ٢٣٧، تح: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

وأسجد: إذا أميل للركوب"[١].

ويقول ابن عاشور عن آية الرعد: "وَمَعْنَى سُجُودِ الظِّلَالِ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهَا مِنْ أَعْرَاضِ الْأَجْسَامِ الْأَرْضِيَّةِ، فَهِيَ مُرْتَبِطَةٌ بِنِظَامِ انْعِكَاسِ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ عَلَيْهَا وَانْتِهَاءِ الْأَشِعَّةِ إِلَى صَلَابَةِ وَجْهِ الْأَرْضِ حَتَّى تَكُونَ الظِّلَالُ وَاقِعَةً عَلَى الْأَرْضِ وُقُوعَ السَّاجِدِ، فَإِذَا كَانَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَأْبَى السُّجُودَ لِلَّهِ أَوْ يَتْرُكُهُ اشْتِغَالًا عَنْهُ بِالسُّجُودِ لِلْأَصْنَامِ فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مِثَالَهُ شَاهِدًا عَلَى اسْتِحْقَاقِ اللَّهِ السُّجُودَ إِلَيْهِ شَهَادَةً رَمْزِيَّةً... وَالْغَرَضُ مِنْ هَذَا الِاسْتِدْلَالِ الرَّمْزِيِّ التَّنْبِيهُ لِدَقَائِقِ الصُّنْعِ الْإِلَهِيِّ كَيْفَ جَاءَ عَلَى نِظَامٍ مُطَّرِدٍ دَالٍّ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ... وَالِاسْتِدْلَالُ مَعَ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَسْجُدُ لِلَّهِ؛ لِأَنَّ ظِلَالَهَا وَاقِعَةٌ عَلَى الْأَرْضِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هِيَ مَسَاجِدُ لِلْأَصْنَامِ، وَأَنَّ الْأَصْنَامَ لَهَا أَمْكِنَةٌ مُعَيَّنَةٌ هِيَ حِمَاهَا وَحَرِيمُهَا، وَأَكْثَرُ الْأَصْنَامِ فِي الْبُيُوتِ مِثْلُ: الْعُزَّى وَذِي الْخَلَصَةِ وَذِي الْكَعْبَاتِ حَيْثُ تَنْعَدِمُ الظِّلَالُ فِي الْبُيُوتِ"[٢].

فتحقيق المعنى في هاتين الآيتين: أن ظلال الأشياء هي التي تسجد، وسجودها: ميلانها ودورانها من جانب إلى جانب. يقال: سجدت النخلة إذا مالت. وسجد البعير، وأسجد، إذا طؤطئ ليركب، ومن هذا قيل لمن وضع جبهته في الأرض ساجد؛ لأنه تطامن وأمال رأسه إلى الأرض، فلفظ السجود يدل على الميل مع الانحناء والانخفاض، وعليه يمكن التفريق بين السجود والميل بأن الأول يدل على الميل مع الخضوع التام والانحناء تعظيمًا لله، وهو فعل يعبر عن الطاعة المطلقة والتذلل لله سبحانه وتعالى، فالسجود في السياق القرآني فعل إيجابيّ يعبر عن الطاعة والخضوع لله، في حين أن لفظ الميل فعل سلبي يحمل دلالة الانحراف

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢١٦/١٧ ـ ٢١٨.

(٢) التحرير والتنوير ١١١/١٣، ١١٢.

عن الاستقامة، وكذلك فإن السجود فعل حسِّي عضوي في حين أن الميل فعل معنوي باطني.

١٧- الشَّطَط:

وردت مادة (ش ط ط) ومشتقاتها في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع بصيغتين، هما:

١- المصدر من الفعل (شطَّ)، وقد وردت هذه الصيغة مرتين في القرآن الكريم، أولاهما: قوله تعالى: ﴿لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾[الكهف: ١٤]، وثانيتهما: قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا﴾[الجن: ٤].

٢- الفعل المضارع من (أَشَطَّ)، وذلك في موضع واحد من القرآن الكريم، هو قوله تعالى: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾[ص: ٢٢].

وقد بين بعض أصحاب المعاجم أن هذه المادة تعود في أصل معناها إلى الميل، يقول ابن فارس: "الشِّينُ وَالطَّاءُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ: أَحَدُهُمَا الْبُعْدُ. وَالْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ..... وَأَمَّا الْمَيْلُ فَالْمَيْلُ فِي الْحُكْمِ. وَيَجُوزُ أَنَّ يُنْقَلَ إِلَى هَذَا الْبَابِ الِاحْتِجَاجُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُشْطِطْ﴾ أَيْ: لَا تَمِلْ. يُقَالُ: شَطَّ، وَأَشَطَّ، وَهُوَ الْجَوْرُ وَالْمَيْلُ فِي الْحُكْمِ. وَفِي حَدِيثِ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ[(١)]: «إِنَّكَ لَشَاطِّيٌّ حَتَّى أَحْمِلَ قُوَّتَكَ عَلَى ضَعْفِي»، شَاطِّيٌّ، أَي: جَائِرٌ فِي الْحُكْمِ عَلَيَّ. وَالشَّطُّ: شَطُّ السَّنَامِ، وَهُوَ شِقُّهُ، وَلِكُلِّ سَنَامٍ شَطَّانِ. وَإِنَّمَا سُمِّيَ شَطًّا؛ لِأَنَّهُ مَائِلٌ فِي أَحَدِ الْجَانِبَيْنِ... وَنَاقَةٌ شَطُوطَى مِنْ هَذَا. وَشَطُّ النَّهْرِ يُسَمَّى شَطًّا لِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ فِي الْجَانِبَيْنِ"[(٢)]، ويقول الخليل: "الشَّطط: مجاوزة القدر في كلِّ شيء... وأشطّ الرجل إشطاطًا، أي: جار في قضيَّته. واشتطَّ فيما يطلب من الثمن، وفيما يحتكم من حكومة، تقول: احْتَكِمْ ولا تُشطط، أي: لا

(١) الحديث في غريب الحديث لأبي عبيد ٣٠٧/٤، والفائق ٢٤٥/٢، والنهاية ٤٧٥/٢.

(٢) مقاييس اللغة (ش ط ط) ١٦٦/٣.

تَجُر"[١]، وجعل الصغاني تركيب مادة (ش ط ط): "يدلُّ على البعدِ، وعلى الميل"[٢].

إذًا فالشطط في اللغة يدل على معنيين: البُعْد، والميل، وفي رأي الباحث أن معنى البُعْد يعود إلى الميل أيضًا؛ فمن بَعُد عن الشيء فقد مال عنه، ويقولون: شَطَّتِ الدَّارُ، إِذَا بَعُدَت؛ وذلك لأنها مالت عن المنازل الأخرى وجاوزت حدودها فبعدت عنها، أما من فسر هذا اللفظ بالجور فهو يعود به إلى معنى الميل أيضًا، وقد مرَّ بنا أن الجور في اللغة يعني الميل، وبهذا تكون معاني البعد، والجور، والإفراط، أو مجاوزة الحد ترجع إلى أصل واحد، هو الميل، إذا لوحظ في هذه المعاني قيد الميل والانحراف عن شيء ثابت.

واتفق مع اللغويين بعض أهل المعاني وبعض المفسرين الذين فسروا الشطط بمعنى الميل والجور، يقول الطبري: "﴿وَلَا تُشۡطِطۡ﴾: يقول: ولا تجُر، ولا تسرف في حكمك بالميل منك مع أحدنا على صاحبه. وفيه لغتان: أشَطَّ، وشَطَّ"[٣]، ويقول السمين: "قوله تعالى: ﴿شَطَطًا﴾، أي: بعيدًا من الصواب في القول، يقال: شطت دارنا، أي بعدت. وقيل: الشطط: الإفراط في البعد فكل شططٍ بعد من غير عكسٍ، ثم عبر بالشطط عن الجور والعدول عن الصواب في القول والحكم، ومنه: ﴿لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطٗا﴾، ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطٗا﴾"[٤]، فَاسْتُعِيرَ هذا اللفظ في آية الكهف "لِلْإِفْرَاطِ فِي شَيْءٍ مَكْرُوهٍ، أَيْ: لَقَدْ قُلْنَا قَوْلًا شَطَطًا، وَهُوَ نِسْبَةُ

(١) العين (ش ط ط) ٢١٢/٦، ٢١٣، وينظر: جمهرة اللغة (ش ط ط) ١٠٠٩/٢.

(٢) العباب الزاخر واللباب الفاخر حرف الطاء ص٧١: ٧٣، تح: محمد حسن آل ياسين، ط: دار الرشيد للنشر سنة ١٩٧٩م.

(٣) جامع البيان للطبري ١٧٦/٢١.

(٤) عمدة الحفاظ (ش ط ط) ٢٧٠/٢.

الْإِلَهِيَّةِ إِلَى مَنْ دون الله"(١).

ومن كل ما سبق يتبين لنا أن لفظ (الشطط) من ألفاظ الميل والعدول، وإن كان كثير من المفسرين قد فسروه بمعنى البعد والإفراط، فهو يعود إلى الميل أيضًا كما سبق أن أوضح البحث، وبهذا يظهر الفرق بينه وبين الميل؛ إذ الشطط هو الميل والانحراف والتجاوز والمبالغة في الابتعاد عن الحق، ولكن الميل ليس معه هذه المبالغة والقوة في الانحراف.

١٨- الصَّبْو والصَّبْوة:

وردت مادة (ص ب ا) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع بثلاث صيغ، هي:

١- مضارع صبا يصبو، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾[يوسف: ٣٣].

٢- على وزن (فعيل)، وذلك في موضعين، هما: قوله تعالى: ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾[مريم: ١٢]، والثاني: قوله ﷻ: ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[مريم: ٢٩].

وجعل أصحاب المعاجم مادة (ص ب ا) تدل على الميل، فجعلها ابن فارس: "ثَلَاثَة أُصُولٍ صَحِيحَةٍ: الْأَوَّلُ يَدُلُّ عَلَى صِغَرِ السِّنِّ، وَالثَّانِي رِيحٌ مِنَ الرِّيَاحِ، وَالثَّالِثُ الْإِمَالَةُ، فَالْأَوَّلُ وَاحِدُ الصِّبْيَةِ وَالصِّبْيَانِ. وَرَأَيْتُهُ فِي صِبَاهُ، أَيْ صِغَرِهِ. وَالْمُصْبِي: الْكَثِيرُ الصِّبْيَانِ. وَالصَّبَاءُ، مَمْدُودُ الصِّبَا، وَيُمَدُّ مَعَ الْفَتْحِ... وَمِنَ الْبَابِ: صَبَا إِلَى الشَّيْءِ يَصْبُو: إِذَا مَالَ قَلْبُهُ إِلَيْهِ. وَالِاشْتِقَاقُ وَاحِدٌ، وَالِاسْمُ الصَّبْوَةُ.... وَالثَّانِي: رِيحُ الصَّبَا، وَهِيَ الَّتِي تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ. يُقَالُ: صَبَتْ تَصْبُو. الثَّالِثُ: قَوْلُ الْعَرَبِ: صَابَيْتُ الرُّمْحَ"(٢)، ويقول ابن منظور: "والصِّبا مِنَ الشَّوْق يُقَالُ مِنْهُ:

(١) التحرير والتنوير ١٥/٢٧٤.

(٢) مقاييس اللغة (ص ب ا) ٣/٣٣٢.

تَصابَى، وصَبا يصْبُو صَبْوةً وصُبُوًّا، أَي: مالَ إِلى الْجَهْلِ والفُتوَّةِ. وَفِي حَدِيثِ الفِتنِ[١]: لَتَعُودُنَّ فِيهَا أَساوِدَ صُبًّا؛ هِيَ جمعُ صابٍ كغازٍ وغُزّىً، وَهُمُ الَّذِينَ يَصْبُون إِلى الْفِتْنَةِ، أَي: يَمِيلُونَ إِليها، وَقِيلَ: إِنما هُوَ صُبّاءٌ جَمْعُ صابِئٍ بِالْهَمْزِ كشاهِدٍ وشُهَّادٍ، وَيُرْوَى: صُبّ... وَفِي حَدِيثِ هَوازِنَ: قَالَ دُرَيد بنُ الصِّمَّة[٢]: ثُمَّ أَلْقِ الصُّبَّى عَلَى مُتُونِ الْخَيْلِ، أَي: الَّذِينَ يَشْتَهُون الحَرْبَ وَيَمِيلُونَ إِليها ويحبُّون التقدُّم فِيهَا والبِراز، وَيُقَالُ: صَبا إِلى اللَّهْوِ صَبًا وصُبُوًّا وصَبْوةً... وَفِي حَدِيثُ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ﷺ[٣]: واللهِ مَا تَرَكَ ذَهَبًا وَلَا فِضَّةً وَلَا شَيْئًا يُصْبَى إِليه. وَفِي الْحَدِيثِ[٤]: «وشابٌّ لَيْسَتْ لَهُ صَبْوةٌ»، أَي: مَيْلٌ إِلى الهَوَى، وَهِيَ المَرَّةُ مِنْهُ، وَفِي حَدِيثِ النَّخَعِيِّ[٥]: كَانَ يُعْجِبُهم أَن يَكُونَ للغلامِ إِذا نشَأَ صَبْوَةٌ؛ وَذَلِكَ لأَنه إِذا تَابَ وارْعَوَى كَانَ أَشدّ لِاجْتِهَادِهِ فِي الطَّاعَةِ وأَكثرَ لنَدَمِه عَلَى مَا فَرَط مِنْهُ، وأَبْعَدَ لَهُ مِنْ أَنْ يُعْجَبَ بعمَلِه أَو يتَّكِلَ عَلَيْهِ..... وأَصْبَتْه المرأَةُ وتَصَبَّتْه: شاقَتْه ودَعَتْه إِلى الصِّبا فحَنَّ لَهَا وصَبا إِليها، وصَبِيَ: مالَ، وَكَذَلِكَ صَبَتْ إِليه وصَبِيَتْ، وتَصَبَّاها هُوَ: دَعاها إِلى مِثْل ذَلِكَ..... وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي خَبَرِ يُوسُفَ عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾؛ قَالَ أَبو الْهَيْثَمِ: صَبا فُلان إِلى فُلَانَةَ وصَبا لَهَا

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٩١٧)، والطبراني في المعجم الكبير ١٩٧/١٩، والبغوي في «شرح السنة» ٢٩/١٥، والهيثمي في «مجمع الزوائد ومنبع الفوائد» ٣٠٥/٧، والسيوطي في «الجامع الكبير» ٤١١/٣.

(٢) الأثر في المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٢٥١/٢، والنهاية ١١/٣.

(٣) الأثر بهذا اللفظ في النهاية لابن الأثير ١١/٣.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٧٣٧١)، والطبراني في المعجم الكبير ٣٠٩/١٧، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٧٠/١٠، والسيوطي في «الجامع الكبير» ٢١٨/٢.

(٥) الأثر في غريب الحديث للخطابي ٣٥٥/٣، والفائق في غريب الحديث ٢٨٦/٢، والنهاية لابن الأثير ١١/٣.

يَصْبُو صَبًا –مَنْقُوصٌ– وصَبْوَةً، أَي: مالَ إِليها، قَالَ: وصَبا يَصْبُو، فَهُوَ صابٍ وصَبِيٌّ مِثْلَ قادرٍ وقَديرٍ.... وَيُقَالُ: أَصْبَى فُلَانٌ عِرْس فُلَانٍ إِذا اسْتَمالها، وصَبَتِ النَّخْلةُ تَصْبُو: مالتْ إِلى الفُحَّال الْبَعِيدِ مِنْهَا، وصَبَت الراعِيَةُ تَصْبُو صُبُوًّا: أَمالتْ رأْسَها فوضعَتْه فِي المرْعى، وَصَابَى رُمْحَه: أَماله للطَّعن بِهِ.... وصَابَى رُمْحَهُ إِذا صَدَّر سِنانه إِلى الأَرض للطَّعن بِهِ، وَفِي الْحَدِيثِ[1]: «لَا يُصَبِّي رأْسَه فِي الرُّكُوعِ»، أَي: لَا يخفِضُه كَثِيرًا وَلَا يُميلُه إِلى الأَرضِ، مِنْ صَبا إِلى الشَّيْءِ يَصبُو إِذا مالَ"[2].

إذًا فالمادة تدور حول صغر السن، والريح، والميل، وفي رأيي أن الثلاثة يجمعها الميل والانحراف عن الشيء، فصغر السن كأن الصبي يميل في فعله فيه إلى ما لا يليق وإلى ما يناسبه من اللهو واللعب؛ ولذلك قال الخليل عنها: "الصَّبْوُ والصَّبوَةُ: جَهْلَةُ الفُتُوَّة واللَّهوُ من الغَزَل، ومنه التَّصابي والصِّبا"[3]، أما ريح الصَّبا فسميت بذلك؛ لأنها تستقبل البيت، فكأنها تميل إليه وتحنّ، أو لأن النفوس تصبو إليها؛ لطيب نسيمها ورَوْحِها، ويقال: صبا فلان إلى فلانة: أي مال قلبه إليها، فالمادة تدور حول الميل والانحراف والتمايل، بل إن هذا المعنى الكلي قد يجمع بين مواد مثل الصبّ، والصبأ، والصَّوب، فالصب فيه تمايل وانحراف وانخفاض شديد، والصَّبأ خروج معه تمايل وانحراف وعدول عن الحق، والصَّوب فيه تمايل وانحراف عن القصد، والصَّبو فيه ميل مع شهوة وحنان، فإذا استبدلنا الواو بالياء

(١) الحديث بهذه الرواية في مصابيح السنة للبغوي ٣١٢/١، وغريب الحديث للخطابي ١٢٨/١، والغريبين في القرآن والحديث ١٠٦٢/٤، والفائق ٢٨٢/٢، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٣٠٦/٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ٥٧٩/١، والنهاية لابن الأثير ١٠/٣.

(٢) اللسان (ص ب ا) ٤٥٠/١٤، ٤٥١.

(٣) العين (ص ب ا) ١٦٨/٧.

دلّ على تمايل وانعطاف مع صغر[١].

وقد ذكر المفسرون وأهل المعاني هذا الأصل الذي تعود إليه مادة (ص ب ا)؛ مما جعلهم متفقين مع أصحاب المعاجم في رجوع هذه المادة إلى أصل واحد هو الميل، يقول السمين: "قوله تعالى: ﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾، أي أَمِل. يقال: صبا يصبو: إذا مال نحو محبوبه. صبىً وصباء وصبوة. وقيل: صبا معناه: نزع واشتاق، وفعل فعل الصبيان. وأصباني فصبوت. والريح الصبا: المستقبل للقبلة؛ سميت بذلك لأن من هبت عليه صبا إلى وطنه ونزع إلى إلفه... وصابيت السيف: أغمدته مقلوبًا، وصابيت الرمح: أملته وهيأته للطعن"[٢]، ويقول الزمخشري في تفسير هذه الآية: "﴿أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ﴾: أَمِل إليهنّ، والصبوة: الميل إلى الهوى، ومنها: الصَّبا؛ لأنّ النفوس تصبو إليها؛ لطيب نسيمها ورَوْحِها"[٣].

إذًا فالمادة المعتلة بالواو أو الياء ترجع في أصل معناها إلى الميل والانحراف والعدول، أما المادة المهموزة (ص ب أ) فقد قال عنها ابن فارس: "فَأَمَّا الْمَهْمُوزُ فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى خُرُوجٍ وَبُرُوزٍ. يُقَالُ: صَبَأَ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ، أَيْ خَرَجَ. وَهُوَ قَوْلُهُمْ: صَبَأَ نَابُ الْبَعِيرِ، إِذَا طَلَعَ. وَالْخَارِجُ مِنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ صَابِئٌ، وَالْجَمْعُ صَابِئُونَ وَصُبَّاءٌ"[٤]، لكن قد وردت قراءة متواترة في لفظ ﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾[البقرة: ٦٢] بترك الهمز، فقد قرأ نافع بترك الهمز في هذا اللفظ[٥]، ووجّه كثير من العلماء هذه القراءة على أنها من صبا يصبو إذا مال، يقول ابن خالويه: "قوله تعالى:

(١) ينظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم للمصطفوي ٢٢٩/٦.

(٢) عمدة الحفاظ (ص ب و) ٣١٩/٢.

(٣) الكشاف ٢/ ٤٦٧.

(٤) مقاييس اللغة (ص ب ا) ٣٣٢/٣.

(٥) ينظر: معاني القراءات للأزهري ١٥٥/١، والحجة في القراءات السبع ص٨١، والحجة للقراء السبع ٩٥/٢، وحجة القراءات ص١٠٠.

﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ يقرأ وما شاكله بالهمز وتركه. فالحجّة لمن همز: أنه مأخوذ من صبأ فلان: إذا خرج من دين إلى دين. والحجة لمن لم يهمز: أن يكون أراد: الهمز، فليّن وترك، أو يكون أخذه من: صبا يصبو: إذا مال، وبه سمي الصبي صبيّا؛ لأن قلبه يميل إلى كل لعب لفراغه"(١)، ويقول الطاهر بن عاشور: "وأما على قراءة نافع فجعلوها جمع صَابٍ مثلَ رَامٍ على أنه اسم فاعل من صَبَا يَصْبُو إذا مال، قالوا: لأن أهل هذا الدين مالوا عن كل دين إلى دين عبادة النجوم، ولو قيل: لأنهم مالوا عن أديان كثيرة؛ إذ اتخذوا منها دينهم كما ستعرفه؛ لكان أحسن"(٢)، وإن كان البعض قد أرجع معنى المهموز إلى الميل أيضًا، يقول الثعلبي: "قرأ أهل المدينة بترك الهمزة من (الصابين والصابون) في جميع القرآن، وقرأ الباقون بالهمز، وهو الأصل، يقال: صَبأ يصبأ صبوءًا: إذا مال وخرج من دين، قال الفراء: يُقال لكل من أحدث دينًا: قد صبأ وأصبأ بمعنىً واحد، وأصله: الميل"(٣)، ويقول العكبري: "﴿وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾: يقرأ بالهمز على الأصل، وهو من صبأ يصبأ إذا مال"(٤).

على أن كثيرًا من العلماء قد ذكر أن هذه القراءة بترك الهمز لا تعود إلى الميل، يقول ابن عاشور: "وليس هو من صبا يصبو إذا مال؛ لأن قراءة الهمز تدل على أن ترك تخفيف الهمز في غيرها تخفيف؛ لأن الأصل توافق القراءات في المعنى"(٥)، إلا أن أبا حيان قد استظهر أنه بمعنى الميل؛ معللًا ذلك بأن الوجه

(١) الحجة في القراءات السبع ص٨١، تح: د. عبد العال سالم مكرم، ط: دار الشروق ببيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠١هـ.

(٢) التحرير والتنوير ٥٣٣/١.

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٣٥٥/٣.

(٤) التبيان في إعراب القرآن ٧٠/١، تح: علي محمد البجاوي، ط: عيسى البابي الحلبي.

(٥) التحرير والتنوير ٥٣٣/١.

الآخر، وهو أن يكون أصله الهمز، فسُهِّل بقلب الهمز ألفا في الفعل؛ وياء في الاسم "إلا أن قلب الهمزة ألفًا يحفظ ولا يقاس عليه. وأما قلب الهمزة ياء فبابه الشعر؛ فلذلك كان الوجه الأول أظهر"(١).

وعلى كلٍّ فإن مادة (ص ب ا) ومشتقاتها تعود إلى الميل والانحراف، أما مادة (ص ب أ) فتعود في أظهر مضامينها إلى معنى الميل، ويقوي ذلك القراءة الواردة عن نافع، فقد قيل: إنما قراءته من صبا يصبو: إذا مال، وهؤلاء قد مالوا إلى دينٍ غير دينهم، وروى أبو عبيدة عن ابن عباسٍ ﷺ إنكارها، وأنه كان يقول: ما الصابون؟ إنما هي الصابئون، ولا ترد بمثل هذه الحكاية قراءة متواترة(٢).

ومهما يكن من أمر فإن الصَّبْو والصَّبْوَة يشتركان مع الميل في دلالة الانحراف والعدول عن حالة معينة، لكنهما يختلفان في طبيعة هذا الانحراف وذلك العدول، فالصَّبْو والصَّبْوَة يدلان في السياق القرآني على الميل القوي نحو اللهو أو الانحراف عن الاستقامة، وغالبًا ما يحملان دلالة الانحراف نحو الشهوات أو الانحراف عن الدين، وكذلك الدلالة على الميل إلى الطيش أو الانحراف عن الحكمة، في حين أن الميل يعبر عن انحراف تدريجي أو توجه نحو شيء معين دون أن يكون مرتبطًا بالطيش أو اللهو غالبًا.

١٩- الصُّدُوف:

وردت مادة (ص د ف) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع بثلاث صيغ، هي:

١- الفعل الماضي: وذلك في موضع واحد، هو قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾[الأنعام: ١٥٧].

(١) ينظر: البحر المحيط ٣٩٠/١.

(٢) ينظر: عمدة الحفاظ (ص ب أ) ٣١٣/٢.

٢- الفعل المضارع: وذلك في موضعين من القرآن الكريم، هما: قوله تعالى: ﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ ثُمَّ هُمۡ يَصۡدِفُونَ ﴾[الأنعام: ٤٦]، وبقية قوله ﷻ في الآية المتلوة في صيغة الماضي: ﴿ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ ﴾[الأنعام: ١٥٧].

٣- مثنى (الصَدَف) في قوله تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾[الكهف: ٩٦].

وقد ذكر أصحاب المعاجم أن هذه المادة تعود في أصل اشتقاقها إلى الميل، فأوضح ابن فارس أن "الصَّاد وَالدَّال وَالْفَاء أَصْلَانِ: الْأَوَّلُ: يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ، وَالثَّانِي: عَرَضٌ مِنَ الْأَعْرَاض، فَالْأَوَّلُ قَوْلُهُمْ: صَدَفَ عَنِ الشَّيْءِ، إِذَا مَالَ عَنْهُ وَوَلَّى ذَاهِبًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا ﴾، وَالصَّدَفُ مِنَ الْبَعِيرِ: أَنْ يَمِيلَ خُفُّهُ مِنَ الْيَدِ أَوِ الرِّجْلِ إِلَى الْجَانِبِ الْوَحْشِيِّ، وَقَدْ صَدِفَ.... وَالصَّدَفُ: جَانِبُ الْجَبَلِ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ؛ لِمَيْلِهِ إِلَى إِحْدَى الْجِهَتَيْنِ..."[(١)]، ويقول الأزهري: "والصَدَفة: الْجَانِب والناحية، وَيُقَال لجَانب الجَبَلين إِذا تحاذَيا: صُدُفان وصَدَفان؛ لتَصادفهما، أَي: تَلاقيهما، يلاقي هَذَا الجانبُ الجانبَ الّذي يلاقيه، وَمَا بَينهمَا فَجٌّ أَو شِعْبٌ أَو وادٍ، ومِن هَذَا يُقَال: صادفْت فلَانا، أَي: لاقيْتُه. وأخبَرَني المنذريُّ عَن ابْن اليزيديّ لأبي زيد قَالَ: الصُّدُفان: جانبا الجَبَل، وَفِي الحَدِيث[(٢)]: «أنّ النبيّ ﷺ كَانَ إِذا مَرّ بصَدَف مائلٍ أَو هَدَف مائلٍ أَسرَعَ المَشيَ»، قَالَ أَبُو عبيد: الصَّدَف والهَدَف وَاحِد، وَهُوَ كلُّ بِنَاء عَظِيم مُرْتَفع، قلتُ: وَهُوَ مثل صَدَف الْجَبَل، شُبّه بِهِ، أَبُو عبيد عَن الأصمعيّ: الصَّدَف: أَن يَمِيل خُفُّ البَعير من الْيَد أَو الرِّجل إِلَى الْجَانِب الوحشيّ، وَقد صَدِفَ صَدَفًا، فَإِن مَال إِلَى الْجَانِب الإنسيّ

(١) مقاييس اللغة (ص د ف) ٣٣٨/٣.

(٢) الحديث في النهاية ١٧/٣، وفي نيل الأوطار للشوكاني ١٢٧/٣.

فَهُوَ القَفَد، وَقد قَفِد قَفَدًا، وقولُ الله جلّ وعزّ: ﴿سَنَجۡزِي ٱلَّذِينَ يَصۡدِفُونَ عَنۡ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يَصۡدِفُونَ﴾، أَي: يُعرضون، وَقَالَ اللَّيْث: الصَّدَف: المَيل عَن الشَّيْء، وأَصدَفَني عَنهُ كَذَا وَكَذَا"(١).

ومن هذه النقول يتبين لنا أن الصدوف هو ميل من أحد الجوانب؛ ولهذا يطلق الصدف على ميل في يد أو رجل البعير أو غيره إلى جانب من الجوانب، وكذلك يطلق الصدف على الجبل وكل بناء مرتفع؛ لميله إلى أحد الجانبين، فإذا استعملت المادة بحرف الجر «عن» كانت بمعنى الميل والإعراض؛ ولهذا استعمل المفسرون لفظ الإعراض في تفسير مادة (ص د ف) في القرآن الكريم، إلا أن البحث يرى أن هناك فرقًا بين الصدوف والإعراض يكمن في أن الصدوف يكون بالميل والانصراف بجانب من الجوانب، أما الإعراض فيكون ميل وانصراف بالمواجهة والمقابلة، ففي الصدوف مجانبة أما في الإعراض فمواجهة؛ فإنه يقال: "أَعْرَضَ عَنِ الشَّيْءِ إذا ولَّاه ظَهْرَهُ"(٢)، وتولية الظهر لا تكون إلا بعد مواجهة؛ ولهذا كان الصدف أشد معالجة من الإعراض كالبعير الذي يعالج صدف رجليه أو يديه، ويلحظ فيه كذلك شدة وصلابة كالصلابة التي في خف البعير، يميل به في المشي، والصَّدَفُ جانب الجبل المائل، يقول الراغب: "صَدَفَ عنه: أعرض إعراضًا شديدًا يجري مجرى الصَّدَفِ، أي: الميل في أرجل البعير، أو في الصّلابة كَصَدَفِ الجبل أي: جانبه، أو الصَّدَفِ الذي يخرج من البحر"(٣).

وسياق الآيات التي وردت فيها مادة (ص د ف) يؤكد هذه الحقيقة، وهي أن في الصدوف معالجة أشد، ونفورًا أعظم، ففي الآية الأولى وهي قوله تعالى: ﴿قُلۡ

(١) تهذيب اللغة (ص د ف) ١٠٤/١٢، وينظر: العين (ص د ف) ١٠٢/٧.
(٢) اللسان (ص د ف) ١٧٦/٧.
(٣) المفردات في غريب القرآن (ص د ف) ص٤٧٨.

أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[الأنعام: ٤٦] بعد أن بين الحق سبحانه أنه يتابع عليهم الحجج، ويضرب لهم الأمثال والعبر، ويصرف لهم الآيات وتصريف الآيات الإتيان بها من جهات، من إعذار وإنذار وترغيب وترهيب ونحو ذلك، أشار إلى أنهم مع ذلك صادفون، أي: مَائِلُونَ مُعْرِضُونَ عَنِ الحجج والدلالات(١)، وفي الآية الثانية يقول البقاعي: "﴿وَصَدَفَ﴾، أي: أعرض إعراضًا صار به كأنه في صفد، أي سد عن سهولة الانقياد للدليل ﴿عَنْهَا﴾ بعد ما عرف صحتها"(٢)، ثم بين جزاءهم بقوله: ﴿سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ﴾، وجاء الفعل مضارعًا؛ ليدل على أن هذا الصدوف منهم متجدد بتجدد الآيات والحجج، ثم قال: ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ﴾، أي أن هذا الصدوف كان لهم عادة ملازمًا لهم، أما الصدفان في قوله سبحانه: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ فهما "جبلان... وفيهما وجهان: أحدهما: أن كل واحد منهما محاذٍ لصاحبه، مأخوذ من المصادفة في اللقاء، قاله الأزهري. الثاني: قاله ابن عيسى: هما جبلان كل واحد منهما منعزل عن الآخر كأنه قد صدف عنه"(٣)، أي: مال.

وعلى هذا فالمادة تعود في أصل معناها إلى الميل والعدول مع ملاحظة المعالجة والشدة والصلابة المقترنة بهذا الميل، وكان أداؤها لهذا المعنى في القرآن الكريم خير أداء، فبناءً على أن الصدف – في الأصل – ميل في الحافر أو الخفّ في الفرس أو البعير، يجعله يميل في سيره ولا يستقيم؛ فإن القرآن الكريم يستخدم هذا اللفظ بدلالته الحسية الأصلية، ودلالته المنقول إليها؛ لكي يصوّر حال

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٢٨/٦.
(٢) نظم الدرر ٣٣١/٧.
(٣) النكت والعيون للماوردي ٣٤٣/٣.

الذين يعرضون عن الحق، ويصدفون عنه؛ لآفةٍ أصابتهم، فجعلتهم يسيرون في الحياة بانحراف وميل، فهذه اللفظة ترسم صورة لأولئك المنحرفين عن الحق فيها الهيئة والحركة، من خلال اقترانها في الذهن بمعناها الحسي(١).

ومن هنا يكمن الفرق بين الصدوف والميل؛ إذ إن الصدوف يدل على حالة أكثر وضوحًا من الإعراض والانحراف عن الحق، فهو لفظ يشير إلى الإعراض الشديد والنفور عن الحق، أما الميل فقد يكون تدريجيًّا أو جزئيًّا دون الوصول إلى هذا الإعراض والنفور الشديدين، ودون المعالجة والشدة والصلابة المقترنة بلفظ (الصُّدُوف).

٢٠- الصَّعَـر:

وردت مادة (ص ع ر) في القرآن الكريم في موضع واحد بصيغة واحدة، هي الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[لقمان: ١٨].

وقد أرجع أصحاب المعاجم أصل هذه المادة إلى الميل، يقول ابن فارس: "الصَّادُ وَالْعَيْنُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ مُطَّرِدٌ يَدُلُّ عَلَى مَيَلٍ فِي الشَّيْءِ. مِنْ ذَلِكَ الصَّعَرُ، وَهُوَ الْمَيَلُ فِي الْعُنُقِ، وَالتَّصْعِيرُ: إِمَالَةُ الْخَدِّ عَنِ النَّظَرِ عُجْبًا. وَرُبَّمَا كَانَ الْإِنْسَانُ وَالظَّلِيمُ أَصْعَرَ خِلْقَةً، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾، وَهُوَ مِنَ الصَّيْعَرِيَّةِ، وَهُوَ اعْتِرَاضُ الْبَعِيرِ فِي سَيْرِهِ. وَالصَّيْعَرِيَّةُ: سِمَةٌ مِنْ سِمَاتِ النُّوقِ فِي أَعْنَاقِهَا، وَلَعَلَّ فِيهَا اعْتِرَاضًا... وَيُقَالُ: سَنَامٌ صَيْعَرِيٌّ، أَيْ عَظِيمٌ. وَإِنَّمَا قِيلَ لَهُ ذَلِكَ لِأَنَّهُ إِذَا عَظُمَ مَالَ"(٢)، ويقول ابن منظور: "الَّصعَر: مَيَلٌ فِي الوَجْهِ، وَقِيلَ: الصَّعَرُ

(١) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن ص٣٨٧، عبد السلام أحمد الراغب، ط: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

(٢) مقاييس اللغة (ص ع ر) ٢٨٨/٣، وينظر: العين (ص ع ر) ٢٩٨/١.

المَيَل فِي الخدِّ خَاصَّةً، وَرُبَّمَا كَانَ خِلْقة فِي الإنسان والظَّليم، وَقِيلَ: هُوَ مَيَلٌ فِي العُنُق وانْقِلاب فِي الْوَجْهِ إِلى أَحد الشقَّين. وَقَدْ صَعَّرَ خَدَّه وصاعَرَه: أَمالهُ مِنَ الكِبْرِ؛ قَالَ المُتَلَمِّس، وَاسْمُهُ جَرير بْنُ عَبْدِ الْمَسِيحِ[1]:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقَمْنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

يَقُولُ: إِذا أَمال متكبِّرٌ خدَّه أَذْلَلْناهُ حَتَّى يتقوَّم مَيْلُه، وَقِيلَ: الصَّعَرُ داءٌ يأْخذ الْبَعِيرَ فيَلْوِي مِنْهُ عُنُقَه ويُميلُه، صَعِرَ صَعَرًا، وَهُوَ أَصْعَر... وَقَوْلُ أَبي ذُؤَيْبٍ[2]:

فَهُنَّ صُعْرٌ إِلى هَدْرِ الفَنِيقِ وَلَم يُجْرَ وَلَمْ يُسْلِهِ عَنْهُنَّ إِلقاحُ

عدَّاه بـ «إِلى»؛ لأَنه فِي مَعْنَى مَوائِلَ، كأَنه قَالَ: فَهُنَّ مَوائِلُ إِلى هَدْر الفَنيق، وَيُقَالُ: أَصاب البعيرَ صَعَرٌ وصَيَدٌ أَي أَصابه دَاءٌ يَلْوي مِنْهُ عُنُقه. وَيُقَالُ للمتكبِّر: فِيهِ صَعَرٌ وَصَيَدٌ. ابْنُ الأَعرابي: الصَّعَر والصَّعَلُ صِغَرُ الرأْس. والصَّعَرُ: التَّكَبُّرُ، وَفِي الْحَدِيثِ[3]: «كلُّ صَعَّارٍ مَلْعون»؛ أَي كُلُّ ذِي كِبْرٍ وأُبَّهَةٍ، وَقِيلَ: الصَّعَّارُ الْمُتَكَبِّرُ؛ لأَنه يَمِيل بِخَدِّه ويُعْرِض عَنِ النَّاسِ بِوَجْهِهِ... و «لأُقِيمَنَّ صَعَرَك» أَي: مَيْلَك، عَلَى المثَل، وَفِي حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبٍ[4]: «فأَنا إِليه أَصْعَر»، أَي: أَمِيل"[5].

---

(١) من الطويل، وهو للمتلمس في ديوانه ص٢٤، تح: حسن كامل الصيرفي، منشورات معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٠م، وعزي لجابر بن حُنَيٍّ التغلبيِّ في مجاز القرآن ١٢٧/٢، وجامع البيان للطبري ١٤٣/٢٠، والمحرر الوجيز ٣٥١/٤، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٩/١٤.

(٢) من البسيط، وهو لأبي ذؤيب الهذلي في ديوان الهذليين ٤٨/١، والمحكم (ص ع ر) ٤٣٣/١.

(٣) في غريب الحديث للخطابي ٣٥١/١، والنهاية ٣١/٣.

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في مسنده ٢٩١/١، والإمام أحمد في مسنده برقم (١٥٧٨٩) ٦٦/٢٥، والإمام مسلم في صحيحه ٢١٢٢/٤.

(٥) اللسان (ص ع ر) ٤٥٦/٤.

ومن هذا يتبين لنا أن المادة في أصل اشتقاقها تعني الميل في العنق والوجه، ومن هذه الدلالة الحسية أخذت الدلالة على الكبر، فقيل: تَصَاعَرَ الرجل وتصعَّر: إذا لوى خَدَّه من الكِبر، وقد ربط المفسرون وأهل المعاني بين هذا الأصل الاشتقاقي والتفسير الذي فسروا به ﴿تُصَعِّرْ﴾ في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾، يقول الطبري عن هذه الآية: "وتأويل الكلام: وَلَا تُعْرِضْ بِوَجْهِكَ عَمَّنْ كَلَّمْتَهُ تَكَبُّرًا وَاسْتِحْقَارًا لِمَنْ تُكَلِّمُهُ، وأصل (الصعر) داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رؤوسها حتى تُلْفِتَ أعناقها عن رؤوسها، فَيُشَبَّهُ به الرجل المتكبر على الناس"(١)، فمعنى الآية على هذا: "وَلَا تُمِلْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ كِبْرًا عَلَيْهِمْ وَإِعْجَابًا وَاحْتِقَارًا لَهُمْ"(٢).

وعلى هذا فالمادة تدل على الميل، وكان اختيارها للدلالة على ذلك في القرآن الكريم دون غيرها من الألفاظ اختيارًا يناسب سياق الكلام؛ فإن هذا اللفظ تمثيل لمن يلوي عنقه معرضًا عن الناس متكبرًا عليهم، "فهو تمثيل للاحتقار؛ لأن مصاعرة الخدِّ توضح هيئة المحتقر المستخف في غالب الأحوال..."(٣)، فصورة «تصعير الخد» الحسية، بحركتها وهيئتها، تنقل لنا معنى التكبر بصورة كريهة منفرة؛ لما بين صورة المتكبر وصورة «الصعر» في الإبل من تشابه وصلة في الحركة والهيئة، والأثر الكريه المنفّر، فالصّعر في الأصل داء يصيب الإبل، فيجعلها تميل بأعناقها بهيئة منفّرة، وصورة المتكبر المائل بعنقه تشبه تلك الصورة الحسية في الإبل؛ وبذلك يغدو التكبر داءً يصيب الإنسان، فيلوي عنقه خيلاءً وتكبرًا على عباد الله، فالعلاقة بين الصورتين واضحة في الحركة والهيئة،

(١) جامع البيان للطبري ١٤٣/٢٠، وينظر: المفردات في غريب القرآن ص٤٨٤.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧٠/١٤، وينظر:
(٣) التحرير والتنوير ١٦٦/٢١.

والسبب[1].

ومما سبق يتبين لنا الفرق بين الصعر والميل الذي يتمثل في أن الصعر يدل على الميل المصحوب بالكبر والتعالي، حيث يدل الصَّعَر في السياق القرآني على الميل بالوجه عن الناس تكبرًا واستعلاءً، في حين أن الميل يدلُّ على انحراف تدريجي أو توجه نحو شيء معين دون أن يكون مرتبطًا بالاستعلاء، وكذلك فإن الصَّعَر ميل حسي عضوي في حين أن الميل معنوي قلبي.

٢١- الصَّغْـو:

وردت مادة (ص غ ا) في موضعين من القرآن الكريم بصيغتين، هما:

١- الفعل الماضي (صغا): وذلك في قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَاۖ﴾[التحريم: ٤].

٢- الفعل المضارع من (صغا): في قوله ﷻ: ﴿وَلِتَصۡغَىٰٓ إِلَيۡهِ أَفۡـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾[الأنعام: ١١٣].

وقد أوضح أصحاب المعاجم أن أصل هذه المادة يدل على الميل، يقول ابن فارس: "الصَّادُ وَالْغَيْنُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى الْمَيْلِ، مِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: صِغْوُ فُلَانٍ مَعَكَ، أَيْ مَيْلُهُ. وَصَغَتِ النُّجُومُ: مَالَتْ لِلْغُيُوبِ. وَأَصْغَى إِلَيْهِ، إِذَا مَالَ بِسَمْعِهِ نَحْوَهُ. وَأَصْغَيْتُ الْإِنَاءَ: أَمَلْتُهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ لِلَّذِينِ يَمِيلُونَ مَعَ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَذَوِي قُرْبَاهُ: صَاغِيَةٌ. وَحُكِيَ: صَغَوْتُ إِلَيْهِ أَصْغَى صَغْوًا وَصَغًى، مَقْصُورٌ"[2]، ويقول الجوهري: "صغا يَصغو ويَصْغي صُغُوًّا، أي مال. وكذلك صغِي بالكسر يصغى صَغىً وصُغِيًّا. وصَغَتِ النجومُ، إذا مالت للغروب. أبو زيد: يقال صَغْوُهُ معك وصِغْوُهُ معك وصَغاهُ معك، أي: ميله، وقولهم: أكرموا فلانًا في

(١) ينظر: وظيفة الصورة الفنية في القرآن ص١١٦.

(٢) مقاييس اللغة (ص غ ا) ٢٨٩/٣، وينظر: العين (ص غ ا) ٤٣٢/٤.

صاغِيَتِهِ، وهم القومُ الذين يميلون إليه ويأتونه ويطلبون ما عنده. وأَصْغَيْتُ إلى فلانٍ، إذا ملتَ بسمعك نحوه. وأَصْغَيْتُ الإناء: أملته. ويقال: فلان مصغٍ إناؤه، إذا نُقِصَ حقّه. وأَصْغَتِ الناقةُ، إذا أمالت رأسَها إلى الرحل كأنَّها تستمع شيئًا حينَ يشدُّ عليها الرحل"(١).

وقد تلقف أهل المعاني والمفسرون عبارات أصحاب المعاجم واللغويين في تفسير الصغو وراحوا يرددونها في ثنايا كتبهم، يقول الراغب: "الصَّغْوُ: الميل. يقال: صَغَتِ النّجومُ، والشمس صَغْوًا: مالت للغروب، وصَغَيْتُ الإناءَ، وأَصْغَيْتُهُ، وأَصْغَيْتُ إلى فلان: ملت بسمعي نحوه، قال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾، وحكي: صَغَوْتُ إليه أَصْغُو، وأَصْغَى، صَغْوًا وصُغِيًّا، وقيل: صَغَيْتُ أَصْغَى، وأَصْغَيْتُ أُصْغِي. وصَاغِيَةُ الرّجلِ: الذين يميلون إليه... وعينه صَغْوَاءُ إلى كذا، والصَّغْيُ: ميل في الحنك والعين"(٢)، ويقول أبو عبيدة: "﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ ﴾ من صغوت إليه، أي: ملت إليه وهويته، وأصغيت إليه لغة"(٣)، فمعنى ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ﴾: ولتميل قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة إلى زخرف القول الذي كان يوحي ويلقي شياطين الإنس والجن(٤)، ومعنى قوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾: إن تتوبا إلى الله أيتها المرأتان فقد مالت قلوبكما إلى محبة ما كرهه رسول اللهﷺ من اجتنابه جاريته، وتحريمها على نفسه، أو تحريم ما كان له حلالًا مما حرّمه على نفسه

(١) الصحاح (ص غ ا) ٦/٢٤٠٠.
(٢) المفردات في غريب القرآن (ص غ ا) ص٤٨٥، ٤٨٦.
(٣) مجاز القرآن ١/٢٠٥.
(٤) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٤/٢٢٤.

بسبب حفصة[1]، ومنه أيضًا الإصغاء للكلام، فإن أصل معنى الإصغاء الميل للسماع، ثم تجوّز به عنه مطلقًا[2].

ومهما يكن من أمر فقد أجمع العلماء على أن الصغو بمعنى الميل والعدول، ويلاحظ على الموضعين الوارد فيهما هذا اللفظ في القرآن الكريم أنه أسند إلى القلوب والأفئدة، فإنه تعالى جعل محل الصغو – الذي هو عبارة عن الميل والإرادة – القلب، فهو ميل قلبي عن الحق، ويلاحظ كذلك أنه ميل معه شيء من العمد، ففي الآية الأولى وصف ربنا سبحانه وتعالى هؤلاء المائلين بأنهم ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ﴾، ولا أدل من هذا الوصف على عمدهم وقصدهم الميل إلى زخرف القول الذي يوحيه شياطين الإنس والجن، وفي الآية الثانية رتب الحق سبحانه التوبة على إصغاء قلبي حفصة وعائشة عن الواجب في الإخلاص لرسول اللهﷺ من حب ما يحبه وكراهة ما يكرهه، أي: إن تتوبا فقد وجد منكما ما يوجب التوبة، وهو ميل قلوبكما، والتوبة لا تكون إلا من عمد أو قصد، فلو كانتا غير قاصدتين الميل عن أمر رسول اللهﷺ ما أمرهما الله ﷻ – والله أعلم – بالتوبة منه؛ فإن الله لا يؤاخذ بالخطأ أو غير العمد، وفي اختيار هذا اللفظ أيضًا بالنسبة للسيدة عائشة وحفصة للتعبير عن ميلهما دون غيره من الألفاظ لطف غاية اللطف، فلم يعبر عن هذا الميل بالزيغ أو الانحراف.

مما سبق يتبين أن الصغو والميل يتفقان في دلالتهما على ميل القلوب نحو أمر معين، فالصغو هو ميل داخلي مرتبط بالوجدان والانجذاب والتوجه النفسي، في حين أن الميل يدلُّ على انحراف تدريجي أو توجه نحو شيء معين دون أن يكون مرتبطًا بالانجذاب العاطفي أو النفسي بنفس القوة، وكذلك فإن (الصَّغْو) هو

(١) جامع البيان للطبري ٤٨٣/٢٣.

(٢) ينظر: حاشية الشهاب ٧/٧.

الميل إلى الشيء، لا عن الشيء، ولكن لفظ (الميل) يكون للميل عن الشيء[١].

٢٢- الصَّوَر:

أرجع أصحاب المعاجم دلالة هذه المادة إلى الميل، فقد ذكر ابن فارس أن "الصَّاد وَالْوَاو وَالرَّاء كَلِمَاتٌ كَثِيرَةٌ مُتَبَايِنَةُ الْأُصُولِ. وَلَيْسَ هَذَا الْبَابُ بِبَابِ قِيَاسٍ وَلَا اشْتِقَاقٍ... وَمِمَّا يَنْقَاسُ مِنْهُ قَوْلُهُمْ صَوِرَ يَصْوَرُ، إِذَا مَالَ. وَصُرْتُ الشَّيْءَ أَصُورُهُ، وَأَصَرْتُهُ، إِذَا أَمَلْتَهُ إِلَيْكَ. وَيَجِيءُ قِيَاسُهُ: تَصَوَّرَ، لِمَا ضُرِبَ، كَأَنَّهُ مَالَ وَسَقَطَ. فَهَذَا هُوَ الْمُنْقَاسُ، وَسِوَى ذَلِكَ فَكُلُّ كَلِمَةٍ مُنْفَرِدَةٌ بِنَفْسِهَا"[٢]، ويقول ابن منظور: "والصَّوَرُ، بِالتَّحْرِيكِ: المَيَل. وَرَجُلٌ أَصْوَرُ بَيِّنُ الصَّوَرِ، أَي: مَائِلٌ مُشْتَاقٌ. الأَحمر: صُرْتُ إِليَّ الشيءَ وأَصَرْتُه إِذا أَملتَه إِليك... وَفِي رأْسه صَوَرٌ، أَي: مَيَل... وَفِي حَدِيثِ عُمَرَ وَذُكِرَ الْعُلَمَاءُ فَقَالَ[٣]: «تَتْعَطِف عَلَيْهِمْ بِالْعِلْمِ قلوبٌ لَا تَصُورُها الأَرحام»، أَي: لَا تُمِيلُها... وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ[٤]: «إِني لأُدْني الحائِضَ منِّي وَمَا بِي إِليها صَوَرَةٌ»، أَي: مَيْل وَشَهْوَةٌ تَصُورُني إِليها، وصارَ الشيءَ صَوْرًا وأَصارَه فانْصار: أَماله فَمَالَ، قَالَتِ الخنساءُ[٥]:

لَظَلَّت الشُّهْبُ مِنْها وهْيَ تَنْصارُ

---

(١) ينظر: مفردات القرآن للفراهي ص٢٩٣.

(٢) مقاييس اللغة (ص و ر) ٣٢٠/٣، وينظر: الصحاح (ص و ر) ٧١٦/٢، ٧١٧، والعين (ص و ر) ١٤٩/٧.

(٣) في غريب الحديث لابن قتيبة ٥٩٣/٢، والغريبين في القرآن والحديث للهروي ١١٠٢/٤، والفائق ٣٢١/٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ٦٠٨/١، والنهاية ٥٩/٣.

(٤) في غريب الحديث لأبي عبيد ٥/ ٢٧٤، والفائق ٣٢١/٢، و المجموع المغيث ٣٠٠/٢، وغريب الحديث لابن الجوزي ٦٠٨/١، والنهاية ٥٩/٣.

(٥) عجز بيت من البسيط، وصدره: فَلَوْ يُلَاقِي الَّذِي لَاقَيْتُهُ حِضْنٌ، وهو للخنساء، وليس في ديوانها، وهو لها في مجاز القرآن ٨١/١، والأضداد لابن الأنباري ص٣٧، وتهذيب اللغة ١٥٩/١٢.

أَي: تصدّعُ وتفلّقُ، وخص بعضهم بِهِ إمالة الْعُنُقِ. وصَوِرَ يَصْوَرُ صَوَرًا، وَهُوَ أَصْوَرُ: مَالَ، قَالَ[1]:

اللَّـــهُ يَعْلَـــمُ أَنَّـــا فِـــي تَلَفُّتِنَـــا يَـــوْمَ الفِـــرَاقِ إِلَـــى أَحْبابِنَـــا صُـــورُ

... وَكُلُّهُمْ فَسَّرُوا ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، وَالْكَسْرُ فُسِّر بِمَعْنَى قَطِّعْهن... وَمَنْ قرأَ: ﴿فَصِرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ بِالْكَسْرِ، فَفِيهِ قَوْلَانِ: أَحدهما أَنه بِمَعْنَى صُرْهن، يُقَالُ: صارَهُ يَصُورُهُ ويَصِيرُه إذا أَماله، لغتان..."[2].

ومن هذا يتبين لنا أن المعجميين قالوا بأن أصل هذه المادة يعود إلى الميل، وأن أصل هذه الدلالة كان حسيًّا وخصَّ به بعضُهم إمالةَ العُنُق، ويقال منه: رَجُلٌ أَصْوَرُ بَيِّنُ الصَّوَرِ، وهذه المادة وردت بالواو والياء فيقال: صوَرَ يَصُورُ ويَصِيرُ.

هذا، وقد اختلف أهل المعاني والمفسرون في تفسير قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ إلى قولين: أَمِلْهُنَّ، وقَطِّعْهُنَّ، وقد نسب الزجاج القول بأنه بمعنى أملهن إلى أهل اللغة أو أكثرهم[3]، وأنكر الفَرَّاءُ قول مَنْ قال: صِرْهُنّ: قَطِّعْهُنَّ، وقالَ: لا نعرف صار بمَعْنَى قَطَّع، إلاّ أَنْ يكون الأصل فيه صَرَى، فقدِّمَت الرَّاءُ إلى موضع العين، وأُخِّرت العين إلى موضع اللَّام؛ كما قالوا: عاثَ في الأَرْضِ وَعَثا[4].

وجدير بالذكر أن قوله تعالى: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قد قرئ بضم الصاد من صور يَصُور وبكسرها من صور يصِير، فقرأ حمزة ويعقوب بكسر الصاد، والباقون

(١) من البسيط، وهو بلا نسبة في الخصائص ٤٣/١، وسر الصناعة ٤١/١، والمخصص ٣٤٣/٣، وتاج العروس (ص و ر) ٣٦٠/١٢.

(٢) ينظر: اللسان (ص و ر) ٤٧٤/٤.

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٣٤٥/١.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٧٤/١.

بضمها[١]، وقد تقدم أن هذه المادة واوية ويائية، وقد ذكر الفراء أن الضم عند كثير من العرب، أما الكسر ففي هذيل وسليم[٢]، وقد قال أكثر أهل التفسير: معناه: مِلْهُنَّ إليك، يعني: وَجِّهْهُنَّ إليك وادْعُهُنَّ واضممهن، قاله عطاء، وابن زيد، وعلى هذا في الكلام محذوف، كأنه قيل: فصرهن إليك وقطعهن، ثم اجعل على كل جبل منهن جزءًا، فحذف الجملة التي هي قَطِّعْهُن؛ لدلالة الكلام عليها[٣]، واستشهدوا على مجيء صرت أصور بمعنى ملت بما تقدم من الشواهد الشعرية التي أنشدها ابن منظور، وقال بعض المفسرين: يحتمل أن يكون معنى ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ إذا قرئ كذلك بضم الصاد: قطِّعهن، وهو قول ابن عباس، وسعيد بن جبير، والحسن، ومجاهد، واستشهدوا على مجيء صرت أصور بمعنى قطعت بقول توبة بن الحميِّر[٤]:

فَمَدَّتْ لِيَ الأَسْبَابَ حتَّى بَلَغْتُهَا بِرِفْقِي وَقَدْ كَادَ ارْتِقَائِي يَصُورُهَا

فيصورها يعني: يقطعها، فمن فسر صُرْهُن بمعنى قَطِّعْهُن لا يحتاج إلى إضمار، ويكون قوله: ﴿إِلَيْكَ﴾ من صلة الأخذ، كأنه قيل: خذ إليك أربعة من الطير فقطعهن.

وقد فسروا هذا اللفظ على قراءة حمزة بمعنى الإمالة والتقطيع أيضًا، واستشهدوا على الإمالة بقول الشاعر[٥]:

---

(١) ينظر: معاني القراءات للأزهري ٢٢٤/١، والحجة في القراءات السبع ص١٠١، والحجة للقراء السبع ٣٨٩/٢، وحجة القراءات ص١٤٥.

(٢) ينظر: معاني القرآن للفراء ١٧٤/١.

(٣) جامع البيان للطبري ٤٩٦/٥.

(٤) البيت من الطويل، وهو لتوبة بن الحميِّر في ديوانه ص٣٢، تح: خليل إبراهيم العطية، ط: مطبعة الإرشاد ببغداد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م.

(٥) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في معاني القرآن للفراء ١٧٤/١، والألفاظ لابن السكيت =

وفَـرْعٍ يصـيرُ الجِيـدَ وَحْـفٍ كأنّـه علـى اللِّيـتِ قِنـوانُ الكُـرومِ الـدَّوَالِحِ

إذًا فالقراءتان "يُحتمل أَنْ تكونا بمعنىً واحدٍ؛ وذلك أنه يقال: صارَه يَصُوره ويَصِيره بمعنى قَطَعه أو أماله، فاللغتان لفظٌ مشتركٌ بين هذين المعنيين، والقراءتان تَحْتَمِلهما معًا، وهذا مذهبُ أبي عليّ. وقال الفراء: الضمُّ مشتركٌ بين المعنيين، وأمَّا الكسرُ فمعناه القطعُ فقط. وقال غيرُه: الكسرُ بمعنى القَطْعِ، والضمُّ بمعنى الإمالةِ"(١).

والبحث يرجح أن يكون المراد بالصور هنا الميل لا التقطيع؛ لأسباب، منها:

أولها: أن هذا قول أكثر اللغويين والمفسرين، مع إنكار الفراء مجيء يصور أو يصير بمعنى التقطيع، وقد قال بعض العلماء: "المشهور في اللغة في قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ﴾: أَمِلْهُنَّ، وأما التقطيع والذبح فليس في الآية ما يدل عليه، فكان إدراجه في الآية إلحاقًا لزيادة بالآية لم يدل الدليل عليها وأنه لا يجوز"(٢).

وثانيها: سياق الآيات الذي يوحي بذلك، فمجيء الجار والمجرور ﴿إِلَيْكَ﴾ دليل على أن المراد بـ (صرهن) أملهن إليك، فإننا نقول: أملت الشيء إليَّ، ولا نقول: قطعت الشيء إلي، فإن صار يصور بمعنى قطع لا يتعدى بإلى، وإنما يتعدى بهذا الحرف إذا كان بمعنى الإمالة، "فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: فخذ إليك أربعة من الطير فصرهن؟ قلنا: التزام التقديم والتأخير من غير دليل ملجئ إلى التزامه خلاف الظاهر"(٣).

وثالثها: أنه إنما أمره بميلهن إليه؛ "لتعرف أشكالها فيكون ذلك أثبت في أمرها، قال

=

ص٤٠٩، و الأضداد لابن الأنباري ص٣٦، وديوان الأدب ٤٠٥/٣.

(١) الدر المصون ٥٧٦/٢.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٣٧/٧.

(٣) المصدر السابق ٣٨/٧.

الحرالي: من الصور وهو استمالة القلوب بالإحسان حتى يشتد إلى المستميل صغوها وميلها، وإشعاره ينبئ ـ والله سبحانه وتعالى أعلم ـ أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام رباهنَّ وغذاهُنَّ حتى عرفنه؛ ليكون ذلك مثلًا لما لله سبحانه وتعالى في خلقه من تربيتهم بخلقهم ورزقهم حتى عرفوه بما احتاجوا إليه، فوجدوه معرفة عجز عنه لا معرفة نيل له، فمتى دعاهم من أقطار الآفاق أجابوه إجابة هذه الطوائر لخليله بحظ يسير من تربيته لهن، وإذا كانت هذه الأربع مجيبة للخليل عليه السلام بهذا الحظ اليسير من الصور والصغو فكيف تكون إجابة الجملة للجليل العزيز الحكيم"[1]، إذًا فإن مقصدًا ربانيًّا وملمحًا دلاليًّا سيفوت لو أننا قلنا بترجيح دلالة الصور هنا على التقطيع دون الميل؛ ولهذا قال البحث بترجيح دلالة الصور هنا على الميل.

ومن هذا يتبين لنا أن الصور بمعنى الميل مع ملاحظة قيد العطف والحنو على الشيء الممال، فالإمالة والعطف قبل التقطيع؛ ليحصل الأنس والتعود بينها فيرجعن إليه حين دعائه لهن، وبهذا الملمح الدلالي يفترق الصَّوَر عن الميل.

٢٣- العِوَج:

وردت مادة (ع و ج) في القرآن الكريم في تسعة مواضع بصيغة واحدة، هي مصدر الفعل عَوِجَ الشيء عِوَجًا، ويلاحظ على هذه المواضع التسع أن لفظ العوج جاء منفيًا إما عن القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجًا ۜ﴾[الكهف: ١]، وقوله سبحانه: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[الزمر: ٢٨]، وإما منفيًّا عن الأرض وما فيها كقوله ﷻ: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾[طه: ١٠٧]، وإما لإنكار عوج أهل الكتاب كما في قول ربنا: ﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ﴾[آل عمران: ٩٩].

(١) نظم الدرر ٤/٦٧، ٦٨.

وأرجع أصحاب المعاجم دلالة لفظ العوج إلى أصل واحد وهو الميل، يقول ابن فارس: "الْعَيْنُ وَالْوَاوُ وَالْجِيمُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَيَلٍ فِي الشَّيْءِ أَوْ مَيْلٍ، وَفُرُوعُهُ تَرْجِعُ إِلَيْهِ. قَالَ الْخَلِيلُ: الْعَوْجُ: عَطْفُ رَأْسِ الْبَعِيرِ بِالزِّمَامِ أَوِ الْخِطَامِ. وَالْمَرْأَةُ تَعُوجُ رَأْسَهَا إِلَى ضَجِيعِهَا... قَالَ الْخَلِيلُ: وَالْعَوَجُ: اسْمٌ لَازِمٌ لِمَا تَرَاهُ الْعُيُونُ فِي قَضِيبٍ أَوْ خَشَبٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَتَقُولُ: فِيهِ عَوَجٌ بَيِّنٌ. وَالْعَوَجُ: مَصْدَرُ عَوِجَ يَعْوَجُّ عِوَجًا. وَيُقَالُ: اعْوَجَّ يَعْوَجُّ اعْوِجَاجًا وَعَوَجًا. فَالْعَوَجُ مَفْتُوحٌ فِي كُلِّ مَا كَانَ مُنْتَصِبًا كَالْحَائِطِ وَالْعُودِ، وَالْعِوَجُ مَا كَانَ فِي بِسَاطٍ، أَوْ أَمْرٍ نَحْوَ دِينٍ وَمَعَاشٍ، يُقَالُ مِنْهُ: عُودٌ أَعْوَجُ بَيِّنُ الْعَوَجِ. وَالنَّعْتُ أَعْوَجُ وَعَوْجَاءُ، وَالْجَمْعُ عُوجٌ"(١)، ويقول ابن منظور: "العَوَجُ: الِانْعِطَافُ فِيمَا كَانَ قَائِمًا فمالَ كالرُّمْحِ وَالْحَائِطِ، والرُّمْحُ وكلُّ مَا كَانَ قَائِمًا يُقَالُ فِيهِ العَوَجُ، بِالْفَتْحِ، وَيُقَالُ: شَجَرَتُكَ فِيهَا عَوَجٌ شَدِيدٌ، قَالَ الأَزهري: وَهَذَا لَا يَجُوزُ فِيهِ وَفِي أَمثاله إِلّا العَوَج. والعَوَج بِالتَّحْرِيكِ: مَصْدَرُ قَوْلِكَ عَوِجَ الشَّيْءُ، بِالْكَسْرِ، فَهُوَ أَعْوَجُ، وَالِاسْمُ العِوَجُ، بِكَسْرِ الْعَيْنِ، وعاجَ يَعُوجُ إِذا عَطف. والعِوَجُ فِي الأَرض: أَن لَا تَسْتَوِيَ. وَفِي التَّنْزِيلِ: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾؛ قَالَ ابْنُ الأَثير: قَدْ تَكَرَّرَ ذِكْرُ العِوَج فِي الْحَدِيثِ اسْمًا وَفِعْلًا وَمَصْدَرًا وَفَاعِلًا وَمَفْعُولًا، وَهُوَ – بِفَتْحِ الْعَيْنِ – مُخْتَصٌّ بِكُلِّ شَخْصٍ مَرْئِيٍّ كالأَجسام، وَبِالْكَسْرِ، بِمَا لَيْسَ بمَرْئِيٍّ كالرأْي والقوْل، وَقِيلَ: الْكَسْرُ يُقَالُ فِيهِمَا مَعًا، والأَول أَكثر؛ وَمِنْهُ الْحَدِيثُ(٢): «حَتَّى تُقِيم بِهِ المِلَّة العَوْجاء»؛ يَعْنِي مِلَّة إِبْرَاهِيمَ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، الَّتِي غيَّرَتْها العرَب عَنِ اسْتِقَامَتِهَا، والعِوَجُ – بِكَسْرِ الْعَيْنِ – فِي الدِّين، تَقُولُ: فِي دِينِهِ عِوَجٌ؛ وَفِيمَا كَانَ التَّعْوِيجُ يكثُرُ مِثْل الأَرض والمَعاش... وعاجَ الشيءَ عَوْجًا

(١) مقاييس اللغة (ع و ج) ١٧٩/٤، ١٨٠.

(٢) جزء من حديث طويل أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٦٦٢٢) ١٩٣/١١، والبخاري برقم (٢٠١٨) ٧٤٧/٢.

وعِياجًا، وعَوَّجَه: عَطَفَه. وَيُقَالُ: نَخِيل عُوجٌ إذا مالَتْ"(١).

إذًا فالعِوج والعَوَج هو الميل عن الاعتدال والاستقامة مع الانعطاف في ذلك، وقالوا بأن العِوج دلالته على الميل في الأقوال والآراء والعمل، أي في الأمور المعنوية، أما العَوَج بالفتح فتكون دلالته على الميل في الأشخاص والأعيان، وهذا الرأي يبطله قوله تعالى لما ذكر نسف الجبال: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾[طه: ١٠٦- ١٠٧]؛ حيث اتفق القراء على قراءته بكسر العين كما سيأتي، وقال آخرون: مكسور العين يجري على الأجسام غير المنتصبة كالأرض وعلى الأشياء المعنوية كالدين، ومفتوح العين يوصف به الأشياء المنتصبة كالحائط والعصا، وقد أشار أهل المعاني والمفسرون إلى ذلك، فقرروا إجمالًا أن لفظ العوج يأتي بمعنى الميل، وأثناء حديثهم عن ذلك فرقوا بين مكسور العين ومفتوحها، يقول أبو عبيدة عند بيان معاني قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[آل عمران: ٩٩]: "﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾: مكسورة الأول؛ لأنه في الدّين، وكذلك في الكلام والعمل، فإذا كان في شيء قائم نحو الحائط، والجذع: فهو عَوَجٌ مفتوح الأول"(٢)، ويقول أيضًا عند بيان معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾[الأعراف: ٨٦]: "﴿وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾: مكسورة الأول مفتوح ثاني الحروف، وهو الاعوجاج في الدين وفي الأرض، وفي آية أخرى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾، والعوج إذا فتحوا أوله والحرف الثاني فهو الميل فيما كان قائمًا نحو الحائط والقناة والسنّ ونحو ذلك"(٣)، ويلخص السمين

(١) اللسان (ع و ج) ٣٣١/٢: ٣٣٣.
(٢) مجاز القرآن ٩٨/١.
(٣) مجاز القرآن ٢١٩/١، ٢٢٠، وينظر: جامع البيان للطبري ٥٣/٦، ٥٤.

الآراء التي قيلت في الفرق بين العِوج والعَوَج فيقول: "والعِوَج بالكسر والعَوَج بالفتح المَيْلُ، ولكنَّ العرب فَرَّقوا بينهما، فَخَصُّوا المكسورَ بالمعاني والمفتوحَ بالأعيانِ، تقول: في دينه وكلامِه عِوَجٌ بالكسر، وفي الجِدارِ عَوَجٌ بالفتح، قال أبو عبيدة: «العِوَج بالكسر المَيْلُ في الدين والكلام والعمل، وبالفتح في الحائط والجذع»، وقال أبو إسحاق: «بالكسر فيما لا ترى له شخصًا، وبالفتح فيما له شخصٌ، وقال صاحب «المجمل»: «بالفتح في كلِّ منتصبٍ كالحائط، والعِوج يعني بالكسر ما كان في بساطٍ أو دين أو أرض أو معاش»، فقد جعل الفرقَ بينهما بغير ما تقدم، وقال الراغب: «العِوَجُ: العَطْفُ عن حالِ الانتصاب، يقال: عُجْتُ البعيرَ بزِمامه، وفلان ما يَعُوجُ عن شيءٍ يَهُمُّ به أي يَرْجَع، والعَوَج يعني بالفتح يقال فيما يُدْرك بالبصر كالخشب المنتصِب ونحوه، والعِوَج يقال فيما يدرك بفكرٍ وبصيرة، كما يكون في أرض بسيطة عِوَج فيُعرف تفاوتُه بالبصيرة وكالدين والمعاش»، قلت: وهذا قريبٌ من قول ابنِ فارس؛ لأنه كثيرًا ما يَأْخذ منه"(١).

وأما تفصيلًا فقالوا في الآيات التي ورد فيها لفظ العوج بأنه بمعنى الميل، فقالوا في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: "﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾: تطلبون لها اعوجاجًا وميلًا عن القصد والاستقامة، فإن قلت: كيف تبغونها عوجًا وهو محال؟ قلت: فيه معنيان: أحدهما أنكم تلبسون على الناس حتى توهموهم أنّ فيها عوجًا بقولكم: إن شريعة موسى لا تنسخ، وبتغييركم صفة رسول اللَّه ﷺ عن وجهها ونحو ذلك. والثاني: أنكم تتبعون أنفسكم في إخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم"(٢).

(١) الدر المصون ٣/٣٢٦، ٣٢٧.

(٢) الكشاف ١/٣٩٢.

وأما قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ فقد أخبر جل ثناؤه أنه أنزل الكتاب الذي أنزله إلى محمدﷺ ﴿قَيِّمًا﴾[الكهف: ٢] مستقيمًا لا اختلاف فيه ولا تفاوت، بل بعضه يصدق بعضًا، وبعضه يشهد لبعض، لا عوج فيه، ولا ميل عن الحق، وكسرت العين من قوله: ﴿عِوَجَا﴾؛ لأن العرب كذلك تقول في كل اعوجاج كان في دين، أو فيما لا يرى شخصه قائمًا، فيُدْرَك عِيانًا منتصبًا كالعاج في الدين؛ ولذلك كُسِرت العين في هذا الموضع، وكذلك العِوَج في الطريق؛ لأنه ليس بالشخص المنتصب، فأما ما كان من عِوَج في الأشخاص المنتصبة قيامًا، فإن عينها تفتح كالعَوج في القناة، والخشبة، ونحوها(١).

واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت في قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجَا وَلَآ أَمْتًا﴾، فقال بعضهم: عنى بالعوج في هذا الموضع: الأودية، وبالأمت: الروابي والنشوز، وقال آخرون: بل عنى بالعوج في هذا الموضع: الصدوع، وبالأمت: الارتفاع من الآكام وأشباهها، وقال آخرون: عنى بالعوج: الميل، وبالأمت: الأثر، وقال آخرون: الأمت: المحاني والأحداب، قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل؛ وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب.... وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم: مدَّ حبلَه حتى ما ترك فيه أمتًا: أي انثناء، وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتًا... فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلًا عن الاستواء، ولا ارتفاعًا، ولا انخفاضًا، ولكنها مستوية ملساء، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا﴾(٢)، فإن قيل: لمَ قال: ﴿عِوَجَا﴾ بكسر العين وقد قال أئمة اللغة:

(١) جامع البيان للطبري ٥٩٢/١٧.

(٢) المصدر السابق ٣٧١/١٨: ٣٧٣.

إن العِوج بالكسر في المعاني، وبالفتح في الأعيان؟ فجواب ذلك من وجهين:

الأول: أن هذه الآية تؤيد ما قاله أبو عبيدة وابن فارس وغيرهما من أن كل ما كان ينتصب كالحائط والعود يقال فيه: عَوَج بالفتح، أما العِوَج بالكسر فما كان في الأرض أو دين أو معاش.

الثاني: أجاب الزمخشري عن ذلك بأن اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الأرض بالاستواء والملاسة، ونفي الاعوجاج عنها على أبلغ ما يكون، وذلك أنك لو عمدت إلى قطعة أرض فسوّيتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة، واتفقتم على أنه لم يبق فيها اعوجاج قط، ثم استطلعت رأى المهندس فيها وأمرته أن يعرض استواءها على المقاييس الهندسية، لعثر فيها على عوج في غير موضع، لا يدرك ذلك بحاسة البصر ولكن بالقياس الهندسي، فنفى الله عزّ وعلا ذلك العوج الذي دقّ ولطف عن الإدراك، اللهمّ إلا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة، وذلك الاعوجاج لما لم يدرك إلا بالقياس دون الإحساس لحق بالمعاني، فقيل فيه: عوج بالكسر[1]، ويقول البقاعي: "وعبر هنا بالكسر وهو للمعاني، ولم يعبر بالفتح الذي يوصف به الأعيان، ومواضع الجبال أعيان لا معاني؛ نفيًا للاعوجاج على أبلغ وجه، بمعنى أنك لو جمعت أهل الخبرة بتسوية الأراضي لا تفقوا على الحكم باستوائها، ثم لو جمعت أهل الهندسة فحكموا مقاييسهم العلمية فيها لحكموا بمثل ذلك"[2].

أما قوله تعالى: ﴿ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾[الزمر: ٢٨] "فيحتمل وجهين:

أحدهما: أنه لا يخالف الكتب السالفة؛ بل يوافقها؛ لأن كتب اللَّه جاءت كلها على

(١) الكشاف ٨٨/٣.

(٢) نظم الدرر ٣٤٥/١٢.

الدعاء إلى توحيد اللَّه وربوبيته، فكذلك القرآن، فهو لا يخالف سائر الكتب؛ بل يوافقها.

والثاني: لا عوج فيه؛ لما لا يخالف بعضه بعضًا، ولا يناقض؛ بل خرج كله موافقًا بعضه بعضًا مستقيمًا على تباعد نزوله في الأوقات، وأصله: ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾، أي: ليس بمائل ولا زائغ عن الحق"[(١)]، "فإن قلت: فهلا قيل: مستقيمًا، أو: غير معوج؟ قلت: فيه فائدتان، إحداهما: نفي أن يكون فيه عوج قط، كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾، والثانية: أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان"[(٢)]، ويقول البقاعي: "وفي الإتيان بـ «عِوَج» الذي هو مختص بالمعاني بيان أن الوصف له حقيقة، فهو أبلغ من «غير معوج»؛ لأنه يحتمل إرادة أهله على المجاز"[(٣)].

وعلى الجملة فإن لفظ العوج يدل على الميل والعدول عن الاعتدال والاستقامة مع الانعطاف، مع تفريقهم بين مكسور العين ومفتوحها على الوجه الذي بيناه آنفًا، وقد يوضع أحدهما موضع الآخر لفائدة دلالية، أو لنكتة بلاغية كما أشار إلى ذلك الزمخشري والبقاعي عند تفسير قوله تعالى: ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾، ويفترق العوج عن الميل بالانحراف الواضح عن الاستقامة والانعطاف اللذين نلحظهما في لفظ العوج دون لفظ الميل، في حين أن الميل قد يكون تدريجيًّا أو جزئيًّا دون الوصول إلى حدِّ الانفصال التام.

٢٤- العَوْل:

وردت مادة (ع و ل) مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة المضارع، وذلك في قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾[النساء: ٣].

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٦٧٨/٨.

(٢) الكشاف ١٢٥/٤.

(٣) نظم الدرر ٤٩٧/١٦.

وقد أشار أصحاب المعاجم وأهل اللغة إلى أن العول يدل في إحدى معانيه على الميل والعدول في الحكم، يقول الجوهري: "عال الميزان فهو عائِلٌ، أي مائلٌ. قال الشاعر(١):

قَـالُوا اتَّبَعْنَـا رَسُـولَ اللَّـهِ وَاطَّرَحُـوا قَـوْلَ الرَّسُـولِ وَعَـالُوا فِـي الْمَـوَازِينِ

... ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾، قال مجاهدٌ: لا تميلوا ولا تجوروا. يقال: عالَ في الحكم، أي جار ومال"(٢)، ويقول ابن منظور: "العَوْل: المَيْل فِي الحُكْم إِلى الجَوْر. عالَ يَعُولُ عَوْلًا: جَارَ ومالَ عَنِ الْحَقِّ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾... وَعَالَ المِيزانَ عَوْلًا، فَهُوَ عَائِل: مالَ؛ هَذِهِ عَنِ اللِّحْيَانِيِّ. وَفِي حَدِيثِ عُثْمَانَﷺ(٣): «كتَب إِلى أَهل الْكُوفَةِ: إِني لسْتُ بميزانٍ لَا أَعُول»، أَي: لَا أَمِيل عَنِ الِاسْتِوَاءِ وَالِاعْتِدَالِ، يُقَالُ: عَالَ الميزانُ إِذا ارْتَفَعَ أَحدُ طَرَفيه عَنِ الْآخَرِ؛ وَقَالَ أَكثر أَهل التَّفْسِيرِ: مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾، أَي: ذَلِكَ أَقرب أَن لَا تَجُوروا وتَمِيلوا، وَقِيلَ: ذَلِكَ أَدْنى أَن لَا يَكْثُر عِيَالكم"(٤).

إذًا فالعول هو الميل، وهو في الأصل الميل المحسوس، من قولهم: عال الميزان إذا مال، ثم نقل إلى الميل المعنوي وهو الجور، وقد اتفق أكثر المفسرين وأهل المعاني مع اللغويين، فقالوا بأن العول بمعنى الميل والجور، ومنه عَول الْفَرِيضَة، وَهُوَ أَن تزيد سهامُها فَيدْخل النُّقْصَان على أهل الْفَرَائِض، قال أبو عبيد:

---

(١) البيت من البسيط، وهو لعبد الله بن الحارث بن قيس السَّهْمِيّ في سيرة ابن هشام ٢٨٦/١، والروض الأنف للسهيلي ١٣٤/٣، وسير الأعلام ١٤٨/١.

(٢) الصحاح (ع و ل) ١٧٧٧/٥، وينظر: المحكم (ع و ل) ٣٥٧/٢.

(٣) الحديث في غريب الحديث للخطابي ١٣٧/٢، والغريبين في القرآن والحديث ١٣٤٤/٤، والفائق ٣٩/٣، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث ٣٠٦/٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ١٣٥/٢، والنهاية لابن الأثير ٣٢٢/٣.

(٤) اللسان (ع و ل) ٤٨١/١١.

"وَأَظنهُ مأخوذًا من الْميل؛ وَذَلِكَ أَن الْفَرِيضَة إِذا عالت فَهِيَ تَمِيل على أهل الْفَرِيضَة جَمِيعًا فتنقصهم"(١).

هذا، وقد اختلف المفسرون في تأويل معنى العول في الآية إلى قولين:

أولهما: أن معناه: أقرب ألاّ تجوروا، وتميلوا، ويكون تأويل الآية: وإن خفتم ألا تعدلوا في مثنى أو ثلاث أو رباعَ فنكحتم واحدة، أو خفتم أن لا تعدلوا في الواحدة فتسررتم ملك أيمانكم، فهو ﴿أَدۡنَىٰٓ﴾ يعني: أقرب ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾، يقول: ألا تجوروا ولا تميلوا، وهذا قول أكثر المفسرين(٢).

وثانيهما: أَلاّ يكثر مَنْ تعولون، أو ألّا يكثر عيالكم، وهو قول الشافعي(٣).

وقد ردَّ أكثر المفسرين قول الشافعي ومن معه؛ بناءً على أمرين:

الأول: أمر لغوي، وهو أنه لم يرد عال يعول بمعنى كثر عياله، يقول الماتريدي: "قال بعضُ أهل العلم: إن قوله تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾ من كثرة العيال، وهو قول الشافعي رحمه اللَّه تعالى، ولكن هذا لا يستقيم في اللغة؛ لأنه يقال من كثرة العيال: أعال يُعِيل إعالة؛ فهو معيل، ولا يقال: عال يعول، وإنما يقال ذلك في الجور، فَإِنْ قِيلَ: روي في الخبر عن النبيﷺ أنه قال(٤): «ابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»، لكن تأويله – والله أعلم –: ابدأ بمن يلزمُك نفقته، أي: ابدأ بمن تصير جائرًا بترك النفقة عليه، وكذلك يقال: عال يعول عولًا؛ إذا أنفق على عياله، وليس من كثرة العيال في شيء، ألا ترى أن على الرجل أن يبدأ بمن يعول؛ فلو كان قوله: ﴿ذَٰلِكَ

(١) غريب الحديث ٤٢٦/٥.

(٢) جامع البيان للطبري ٥٤٨/٧.

(٣) ينظر: تفسير الإمام الشافعي ٥١٦/٢، تح: أحمد بن مصطفى الفرَّان، ط: دار التدمرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

(٤) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٧١٥٥) ٦٩/١٢، والبخاري برقم (١٣٦٠) ٥١٨/٢، ومسلم برقم (١٠٣٤) ٧١٧/٢.

أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ من العيال؛ لكان المتزوج واحدة ذا عيال، وإن قول اللَّه تعالى: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾، والمتزوج واحدة يعولها؛ فدل بما ذكرنا أن قوله: ﴿أَلَّا تَعُولُواْ﴾، أي: لا تجوروا ولا تميلوا؛ على ما قيل، وعن عائشة﵂: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾: ألا تميلوا"[1].

الثاني: سياق الآية والمراد منها، وهذا يشمل وجهين: أما الأول: فقد قال العلماء بـ "أَنَّ فِي الْآيَةِ ذَكَرَ الْوَاحِدَةَ أَوْ مِلْكَ الْيَمِينِ، وَالْإِمَاءُ فِي الْعِيَالِ بِمَنْزِلَةِ النِّسَاءِ، وَلَا خِلَافَ أَنَّ لَهُ أَنْ يَجْمَعَ مِنْ الْعَدَدِ مَنْ شَاءَ بِمِلْكِ الْيَمِينِ، فَعَلِمْنَا أَنَّهُ لَمْ يُرِدْ كَثْرَةَ الْعِيَالِ، وَأَنَّ الْمُرَادَ نَفْيُ الْجَوْرِ وَالْمَيْلِ بِتَزَوُّجِ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ؛ إذْ لَيْسَ مَعَهَا مَنْ يَلْزَمُهُ الْقَسْمُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا؛ إذْ لَا قَسْمَ لِلْإِمَاءِ بِمِلْكِ الْيَمِينِ"[2]، أما الثاني فهو أنه تعالى قال في أول الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً﴾، ولم يقل: أن تفتقروا، فوجب أن يكون الجواب معطوفًا على هذا الشرط، ولا يكون جوابه إلا بضد العدل، وذلك هو الجور والميل لا كثرة العيال[3].

وقد دافع الأزهري عن الشافعي، فذكر أنه قد "قَالَ الْكسَائي: وَمن الْعَرَب الفصحاء من يَقُول: عَال يعول إِذا كثر عِيَاله، قلت: وَهَذَا يؤيّد مَا ذهب إِلَيْهِ الشَّافِعِي فِي تَفْسِير الْآيَة؛ لِأَن الْكسَائي لَا يَحْكِي عَن الْعَرَب إلاّ مَا حفظه وَضَبطه. وَقَول الشَّافِعِي نَفسه حُجَّةٌ؛ لِأَنَّهُ عربيٌّ اللِّسَان فصيح اللهجة، وَقد اعْترض عَلَيْهِ بعض المتحذلقين فخطَّأه، وَقد عجل وَلم يتثبت فِيمَا قَالَ، وَلَا يجوز للحضريّ أَن يعجل إِلَى إِنْكَار مَا لَا يعرفهُ من لُغَات الْعَرَب"[4].

---

(١) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٣/ ١٢.

(٢) أحكام القرآن للجصاص ٢/٧٢.

(٣) مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤٩٠.

(٤) تهذيب اللغة (ع و ل) ٣/١٢٤.

وهناك رأي ثالث يجمع بين الرأيين السابقين مفاده أن العلماء ذهبوا في تفسيرهم إلى المعنى في حين ذهب الشافعي إلى اللَّفظِ أو الأصل، وأنَّه لا تعارضَ بينهما، حكى البَيهَقِيُّ تخريجَ أحدِ أجلَاّءِ أئمةِ الأدب، فقال: "... إنَّ الشَّافعيَّ ذهبَ إلى الأصلِ؛ لأنَّ العَولَ بمعنى الميلِ إنما هو سببٌ، وليس بمطلقٍ في الأشياءِ؛ لأنَّه لا يقالُ للجدارِ: عَالَ، ولا يقالُ: عَالَ عنِ الطَّريقِ: إذا مَالَ عنه، وإنما خُصَّ به موضعُ القَسْمِ؛ لأنَّ العَول أصلُهُ قُوتُ العيالِ، ومنَ العَولِ يتسببُ الميلُ، ومِنَ القسْمِ بينَ الضَّرائرِ في الإنفاقِ وغيرِه يكونُ المَيلُ، فَسُمِّيَ المَيلُ عَولًا، فذهبَ الشِّافعيُّ ﵀ إلى أصلِ الكلامِ، وذهبَ المفسِّرونَ إلى المعنى الذي يتسبَّبُ منَ الأصلِ"(١).

وقد بين بعضهم كذلك أن التفسير الذي ذكره الشافعي راجع عند التحقيق إلى ذكر التفسير الأول، وذلك من طريقين: أولهما: "أنه يقال: عالت المسألة إذا زادت سهامها وكثرت، وهذا المعنى قريب من الميل؛ لأنه إذا مال فقد كثرت جهات الرغبة وموجبات الإرادة، وإذا كان كذلك كان معنى الآية: ذلك أدنى أن لا تكثروا، وإذا لم تكثروا لم يقع الإنسان في الجور والظلم؛ لأن مطية الجور والظلم هي الكثرة والمخالطة، وبهذا الطريق يرجع هذا التفسير إلى قريب من التفسير الأول الذي اختاره الجمهور"(٢)، وثانيهما: أن يكون راجعًا إليه على سبيل الكناية والتعريض، "وهو الإشارة إلى الشيء بذكر لوازمه، فههنا كثرة العيال مستلزمة للميل والجور، والشافعي﵁ جعل كثرة العيال كناية عن الميل والجور؛ لما أن كثرة العيال لا تنفك عن الميل والجور، فجعل هذا تفسيرًا له لا على سبيل المطابقة؛ بل على سبيل الكناية والاستلزام، وهذه طريقة مشهورة في كتاب الله، والشافعي لما كان محيطًا

(١) الرد على الانتقاد على الشافعي في اللغة للبيهقي ص١٠٧، ١٠٨، تح: عبد الكريم بن محمد الحسن، ط: دار البخاري للنشر والتوزيع، بريدة.

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤٩٠.

بوجوه أساليب الكلام العربي استحسن ذكر هذا الكلام"[١].

وعلى كل حال فلا ينكر على الشافعي تفسيره، وهو من هو في عربيته، غير أن قول أكثر المفسرين: ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ﴾ بمعنى: ألا تميلوا وتجوروا، هو الأقرب والأقوى؛ لما ذكرنا من أن سياق الآية يرجح ذلك، أو أن التفسير الذي ذكره الشافعي راجع إلى معنى الميل أيضًا كما بين البحث.

٢٥- الفُجُور:

ذكر بعض علماء اللغة وأصحاب المعاجم أن مادة (ف ج ر) تعود في بعض معانيها إلى الميل والعدول، يقول الأزهري: "وأَفْجَرَ: مَال مِنْ حَقَ إِلَى بَاطِل، وأفجَرَ يَنْبوعًا من مَاء، أَي أَخْرجه. وَقَالَ شَمِر: قَالَ ابْن الأعرابيّ: الفَجور والفَاجِر: المخطِئ، والفُجورُ خِلاف البِرّ، والفاجِرُ المائِلُ، والسَّاقطُ على الطَّريق. وفَجَر، أَي: كَذَب، وَأَنْشد[٢]:

قَتَلْتُمْ فَتًى لا يَفْجُر الله عامِدًا وَلا يَجْتَوِيه جارُهُ حِين يُمْحِلُ

أَي: لَا يَفْجُرُ أمْر الله، أَي: لَا يَميلُ عَنهُ وَلَا يَتْركه... والفجورُ أَصْلُه الميْلُ عَن القَصْد. قَالَ لَبيد[٣]:

.... **وإنْ أَخَّرتَ فالْكِفْلُ فاجِر**

والكاذبُ فاجِر، والمكَذَّبُ بِالْحَقِّ فاجِر، والكافِرُ فاجِر؛ لميْلِهم عَن الصِّدْق والقَصْد. وَقَول الأعرابيّ لعُمَر[٤]:

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤٩٠.

(٢) البيت من الطويل، وهو لأبي خراش بن مرة الهذلي في أنساب الأشراف للبلاذري ٢٤٧/١١، ومعجم ما استعجم ٥٣١/٢.

(٣) عجز بيت من الطويل، وصدره: فإنْ تَتَقَدَّمْ تَغْشَ منها مُقَدَّمًا □ عَظيمًا، وهو للبيد في ديوانه ص٤٣.

(٤) الرجز لرؤبة في شرح المفصل ٢٧٢/٢، وليس في ديوانه، وينسب لأَبِي كَبْشَةَ في تاريخ =

اغْفِـرِ اللهـمَّ إنْ كـانَ فَجَـرْ

أَي: مالَ عَن الْحق"[(١)]، ويقول ابن منظور: "وفَجَرَ فُجُورًا أَي فَسَقَ. وفَجَر إِذا كَذَبَ، وأَصله الْمَيْلُ. والفاجرُ: الْمَائِلُ... يُقَالُ: مَالَ مِنْ حَقٍّ إِلى بَاطِلٍ، ابْنُ الأَعرابي: الفَجُور، والفاجِرُ: الْمَائِلُ وَالسَّاقِطُ عَنِ الطَّرِيقِ... والفُجور: الرِّيبة، وَالْكَذِبُ مِنَ الفُجُورِ. وَقَدْ رَكِبَ فُلَانٌ فَجْرَةً وفَجارِ، لَا يُجْرَيان، إِذا كَذَبَ وفَجَرَ، وَفِي حَدِيثِ أَبي بَكْرٍ ﷺ[(٢)]: «إِياكم وَالْكَذِبَ فإنه مَعَ الفُجُورِ، وَهُمَا فِي النَّارِ»؛ يُرِيدُ الْمَيْلَ عَنِ الصِّدْقِ وأَعمال الْخَيْرِ... وفَجَرَ الراكبُ فُجورًا: مَالَ عَنْ سَرْجِهِ، وفَجَرَ أَيْضًا: مَالَ عَنِ الْحَقِّ"[(٣)].

إذًا فالفجور هو الميل عن الحق والصدق، ويشمل الفجور كلًّا من الكافر والفاسق والكاذب، وكل من عنده انحراف؛ لميلهم عن الصدق والحق وانحرافهم عن شرع الله، وقد اتفق بعض أهل المعاني وبعض المفسرين مع أصحاب المعاجم فبينوا أن الفجور يدل في أصل معناه على الميل، يقول السمين: "وفجر الرجل يفجر فجورًا فهو فاجر، والجمع فجار وفجرة. وقال تعالى في موضع: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾[المطففين: ٧]، وفي آخر: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾[عبس:٤٢]؛ وذلك لما فيه من شق ستر الديانة، وقيل: أصل الفجور الميل عن القصد، وقال

=

المدينة لابن شبة ٧٩٠/٣، ولعبد الله بن كَيْسَبَة النهدي، ويقال: اسمه عمرو في الاستغناء في معرفة المشهورين من حملة العلم بالكنى لابن عبد البر ١٢٣٢/٢، والإصابة في تمييز الصحابة ٧٥/٥، وخزانة الأدب ١٥٦/٥.

(١) تهذيب اللغة (ف ج ر) ٣٥/١١، ٣٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٥) ١٨٤/١، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧٢٤)، وابن ماجه في سننه برقم (٣٨٤٩).

(٣) اللسان (ف ج ر) ٤٧/٥، ٤٨.

بعضهم في قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾[القيامة: ٥]: أي: يكذب بيوم القيامة الذي سيأتي، فهو أمامه، والكاذب فاجر، فالمعنى: يكذب بما أمامه من الحساب وغير ذلك... وسمي تفجر الأنهار بذلك؛ لأن فيه ميلًا عن أحد الجانبين إلى الآخر"(١).

ومن أظهر المواضع التي فسر بها الفجور بالميل قوله تعالى: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ حيث أولوه بالكذب، والكاذب فاجر، يقول ابن قتيبة: "وأما قوله سبحانه: ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ فقد كثرت فيه التفاسير: فقال سعيد بن جبير يقول: سوف أتوب، سوف أتوب، وقال الكلبي: يكثر الذنوب، ويؤخّر التوبة، وقال آخرون: يتمنّى الخطيئة، وفيه قول آخر: على طريق الإمكان- إن كان الله تعالى أراده- وهو: أن يكون الفجور بمعنى: التكذيب بيوم القيامة، ومن كذّب بحق فقد فجر. وأصل الفجور: الميل، فقيل للكاذب والمكذّب والفاسق: فاجر؛ لأنه مال عن الحق... وهذا وجه حسن؛ لأن الفجور اعتراض بين كلامين من أسباب يوم القيامة، أولهما: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ﴾[القيامة: ٣]، والآخر: ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾[القيامة: ٦]، فكأنه قال: أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه في الآخرة؟ بلى نقدر على أن نجمع ما صغر منها ونؤلف بينه، ﴿بَلۡ يُرِيدُ ٱلۡإِنسَٰنُ لِيَفۡجُرَ أَمَامَهُۥ﴾، أي: ليكذّب بيوم القيامة وهو أمامه، فهو ﴿يَسۡـَٔلُ أَيَّانَ يَوۡمُ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، أي: متى يكون؟"(٢).

ومعنى الآية: إن الإنسان الذي يميل طبعه إلى الاسترسال في الشهوات والاستكثار من اللذات لا يكاد يقر بالحشر والنشر وبعث الأموات؛ لئلا تتنغص

(١) عمدة الحفاظ (ف ج ر) ٢٠٣/٣، ٢٠٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص٢٠٧، ٢٠٨.

عليه اللذات الجسمانية فيكون أبدًا منكرًا لذلك، قائلًا على سبيل الهزء والسخرية: أيان يوم القيامة؟[١].

ويقول القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾: "الْفَجَرَةُ جَمْعُ فَاجِرٍ، وَهُوَ الْكَاذِبُ الْمُفْتَرِي عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: الْفَاسِقُ، يُقَالُ: فَجَرَ فُجُورًا: أَيْ فَسَقَ، وَفَجَرَ: أَيْ كَذَبَ. وَأَصْلُهُ: الْمَيْلُ، وَالْفَاجِرُ: الْمَائِلُ"[٢]، ويقول الماتريدي عند تفسير قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ﴾[الانفطار: ١٤]: "والفجور: هو الميل، والميل يكون بوجهين: أحدهما: بترك الاعتقاد والفعل جميعًا. والثاني: ميل في المعاملة، وهو أن يخالف فعله عقده"[٣]، ويقول السجستاني في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرٗا كَفَّارٗا﴾[نوح: ٢٧]: "فَاجِرًا: مائلًا عَن الْحق، وأصل الْفُجُور الْميل"[٤].

إذًا فأصل الفجور الميل والانحراف عن الاستقامة والعدول عن الحق، ويشمل الفجور كلًّا من الكافر والفاسق والكاذب، وقد فسر في القرآن الكريم بالكذب والفسوق والكفر؛ للمح الميل فيها عن الصدق والحق والانحراف عن شرع الله، وهو يصدق على كل من عنده انحراف في الاعتقاد، أو العمل، أو المعاملة، أو الميل إلى الشهوات واللذات، وعلى الجملة فهو لفظ جامعٌ للشرور، ومن هنا نتبين الفرق بينه وبين لفظ الميل؛ إذ إن لفظ (الفجور) يعد انحرافًا شديدًا يتضمن تجاوزًا واضحًا وميلًا عن القصد في الأمور الشرعية والانغماس في المعاصي دون اعتبار للعواقب؛ إذ إن الفجور "الانبعاثِ في المعاصي والتَّوسُّعِ فيها"[٥]، وهو أيضًا: "هيئةٌ

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٣٠/ ٧٢٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٩/ ٢٢٦.
(٣) تأويلات أهل السنة للماتريدي ١٠/ ٤٦٢.
(٤) غريب القرآن ص٣٦٦.
(٥) الفروق اللغوية ص٢٣١.

حاصلةٌ للنَّفسِ بها يباشِرُ أمورًا على خلافِ الشَّرعِ والمروءةِ"[١]، وقال ابن حجر عنه: "الفُجورُ: الميلُ عن الحَقِّ والاحتيالُ في رَدِّه"[٢]، في حين أن الميل قد يكون تدريجيًّا أو جزئيًّا دون الوصول إلى حدِّ الفجور الصريح.

٢٦- القُسُوط:

أشار أصحاب المعاجم إلى أن مادة (ق س ط) تأتي للميل عن الحق والجور، وهي بذلك تخالف الصيغة المزيدة (أ ق س ط) التي تأتي للعدل في الحكم وغيره، يقول ابن فارس: "الْقَافُ وَالسِّينُ وَالطَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُتَضَادَّيْنِ وَالْبِنَاءُ وَاحِدٌ، فَالْقِسْطُ: الْعَدْلُ، وَيُقَالُ مِنْهُ: أَقْسَطَ يُقْسِطُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[المائدة: ٤٢]، وَالْقَسْطُ بِفَتْحِ الْقَافِ: الْجَوْرُ، وَالْقُسُوطُ: الْعُدُولُ عَنِ الْحَقِّ، يُقَالُ: قَسَطَ، إِذَا جَارَ، يَقْسِطُ قَسْطًا، وَالْقَسَطُ: اعْوِجَاجٌ فِي الرِّجْلَيْنِ، وَهُوَ خِلَافُ الْفَحَجِ"[٣]، ويقول الخليل: "والقُسُوط: الميل عن الحق، وقسط يقسط فهو قاسِطٌ، قال[٤]:

يَشْفِي من الغيظ قُسُوطَ القاسِطِ

ورِجْلٌ قَسطاءُ: في ساقها اعوجاج حتى تَتَنَحَّى القدمان وتنضم الساقان. والقَسَطُ خلاف الفحج. والإِقْساطُ: العدل في القسمة والحكم، وتقول: أَقسَطْتُ بينهم وأَقسَطْتُ إليهم"[٥]، ويقول ابن منظور: "يُقَالُ: أَقْسَطَ يُقْسِطُ، فَهُوَ مُقْسِطٌ إذا عدَل، وقَسَطَ يَقْسِطُ، فَهُوَ قاسِطٌ إذا جارَ، فكأَن الْهَمْزَةَ فِي أَقْسَطَ للسَّلْب كَمَا يُقَالُ: شَكا

(١) التعريفات للجرجاني ص١٦٥.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٩٠/١.

(٣) مقاييس اللغة (ق س ط) ٨٥/٥، ٨٦.

(٤) الرجز نسبه الصغاني في العباب الزاخر (م ي ط) ص٢٠٤ إلى حُمَيْد الأَرْقَطِ، والرواية فيه: حَتَّى شَفَى السَّيْفُ قُسُوطَ الْقَاسِطِ.

(٥) العين (ق س ط) ٧١/٥.

إليه فأَشْكاه... والإقساطُ والقِسْطُ: العَدْلُ. وَيُقَالُ: أَقْسَطَ وقَسَطَ إذا عدَلَ، وجاءَ فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ[١]: «إذا حكَمُوا عدَلوا وإذا قسَموا أَقْسَطُوا»، أَي: عَدَلُوا هَاهُنَا، فَقَدْ جاءَ قَسَطَ فِي مَعْنَى عَدَلَ، فَفِي الْعَدْلِ لُغَتَانِ: قَسَطَ وأَقْسَطَ، وَفِي الجَوْر لُغَةٌ وَاحِدَةٌ قسَطَ، بغيرِ الأَلف، وَمَصْدَرُهُ القُسُوطُ. وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ[٢]: «أُمِرْتُ بِقتالِ الناكثِينَ والقاسِطِينَ والمارِقِينَ»؛ الناكِثُون: أَهلُ الجمَل؛ لأَنهم نَكَثُوا بَيْعَتهم، والقاسِطُونَ: أَهلُ صِفِّينَ؛ لأَنهم جارُوا فِي الحُكم وبَغَوْا عَلَيْهِ، والمارِقُون: الخوارِجُ؛ لأَنهم مَرَقُوا مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُق السَّهمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، وأَقْسطَ فِي حُكْمِهِ: عدَلَ، فَهُوَ مُقْسِطٌ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[الحجرات: ٩]، والقِسْط: الجَوْر، والقُسُوط: الجَوْرُ والعُدُول عَنِ الْحَقِّ"[٣].

ومن هذا يتبين للبحث أن القسوط هو الميل والعدول عن الحق، والجَور في الحكم، وذكر أكثر المعجميين أنه الجور والميل عن الحق، وهو عطف تفسير؛ لأن الميل عن الحق هو الجور، واتضح لنا أنه يقال: قسط للميل والجور، وللعدل أيضًا، فهو من الأضداد، أما أقسط فلا يقال إلا في العدل، نقول منه: أَقْسَطَ الرَّجُلُ فَهُوَ مُقْسِطٌ، وَمِنْه قَوْلُه تَعَالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾، وقد قالوا: إن الهمزة في (أقسط) للسلب، كما يقال: شَكَا إليه فأَشْكاهُ، فقسط جار جورًا، وأقسط إذا أزال الجور فعدل، فكأن الضدية أتته من همزة السلب، وقد نص أهل المعاني والمفسرون على ذلك، يقول أبو عبيدة: "يقال: أقسط يقسط، إذا عدل، وقوله ﷻ:

(١) الحديث أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ٤٤٧/٢١، والإمام أحمد في مسنده برقم (١٩٥٤١) ٣١١/٣٢، والطبراني في المعجم الصغير ١٤٢/١.

(٢) الحديث في مسند البزار ٢١٥/٢، والمعجم الأوسط للطبراني ٢١٣/٨.

(٣) اللسان (ق س ط) ٣٧٧/٧، ٣٧٨.

﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون الكفّار، كقولهم هجد: نام، وتهجّد: سهر"[1]، ويقول الراغب: "والقِسْطُ: هو أن يأخذ قسط غيره، وذلك جور، والْإِقْسَاطُ: أن يعطي قسط غيره، وذلك إنصاف؛ ولذلك قيل: قَسَطَ الرّجل: إذا جار، وأَقْسَطَ: إذا عدل، قال: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وقال: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾"[2].

وقد وردت مادة القسوط مرتين في القرآن الكريم بصيغة اسم الفاعل المجموع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[الجن: ١٤ – ١٥]، وفي هاتين الآيتين يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قولِ النفر من الجن: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ الذين قد خضعوا لله بالطاعة، ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ وهم الجائرون عن الإسلام وقصد السبيل، وقوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا﴾ يقول: فمن أسلم وخضع لله بالطاعة، فأولئك تعمدوا وترجَّوا رشدًا في دينهم، ﴿وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ يقول: الجائرون عن الإسلام، ﴿فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ تُوقَدُ بهم[3]، فكأن القسوط في الآية هو الميل والعدول عن الإسلام؛ لأن ﴿ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ ذكر مقابلًا لـ ﴿ٱلْمُسْلِمُونَ﴾، وكأن الجن قد قسموا أنفسهم إلى قسمين: قسم تمسك بالإسلام فهؤلاء تحروا رشدًا فيه وقصدوا طريق الصواب، وقسم مال عن هذا الدين فهؤلاء سيكونون وقودًا للنار في الآخرة.

ومن هذا يتضح لنا أن القسوط هو الميل والعدول عن الحق، ويعبر به عن الجور في الحكم، وقد دلَّ القسوط في القرآن الكريم على الميل والعدول عن الإسلام في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟

(١) مجاز القرآن ١٦٧/١.

(٢) المفردات في غريب القرآن (ق س ط) ص٦٧٠.

(٣) ينظر: جامع البيان للطبري ٥٩٢/١٧.

رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾، وهو يعني الميل والعدول عن الاستقامة والهداية.

٢٧- اللَّحْن:

أشار أصحاب المعاجم أن من معاني مادة (ل ح ن) الميل والعدول، فأوضح ابن فارس أن الأصل (ل ح ن) "لَهُ بِنَاءَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى إِمَالَةِ شَيْءٍ مِنْ جِهَتِهِ، وَيَدُلُّ الْآخَرُ عَلَى الْفِطْنَةِ وَالذَّكَاءِ. فَأَمَّا اللَّحْنُ بِسُكُونِ الْحَاءِ فَإِمَالَةُ الْكَلَامِ عَنْ جِهَتِهِ الصَّحِيحَةِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، يُقَالُ: لَحَنَ لَحْنًا... وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُمْ: هُوَ طَيِّبُ اللَّحْنِ، وَهُوَ يَقْرَأُ بِالْأَلْحَانِ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا قَرَأَ كَذَلِكَ أَزَالَ الشَّيْءَ عَنْ جِهَتِهِ الصَّحِيحَةِ بِالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ فِي تَرَنُّمِهِ، وَمِنْهُ أَيْضًا: اللَّحْنُ: فَحْوَى الْكَلَامِ وَمَعْنَاهُ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[محمد: ٣٠]، وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْمُوَرَّى بِهِ الْمُزَالُ عَنْ جِهَةِ الِاسْتِقَامَةِ وَالظُّهُورِ"(١)، ويقول ابن الأثير: "اللَّحْن: المَيْل عَنْ جِهة الاستِقامة. يُقَالُ: لَحَنَ فُلان فِي كَلَامِهِ، إِذَا مَالَ عَنْ صَحيح المَنْطِق... وَيُقَالُ: لَحَنْتُ لفُلانٍ، إِذَا قلتَ لَهُ قَوْلًا يَفْهَمُه ويَخْفَى عَلَى غَيْرِهِ؛ لِأَنَّكَ تُمِيله بالتَّوْرِية عَنِ الواضِح المَفْهوم، وَمِنْهُ قَالُوا: لَحِنَ الرجلُ فَهُوَ لَحِنٌ، إِذَا فَهِم وفَطِن لِمَا لَا يَفْطَن لَهُ غَيْرُهُ"(٢).

إذًا فاللحن هو الميل عن الضابط المعمول به والمتعارف عليه، ومنه اللحن في الكلام، أي الخطأ فيه؛ لأنه ميل عن القواعد والضوابط الصحيحة المتعارف عليها، واللحن بمعنى اللغة ومذهب في الكلام يذهبون إليه سوى كلام الناس المعتاد؛ لأنهم عدلوا به إلى ما أرادوا وتركوا ما يتعارفه الناس، والألحان: الضروب من الأصوات في الأغاني، سمي بذلك لأن كل صوت له طريق ومذهب غير

(١) مقاييس اللغة (ل ح ن) ٢٣٩/٥، وينظر: العين (ل ح ن) ٣/ ٢٢٩، ٢٣٠.
(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢٤١/٤.

مذهب الصوت الآخر، فكأنه عُدِل بالصوت إلى طريق آخر، والملحِّن الذي يسوي طريق الأغاني، أي يميل بها عن الألحان الأخرى(١).

وقد وردت هذه المادة في القرآن الكريم مرادًا بها الميل والعدول مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾[محمد: ٣٠]، وقد نص أهل المعاني والمفسرون على ما نص عليه أصحاب المعاجم من أن اللحن يعني الميل والخروج عن القواعد، يقول السمين: "وقيل: اللحن من حيث هو الميل، فاللحن الذي هو التورية: ميل وعدول عن الكلام الظاهر إلى غيره، واللحن الذي هو الخطأ في الإعراب: ميل وعدول عن الصواب إلى الخطأ؛ ولذلك قال بعضهم: اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليها إما بإزالة الإعراب والتصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالًا، وإما عن التصريح وصرفه بمعناه إلى التعريض وفحوى، وهو محمود من حيث البلاغة"(٢)، ويقول الواحدي: "وذكر أبو القاسم الزجاجي رحمه الله معنى اللحن في كلام العرب بأبلغ شرح فقال: أصل (ل ح ن) على هذا الترتيب موضوع للميل عن الشيء والعدول عنه، يقال: لحن فلان في منطقه، إذا أخذ في شيء ترك الظاهر له وعدل عنه إلى غيره يُعَمِّيه على السامع، وذلك كالتعريض في الكلام، ويقال لمثل ذلك القول: ملاحن القول، وهذا كقولهم: والله ما رأيت زيدًا برائب، أصبت ريبة لا روبة البصر، ويقال: لاحنت فلانًا، أي: راطنته، وذلك أن تضع بينك وبينه كلامًا يفهمه عنك وتفهمه عنه، ولا يفهم غيركما؛ لأنكما قد عدلتما عن المعتاد من الكلام، ومنه قول الطِّرِمَّاحِ(٣):

(١) ينظر: التفسير البسيط ٢٠/٢٦٥، ٢٦٦.

(٢) عمدة الحفاظ (ل ح ن) ٤/١٧.

(٣) البيت من الطويل، وهو للطرمّاح في ديوانه ص٢٦٧، تح: عزة حسن، ط: دار الشرق =

وأَدَّتْ إلـــيَّ القَـــوْلَ عَـــنْهُنَّ زَوْلَـــةٌ   تُلاحِـــنُ أوْ تَرْنُـــو لقَـــوْلِ المُلاحِـــنِ

أي: تتكلم بمعنى كلام لا يفطن له غيري، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾، أي: في فحواه ومعناه، يعني: المنافقين، وذلك أنهم كانوا يخاطبون النبي ﷺ بكلام تواضعوه بينهم والنبي ﷺ يسمع ذلك ويأخذ بالظاهر المعتاد، فنبهه الله تعالى على ذلك، فكان بعد نزول هذه الآية يعرف المنافقين إذا سمع كلامهم، فلحن القول ميلهم عن الظاهر"(١).

ومعنى الآية على هذا: "ولتعرفنهم في معاريض كلامهم وما يلحنون به، من غير تصريح في تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، قال الكلبي: كان بعد ذلك لا يتكلم منافق عند رسول الله ﷺ إلا عرفه بكلامه. وقال مقاتل: لم يَخْفَ منافقٌ بعد هذه الآية على النَّبي ﷺ. ونحو هذا روي عن أنس أنه قال: خفي بعد نزول هذه الآية على رسول الله ﷺ شيء من المنافقين، وهذا يحمل على أنه ﷺ تأمل كلامهم وتفكر في أنحاء مخاطباتهم لما نبهه الله على ذلك بقوله: ﴿وَلَتَعۡرِفَنَّهُمۡ فِي لَحۡنِ ٱلۡقَوۡلِ﴾، فاستدل بفحوى كلامهم على فساد دخيلتهم وسوء اعتقادهم"(٢).

إذًا فاللحن هو الميل والعدول عن الضوابط المعروفة والخروج عن القواعد الموضوعة، فهو الخطأ والانحراف عن الصواب في النطق أو المعنى، ولحن القول الوارد في الآية هو ما تنحو إليه بلسانك، أي تميل إليه ليفطن لك صاحبك وتخفيه

=

العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٤م، والرواية فيه: «تُخَاضِنُ أَوْ تَرْنُو لِقَوْلِ الْمُخَاضِنِ».

(١) التفسير البسيط ٢٠/ ٢٦٣، ٢٦٤.

(٢) ينظر: التفسير البسيط ٢٠/٢٦٦، ٢٦٧.

على من لم يكن له عهد بمرادك كالتعريض والتورية[١]، فهو انحراف وميل عن الصواب في النطق أو المعنى يكشف عن نوايا غير معلنة، ومن هذا يتضح لنا أن اللحن لا يكون إلا الميل في القول والكلام، يقال: لحن في كلامه، أي: مال، ولا يقال: لحن في فعله، وبهذا الضابط يكمن الفرق بين لفظ اللحن ولفظ الميل، فإن الميل يشمل الميل القلبي والفعلي، أما اللحن ففي القول لا غير.

٢٨- اللَّـــيّ:

ذكر بعض المعجميين أن مادة (ل و ى) من معانيها الميل والعدول، يقول ابن فارس: "اللَّامُ وَالْوَاوُ وَالْيَاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى إِمَالَةٍ لِلشَّيْءِ. يُقَالُ: لَوَى يَدَهُ يَلْوِيهَا. وَلَوَى بِرَأْسِهِ: أَمَالَهُ. وَاللَّوِيُّ: مَا ذَبَلَ مِنَ الْبَقْلِ، وَسُمِّيَ لَوِيًّا؛ لِأَنَّهُ إِذَا ذَبَلَ الْتَوَى وَمَالَ. وَاللِّوَاءُ مَعْرُوفٌ، وَسُمِّيَ لِأَنَّهُ يُلْوَى عَلَى رُمْحِهِ. وَاللَّوِيَّةُ: مَا ذُخِرَ مِنْ طَعَامٍ لِغَيْرِ الْحَاضِرِينَ، كَأَنَّهُ أُمِيلَ عَنْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ. وَأَلْوَى بِالشَّيْءِ، إِذَا أَشَارَ بِهِ كَالْيَدِ وَنَحْوِهِ. وَأَلْوَى بِالشَّيْءِ: ذَهَبَ بِهِ، وَكَأَنَّهُ أَمَالَهُ إِلَى نَفْسِهِ. وَالْأَلْوَى: الرَّجُلُ الْمُجْتَنِبُ الْمُنْفَرِدُ، لَا يَزَالُ كَذَلِكَ، كَأَنَّهُ مَالَ عَنِ الْجُلَسَاءِ إِلَى الْوُحْدَةِ. وَاللَّيَّاءُ، الْأَرْضُ الْبَعِيدَةُ مِنَ الْمَاءِ، وَسُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا كَأَنَّهَا مَالَتْ عَنْ نَهْجِ الْمَاءِ. وَلَوَاهُ دَيْنَهُ يَلْوِيهِ لَيًّا وَلَيَّانًا، وَهُوَ الْبَابُ"[٢]، ويقول ابن منظور: "وأَلْوَى الرجلُ برأْسِه ولَوَى رَأْسه: أَمالَ وأَعْرضَ. وأَلْوَى رأْسه ولَوَى برأْسِه: أَمالَه مِنْ جَانِبٍ إِلى جَانِبٍ"[٣]، ويقول الجوهري: "لَوَيْتُ الحبل: فتلته. ولَوى الرجل رأسه وألْوَى برأسه: أمال وأعرض"[٤].

ووافقهم في ذلك أهل المعاني والمفسرون كالراغب الذي يقول: "ولَوَى رأسَهُ،

(١) ينظر: تفسير الكشاف ٤/ ٣٢٨.

(٢) مقاييس اللغة (ل و ى) ٢١٨/٥.

(٣) لسان العرب (ل و ى) ٢٦٤/١٥، ٢٦٥.

(٤) الصحاح (ل و ى) ٢٤٨٥/٦.

وبرأسه: أماله، قال تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾[المنافقون: ٥]: أمالوها، ولَوَى لسانه بكذا: كناية عن الكذب وتخرّص الحديث. قال تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧٨]، وقال: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾[النساء: ٤٦]، ويقال: فلان لا يلْوِي على أحد: إذا أمعن في الهزيمة. قال تعالى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[آل عمران: ١٥٣]"[(١)]، ويقول القرطبي عند تفسير قوله تعالى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[آل عمران:٧٨]: "﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾ إِذَا أَمَالَهُ، وَمِنْهُ وَالْمَعْنَى: يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ وَيَعْدِلُونَ بِهِ عَنِ الْقَصْدِ. وَأَصْلُ اللَّيِّ الْمَيْلُ. لَوَى بِيَدِهِ، وَلَوَى بِرَأْسِهِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾، أَي: عِنَادًا عَنِ الْحَقِّ وَمَيْلًا عَنْهُ إِلَى غيره. ومعنى ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾، أَي: لَا تُعَرِّجُونَ عَلَيْهِ، يُقَالُ: لَوَى عَلَيْهِ إِذَا عَرَّجَ وَأَقَامَ"[(٢)].

وقد جاء اللَّيُّ في القرآن الكريم في خمسة مواضع، أسند في اثنين منها إلى اللسان، وفي موضع وحيد إلى الرأس، وفي الموضعي الباقيين جاء مطلقًا.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[آل عمران: ٧٨] أسند اللَّيُّ إلى الألسنة، ومعنى ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾، أي: يحرفون الكتاب، أي: يعدلون عن القصد[(٣)]، وفي قوله تعالى: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ﴾[النساء: ٤٦]، أي: إنهم يلوون ألسنتهم، أي: يميلونها إلى ما في قلوبهم ويطعنون في الدين[(٤)]، فليُّ الألسنة في هذه الآية "صرف لها عن مخارج الحروف التي تحق لها

(١) المفردات في غريب القرآن (ل و ى) ص٧٥٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢١/٤، وينظر: مفاتيح الغيب للرازي ٢٦٧/٨.
(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٤٣٥/١.
(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢١٨/١.

في العربية إلى ما يفعله العبرانيون من تغليظ بعض الحروف وشوب بعضها بغيره؛ لإرادة معانٍ عندهم قبيحة مع احتمالها لإرادة معانٍ غير تلك يقصدها العرب مليحة"[١]، وعلى هذا "فيَحْتَمِلُ الْحَقِيقَةَ فِي كِلْتَا الْكَلِمَتَيْنِ: اللَّيُّ، وَالْأَلْسِنَةُ، أَي: أَنَّهُمْ يُثْنُونَ أَلْسِنَتَهُمْ؛ لِيَكُونَ الْكَلَامُ مُشْبِهًا لُغَتَيْنِ بِأَنْ يُشْبِعُوا حَرَكَاتٍ، أَوْ يَقْصُرُوا مُشْبَعَاتٍ، أَوْ يُفَخِّمُوا مُرَقَّقًا، أَوْ يُرَقِّقُوا مُفَخَّمًا؛ لِيُعْطِيَ اللَّفْظُ فِي السَّمْعِ صُورَةً تُشْبِهُ صُورَةَ كَلِمَةٍ أُخْرَى، فَإِنَّهُ قَدْ تَخْرُجُ كَلِمَةٌ مِنْ زِنَةٍ إِلَى زِنَةٍ، وَمِنْ لُغَةٍ إِلَى لُغَةٍ بِمِثْلِ هَذَا، وَيُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ بِلَفْظِ (اللي) مجازه، وبـ (الْأَلْسِنَة) مَجَازُهُ: فَاللَّيُّ بِمَعْنَى تَغْيِيرِ الْكَلِمَةِ، وَالْأَلْسِنَةُ مَجَازٌ عَلَى الْكَلَامِ، أَي: يَأْتُونَ فِي كَلَامِهِمْ بِمَا هُوَ غَيْرُ مُتَمَحِّضٍ لِمَعْنَى الْخَيْرِ"[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾[المنافقون: ٥]، أسند اللَّيَّ إلى الرؤوس، ومعنى لووا رؤوسهم، أي: أمالوها، وأعرضوا بوجوههم؛ إظهارًا للكراهية[٣]، فـ "ليّ الرؤوس: إِمَالَتُهَا إِلَى جَانِبٍ غَيْرِ وُجَاهِ الْمُتَكَلِّمِ؛ إِعْرَاضًا عَنْ كَلَامِهِ"[٤]، فاللي هنا "بمعنى الإمالة من جانب إلى آخر، يقال: لوى فلان رأسه، إذا أمالها وحركها، وهو كناية عن التكبر والإعراض عن النصيحة"[٥]، وجاء الفعل مشدَّدًا؛ ليدل على أن المنافقين إذا قيل لهم: تعالوا يستغفر لكم رسول الله، "فعلوا اللي بغاية الشدة والكثرة؛ إعراضًا وعتوًّا وإظهارًا للبغض والنفرة، وبالغوا فيه مبالغة تدل على أنهم مغلوبون عليه لشدة ما في

(١) نظم الدرر ٢٩٣/٥.
(٢) التحرير والتنوير ٧٦/٥.
(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٤٥١/٢٦.
(٤) التحرير والتنوير ٢٤٤/٢٨.
(٥) التفسير الوسيط، د. محمد سيد طنطاوي ٤٠٨/١٤.

بواطنهم من المرض"[١].

أما اللي المطلق فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء:١٣٥]، قَالَ الْقُتَبِيُّ: ﴿تَلْوُۥاْ﴾ من اللَّيّ في الشهادة والميل إلى أحد الخصمين[٢]، واختلف في هذا الميل، "فقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هُوَ فِي لَيِّ الْحَاكِمِ عُنُقَهُ عَنْ أَحَدِ الْخَصْمَيْنِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ نَحْوَهُ، قَالَ: لَيُّ الْحَاكِمِ شِدْقَهُ لِأَحَدِ الْخَصْمَيْنِ مَيْلًا إِلَيْهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَيْضًا، وَالضَّحَّاكُ، وَالسُّدِّيُّ، وَابْنُ زَيْدٍ، وَمُجَاهِدٌ: هِيَ فِي الشُّهُودِ يَلْوِي الشَّهَادَةَ بِلِسَانِهِ فَيُحَرِّفُهَا وَلَا يَقُولُ الْحَقَّ فِيهَا، أَوْ يُعْرِضُ عَنْ أَدَاءِ الْحَقِّ فِيهَا، وَيَقُولُ مَعْنَاهُ: يُدَافِعُوا الشَّهَادَةَ مِنْ لَيِّ الْغَرِيمِ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَإِنْ تَلْوُوا أَلْسِنَتَكُمْ عَنْ شَهَادَةِ الْحَقِّ، أَوْ حُكُومَةِ الْعَدْلِ، أَوْ تُعْرِضُوا عَنِ الشَّهَادَةِ بِمَا عِنْدَكُمْ وَتَمْنَعُوهَا"[٣].

إذًا فاللي: "الْفَتْلُ وَالثَّنْيُ. وَتَفَرَّعَتْ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ مَعَانٍ شَاعَتْ فَسَاوَتِ الْحَقِيقَةَ، مِنْهَا: عُدُولٌ عَنْ جَانِبٍ وَإِقْبَالٌ عَلَى جَانِبٍ آخَرَ، فَإِذَا عُدِّيَ بِعَنْ فَهُوَ انْصِرَافٌ عَنِ الْمَجْرُورِ بِعَنْ، وَإِذَا عُدِّيَ بِإِلَى فَهُوَ انْصِرَافٌ عَنْ جَانِبٍ كَانَ فِيهِ، وَإِقْبَالٌ عَلَى الْمَجْرُورِ بِعَلَى، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾[آل عمران: ١٥٣]، أَيْ: لَا تَعْطِفُونَ عَلَى أَحَدٍ. وَمِنْ مَعَانِيهِ: لَوَى عَنِ الْأَمْرِ: تَثَاقَلَ، وَلَوَى أَمْرَهُ عَنِّي: أَخْفَاهُ، وَمِنْهَا: لَيُّ اللِّسَانِ، أَيْ تَحْرِيفُ الْكَلَامِ فِي النُّطْقِ بِهِ أَوْ فِي مَعَانِيهِ، كما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ﴾[آل عمران: ٧٨]، وَقَوْلِهِ: ﴿لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ﴾[النساء: ٤٦]"[٤].

---

(١) ينظر: نظم الدرر ٨٤/٢٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤١٤/٥.

(٣) البحر المحيط ٩٧/٤.

(٤) التحرير والتنوير ٢٢٨/٥.

فاتضح لنا أن اللي في السياق القرآني يشير إلى التحريف والتغيير في المعاني أو الأحكام، وغالبًا ما يرتبط بتحريف الكلام عن مواضعه أو لـيّ الحقائق، ويستعمل ذلك في الحجج والخصومات والمجادلات[١]، فاللي تحريف الكلام وتغييره عن معناه الأصلي، وليّ الرؤوس: إِمَالَتُهَا إِلَى جَانِبٍ غير جانب المتكلم؛ إعراضًا واستهزاءً وسخرية، تعبيرًا عن الرفض والاستكبار.

٢٩- المَـــيْد والمَيَدان:

أشار أصحاب المعاجم إلى أن (الميد) يدل في إحدى دلالاته على الميل، يقول ابن سيده: "ومادَ مَيْدًا: تَمايَلَ. وغُصنٌ مائِدٌ، ومَيّادٌ: مائِلٌ. والمَيْدُ: ما يُصِيبُ من الحَيْرَةِ عن السُّكْرِ، أو الغَثَيَانِ، أو رُكُوبِ البَحْرِ. وقد مادَ فهو مائِدٌ من قَوْمٍ مَيْدَى، كرائِبٍ ورَوْبَى"[٢]، ويقول ابن منظور: "ومادَ الشيءُ يَمِيدُ مَيْدًا: تَحَرَّكَ وَمَالَ. وَفِي الْحَدِيثِ[٣]: «لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ الأَرضَ جعلتْ تمِيدُ فَأَرْساها بِالْجِبَالِ».... ومادَ مَيْدًا: تَمَايَلَ، ومادَ يَمِيدُ إذا تَثَنَّى وتَبَخْتَرَ. وَمَادَتِ الأَغْصانُ: تَمَايَلَتْ. وَغُصْنٌ مائدٌ وميَّاد: مَائِلٌ"[٤].

وهذا المعنى وارد عن العرب وثابت في كلامهم، ومنه قول الشاعر[٥]:

---

(١) ينظر: المحرر الوجيز ١/٤٦٠.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم (م ي د) ٩/٤١٣.

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (١٢٢٥٣)، والترمذي في سننه ٥/٤٥٤، برقم (٣٣٦٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» ٣/٢٤٤، والسيوطي في «الجامع الكبير» ٦/٨٠٦.

(٤) لسان العرب (م ي د) ٣/٤١١.

(٥) من الطويل، وهو لنُصَيْب بن رباحٍ في ديوانه ص١١٦، جمع وتحقيق: داود سلُّوم، ط: مطبعة الإرشاد – بغداد سنة ١٩٦٧م، وفيه: «غصن من الريح»، بدلًا من «غصن من البان».

لَعَلَّكَ بَاكٍ أَنْ تَغَنَّتْ حَمَامَةٌ يَمِيدُ بِهَا غُصْنٌ مِنَ الْبَانِ مَائِلُ

معناه: يميل بها، وقول الآخر[(١)]:

دَعْ ذِكْرهُنّ فما تزالُ تشبّه خرقاء تركبُ جانبًا ميَّادًا

معناه: ميّالًا[(٢)]، ومنه اشتقاقهم اسم (ميَّادة): (فَعَّالَةٌ) من قولهم: مَادَ يَمِيدُ فهو مَائِدٌ ومَيَّادٌ: إذا مال يمينًا وشمالًا[(٣)].

ووردت مادة (م ي د) ومشتقاتها دالة على الميل **صراحة** في القرآن الكريم بصيغة واحدة، هي الفعل المضارع المسند إلى المؤنث (تميد)، وذلك في ثلاثة مواضع من القرآن، هي قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[النحل: ١٥]، وقوله سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾[الأنبياء: ٣١]، وقوله ﷻ: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾[لقمان: ١٠]، فقد ذكر المفسرون وأهل المعاني أن ﴿تَمِيدَ﴾ في هذه الآيات بمعنى الميل، فمعنى ﴿أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾: "كراهة أن تميل بهم وتضطرب، وقيل: لأن لا تميد، فحذف «لا»؛ لأمن الإلباس"[(٤)]؛ فقد "قال ابن عباس: لما بسط الله تعالى الأرض على الماء مالت بأهلها كالسفينة فأرساها الله تعالى بالجبال الثقال لكيلا تميل بأهلها"[(٥)]، ويقول ابن

(١) من الكامل، وهو بلا نسبة في الأمالي ١/١٣٣.

(٢) ينظر: الزاهر في معاني كلمات الناس ١/٣٧٣، تح: حاتم صالح الضامن، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ –١٩٩٢م.

(٣) ينظر: المنتخب من كلام العرب لكراع النمل ص٦٧٦، تح: محمد بن أحمد العمري، ط: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

(٤) أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ٤/٥٠.

(٥) مفاتيح الغيب للرازي ١٩/١٣١.

قتيبة: "﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾، أي: لئلا تميد بكم الأرض، والميد: الحركة والميل، ومنه يقال: فلان يَمِيدُ في مشيته: إذا تَكَفَّأَ"(١).

وهذه الآيات الثلاث تأتي على سبيل "ذكر الامتنان والنعمة؛ لأن له أن يترك الأرض على ما خلقها ولا يثبتها بالجبال؛ لتميد بأهلها وتميل؛ فلا يقدروا على القرار عليها والانتفاع بها، لكنه – بفضله ومنته – أثبتها بالجبال؛ ليقروا عليها، ويقدروا على الانتفاع بها"(٢).

أما دلالة لفظ (الميد) ومشتقاته على الميل **تأويلًا** فقد جاء في لفظ (المائدة) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[المائدة: ١١٢، ١١٣]، الذي اختلف في أصل اشتقاقه، فقَالَ أَهْلُ الْكُوفَةِ: سُمِّيَتْ مَائِدَةٌ لِحَرَكَتِهَا بِمَا عَلَيْهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: مَادَ الشَّيْءُ إِذَا مَالَ وَتَحَرَّكَ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: مَائِدَةٌ فَاعِلَةٌ بِمَعْنَى مَفْعُولَةٍ، مشتقةٌ من مادَهُ بمعنى أعطاه، وامتادَهُ بمعنى استعطاهُ فهي بمعنى مَفْعولة، مثل: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[الحاقة: ٢١] بِمَعْنَى مَرْضِيَّةٍ، و﴿مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[الطارق: ٦]، أي: مَدْفُوقٌ، فأصلُها عند أبي عبيد أنها مِيدَ بها صاحبُها أي: أُعْطِيها، والعربُ تقول: ما دَني فلان يَميدني إذا أحسنَ إليَّ وأعطاني(٣)، والقائل بأن المائدة سميت بذلك لحركتها هو الزجاج الذي يقول: "والأصل عندي في مائدة أنها فاعلة من ماد

(١) غريب القرآن ص٢٤٢.

(٢) تأويلات أهل السنة للماتريدي ٤٨٨/٦.

(٣) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي ٥٥١/١١، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٦٧/٦، والدر المصون ٥٠٢/٤.

يميدُ إذَا تحرَّكَ، فكأنَّها تميد بما عليها"[١]، ويقول أبو هلال العسكري: "وسمِّيتْ مائدة؛ لأنَّها تميدُ بالآكلينَ، أيْ تميلُ بهمْ"[٢]، ويقول السمين الحلبي: "وقيل: هي من المَيْد، وهو الميل، وهذا هو معنى قول الزجاج"[٣]، فالمائدة أيضًا تعود في أصل اشتقاقها إلى معنى الميل في أحد الأقوال.

وعلى هذا فلفظ (الميد) أو (المَيَدان) جاء في النص القرآني دالًّا على الميل، فهو ميل مع حركة واضطراب، ومن فسره بالاضطراب والحركة لم يبعد؛ فإن الاضطراب والحركة يصاحبهما ميل إلى أحد الجانبين، بل إنه هو القيد الدلالي الذي يفرق بين الميد والميل، فالميد في السياق القرآني لفظ يدلُّ على الاضطراب والتحرك غير المستقر، في حين أن الميل يعبر عن انحراف وتمايل دون أن يكون مصحوبًا بالاهتزاز أو التمايل الشديد أو عدم الاستقرار، يقول أبو هلال العسكري: "الفرق بين الميل والميد: أن الميل يكون في جانب واحد، والميد هو أن يميل مرة يمنة ومرة يسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾[الأنبياء: ٣١]، أي: تضطرب يمنة ويسرة، ومعروف أنه لم يرد أنها تميد في جانب واحد وإنما أراد الاضطراب، والاضطراب يكون من الجانبين، قال الشاعر[٤]:

حبـــــتهم مَيَّالَـــــةٌ تَمِيـــــدُ مُـــلاءَةُ الحُسْـــنِ لَهَـــا جَديـــدُ

يريد: أنها تميل من الجانبين للين قوامها"[٥].

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج ٢/٢٢٠.

(٢) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء ص١٩٨، تح: عزة حسن، ط: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر – دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

(٣) الدر المصون ٤/٥٠٣.

(٤) الرجز لابن ميادة في ديوانه ص١٢١، تح: حنا جميل حداد، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م، وفيه: «بَذَّتْهُمُ»، بدل «حبتهم».

(٥) معجم الفروق اللغوية ص٥٢٦، ط: قم.

٣٠- النَّكْب والنُّكُوب:

نص أصحاب المعاجم على أن مادة (ن ك ب) تعود في أصل معناها إلى الميل والعدول، فقد بين ابن فارس أن هذه المادة "أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَيْلٍ أَوْ مَيَلٍ فِي الشَّيْءِ، وَنَكَبَ عَنِ الشَّيْءِ يَنْكُبُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[المؤمنون: ٧٤]. وَالنَّكْبَاءُ: كُلُّ رِيحٍ عَدَلَتْ عَنْ مَهَبِّ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ..... وَالْأَنْكَبُ: الَّذِي كَأَنَّهُ يَمْشِي فِي شِقٍّ، وَالْمَنْكِبُ: مُجْتَمَعُ مَا بَيْنَ الْعَضُدِ وَالْكَتِفِ، وَهُمَا مَنْكِبَانِ؛ لِأَنَّهُمَا فِي الْجَانِبَيْنِ، وَالنَّكَبُ: دَاءٌ يَأْخُذُ الْإِبِلَ فِي مَنَاكِبِهَا فَتَظْلَعُ مِنْهُ. وَالْمَنْكِبُ: عَوْنُ الْعَرِيفِ، مُشَبَّهٌ بِمَنْكِبِ الْإِنْسَانِ، كَأَنَّهُ يُقَوِّي أَمْرَ الْعَرِيفِ كَمَا يَتَقَوَّى بِمَنْكِبِهِ الْإِنْسَانُ"(١)، ويقول ابن منظور: "نَكَبَ عَنِ الشيءِ وَعَنِ الطَّرِيقِ يَنْكُب نَكْبًا ونُكُوبًا، ونَكِبَ نَكَبًا، ونَكَّبَ، وتَنَكَّبَ: عَدَلَ... وَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَعراب، وَقَدْ كَبِرَ، وَكَانَ فِي دَاخِلِ بَيْتِهِ، ومَرَّتْ سَحابةٌ: كيفَ تَراها يَا بُنَيَّ؟ قَالَ: أَراها قَدْ نَكَّبَتْ وتَبَهَّرَتْ؛ نَكَّبَتْ: عَدَلَتْ... ونَكَّبَه الطريقَ، ونَكَّبَ بِهِ: عَدَلَ. وطريقٌ يَنْكُوبٌ: عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ. والنَّكَبُ، بِالتَّحْرِيكِ: المَيَلُ فِي الشيءِ. وَفِي التَّهْذِيبِ: شِبْهُ مَيَل فِي المَشْي؛ وأَنشد(٢):

..... عَــنِ الحَــقِّ أَنْكَــبُ

أَي: مائلٌ عَنْهُ؛ وإِنه لَمِنْكابٌ عَنِ الحَقِّ. وقامةٌ نَكْبَاءُ: مَائِلَةٌ، وقِيَمٌ نُكْبٌ. والقامةُ: البَكْرَةُ. وَفِي حَدِيثِ حَجَّة الْوَدَاعِ(٣): «فَقَالَ بِأُصْبُعه السَّبَّابة يَرْفَعُها إِلى

(١) مقاييس اللغة (ن ك ب) ٤٧٤/٥.

(٢) جزء من بيت على بحر الطويل، ولم يعرف تمامه، وهو بلا نسبة في تهذيب اللغة ١٥٧/١٠، واللسان ٧٧٠/١، وتاج العروس ٣٠٥/٤ (ن ك ب).

(٣) أخرجه ابن ماجه في سننه ٢٦١/٤، وأبو داود في سننه ١٨٢/٢، والنسائي في السنن الكبرى ١٥٥/٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/٥.

السماءِ، ويَنْكُبُها إلى النَّاسِ»، أَي: يُميلُها إِليهم؛ يُرِيدُ بِذَلِكَ أَن يُشْهِدَ اللهَ عَلَيْهِمْ، يُقَالُ: نَكَبْتُ الإِناءَ نَكْبًا ونَكَّبْتُه تَنْكِيبًا إِذا أَماله وكَبَّه... وَبَعِيرٌ أَنْكَبُ: يَمْشي مُتَنَكِّبًا، والأَنْكَبُ مِنَ الإِبل: كأَنما يَمْشِي فِي شِقٍّ"(١).

فالنكب والنكوب في اللغة الميل والعدول عن الشيء، والأصل فيه المعنى الحسي: الأَنْكَبُ مِنَ الإِبل: كأَنما يَمْشِي فِي شِقٍّ واحد، ثم استعير هذا المعنى للميل والعدول عن الشيء والطريق، يقول الزمخشري: "ومن المجاز: وإنّه لأنكب عن الحقّ وناكبٌ عنه"(٢).

وورد لفظ (النكب) أو (النكوب) مرادًا به الميل أو العدول في القرآن الكريم في موضع واحد بصيغة واحدة، هي اسم الفاعل المجموع (ناكبون)، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾[المؤمنون: ٧٤]، ولم يفت أهل المعاني والمفسرين أن ينصوا على ما نص عليه أصحاب المعاجم، فقالوا بمثل ما قال به المعجميون، يقول القرطبي عند تفسير الآية السابقة: "﴿عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ قِيلَ: هُوَ مِثْلُ الْأَوَّلِ (أي في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[المؤمنون: ٧٣])، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ لَنَاكِبُونَ حَتَّى يَصِيرُوا إِلَى النَّارِ. نَكَبَ عَنِ الطَّرِيقِ يَنْكُبُ نُكُوبًا إِذَا عَدَلَ عَنْهُ وَمَالَ إِلَى غَيْرِهِ، وَمِنْهُ نَكَبَتِ الرِّيحُ إِذَا لَمْ تَسْتَقِمْ عَلَى مَجْرَى. وَشَرُّ الرِّيحِ النَّكْبَاءُ"(٣).

ومعنى الآية: وإنَّ الذين لا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب لعادلون عن الطريق المستقيم منحرفون عنه، مائلون إلى غيره، وقد فسر الصراط في الآية بتفسيرات، منها: أن الصراط هو المدلول عليه في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَدۡعُوهُمۡ إِلَىٰ

(١) لسان العرب (ن ك ب) ١/٧٧٠، ٧٧١.

(٢) أساس البلاغة (ن ك ب) ٢/٣٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٢/١٤٢، وينظر: فتح القدير للشوكاني ٣/٥٨٤.

صِرَٰطٍ مُّسۡتَقِيمٍ﴾، أي: عن دين الله لمعرضون، وقيل: عن صراط جهنم لناكبون في جهنم، وذلك في الآخرة، وقيل: عن طريق الجنة لعادلون إلى طريق النار(١).

إذًا فالنكب والنكوب هو الميل والعدول عن الطريق الواضح الحق، وهو مستعار من المعنى الحسي: الأَنْكَبُ من الإبل: الذي يمشي في شق واحد، وقد ورد في القرآن الكريم معنيًّا به الميل عن دين الإسلام، أو عن طريق الجنة كما سبق، وهو بهذا يفترق عن لفظ (الميل)؛ إذ إن النكْب أو النكوب في السياق القرآني لفظ يشير إلى الانحراف القوي المصحوب بالابتعاد التام عن الحق، وغالبًا ما يحمل دلالة الإعراض أو الصدود عن طريق الهداية: دين الإسلام، أو طريق الجنة، فهو يدلُّ على الانحراف الحاد والابتعاد التام، في حين أن (الميل) يعبر عن انحراف تدريجي أو توجه نحو شيء معين دون أن يكون هناك ابتعاد كامل، أو انحراف تامّ.

٣١- الهَــوَى:

أرجع بعض أهل اللغة وأصحاب المعاجم لفظ «الهوى» إلى الميل، يقول الفيومي: "وَالْهَوَى مَقْصُورٌ مَصْدَرُ هَوِيتُهُ مِنْ بَابِ تَعِبَ إذَا أَحْبَبْتَهُ وَعَلِقْتَ بِهِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَى مَيْلِ النَّفْسِ وَانْحِرَافِهَا نَحْوَ الشَّيْءِ، ثُمَّ اُسْتُعْمِلَ فِي مَيْلٍ مَذْمُومٍ، فَيُقَالُ: اتَّبَعَ هَوَاهُ، وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ"(٢).

وقد اختلفت الدلالات السياقية لكلمة «الهوى» ومشتقاتها في القرآن الكريم، إلا أننا إذا أمعنَّا النظر في كتب التفسير والمعاني وغيرها وجدنا أن بعض المفسرين وأهل المعاني قد أدركوا أن هناك معنىً دلاليًا واحدًا يجمع بين الكلمة ومشتقاتها في النص القرآني، وهذا المعنى هو الميل، يقول الراغب: "الْهَوَى: ميل

(١) ينظر: الهداية الى بلوغ النهاية ٤٩٨٩/٧، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٤٢/١٢.
(٢) المصباح المنير ٦٤٣/٢.

النفس إلى الشهوة، ويقال ذلك للنّفس المائلة إلى الشّهوة، وقيل: سمّي بذلك لأنّه يَهْوِي بصاحبه في الدّنيا إلى كلّ داهية، وفي الآخرة إلى الهَاوِيَةِ، وَالْهُوِيُّ: سقوط من علو إلى سفل"(١)، ويقول القرطبي: "وَأَصْلُ الْهَوَى الْمَيْلُ إلى الشيء، وبجمع أَهْوَاءً، كَمَا جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ... وَسُمِّيَ الْهَوَى هَوًى؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ إِلَى النَّارِ؛ وَلِذَلِكَ لَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْغَالِبِ إِلَّا فِيمَا لَيْسَ بِحَقٍّ وَفِيمَا لَا خَيْرَ فِيهِ... وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي الْحَقِّ، وَمِنْهُ قَوْلُ عُمَرَ ﷺ فِي أُسَارَى بَدْرٍ(٢): «فَهَوِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ»"(٣)، ووافقه السمين في ذلك(٤).

وقالوا في الآيات التي ورد فيها لفظ (الهوى) ومشتقاته أنه يحمل في طياته الدلالة على الميل، يوضح ذلك أبو عبيد الهروي قائلًا: "قوله تعالى: ﴿بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ﴾[البقرة: ٨٧]، أي: لا تميل إليه، ومنه قوله: ﴿أَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾[الفرقان: ٤٣]، أي: ما تميل إليه نفسه، فالهوى في المحبة: ميل النفس إلى من تحبه، وهو على الإطلاق مذموم، ثم يضاف إلى ما لا يذم، يقال: هواي مع صاحب الحق، أي: ميلي، وقوله تعالى: ﴿أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾[إبراهيم: ٣٧]، أي: تنزع إليهم، يقال: هوى نحوه إذا مال، وهوت الناقة تهوي هويًا فهي إذا عدت عدوًا شديدًا كأنها في هواية، وقوله تعالى: ﴿تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ مأخوذ منه"(٥)، و"حَمَلَ الزَّمَخْشَرِيُّ ﴿ٱسۡتَهۡوَتۡهُ﴾[الأنعام: ٧١] عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْهَوَى الَّذِي هُوَ الْمَوَدَّةُ وَالْمَيْلُ؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: كَالَّذِي أَمَالَتْهُ الشَّيَاطِينُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَى الْمَهْمَهِ

(١) المفردات في غريب القرآن (هـ و ى) ص٨٤٩.
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٢٠٨) ٣٣٥/١، ومسلم برقم (١٧٦٣) ١٣٨٥/١.
(٣) الجامع لأحكام القرآن ٢٤/٢.
(٤) الدر المصون ٤٩٩/١.
(٥) الغريبين في القرآن والحديث ١٩٥٢/٦.

الْقَفْرِ "[1].

وعلى هذا فلفظ (الهوى) في القرآن الكريم ورد بمعنى الميل؛ وهو ميل النفس إلى الشهوات، أو ميلها إلى ما يلائمها وإعراضها عمّا ينافرها، ثم إن المعروف في استعمال الهوى عند الإطلاق أنّه الميل إلى خلاف الحقّ، وقد يطلق بمعنى مطلق الميل والمحبّة؛ ليشمل الميل للحقّ وغيره، وبمعنى محبّة الحقّ خاصة والانقياد إليه[2]، ولكن غالبًا ما يأتي في القرآن الكريم بمعنى الميل المذموم الذي يؤدي إلى الضلال، حيث يدل الهوى في الاستعمال القرآني على الميل إلى الشهوات التي تصرف الإنسان عن طاعة الله، ويكون مرتبطًا بالرغبات والشهوات.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

(١) البحر المحيط في التفسير ٤/٥٥١.

(٢) ينظر: كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم ٢/١٧٤٥.

الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم وتفضل، وأتم نعمته على عباده وأكمل، أنزل كتابه على الوجه الأمثل، فتحدى به البلغاء وذوي الألسن، والصلاة والسلام على نبيه الأكمل، ورسوله المكرم المعظم، وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فبعد معايشة كتاب الله وتفاسيره وكتب غريبه وفقني الله تعالى أن أقف على ألفاظ الميل والعدول فيه، ودراستها دراسة لغوية، وبيان معانيها المرادة منها في سياقاتها المختلفة الواردة فيها، ثم تحديد الفروق الدلالية بين بعضها البعض، ومن ثم توصلت إلى النتائج الآتية:

١- الميل في اللغة هو الاعوجاج والعدول والميلان إلى أحد الشيئين، وقد فرق العلماء بين محرك الوسط (مَيَل) وساكنه (ميْل)؛ فجعلوا المحرك لما كان خِلْقة، وجعلوا الساكن لما كان عَرَضًا.

٢- لمادة (ع د ل) في المعاجم العربية دلالتان من الممكن أن ترجع إحداهما إلى الأخرى، وأولى هاتين الدلالتين العَدْل بمعنى الاستواء أو المساواة، وهذا المعنى متأتٍ من معادلة الحِمْل على الدابة بأن يُجْعَل طرفاه على استواء واحد، ويقال لكل طرف عِدْل، ولا يتأتى هذا المعنى إلا بالتحريك والإمالة، ومن هنا جاءت الدلالة الثانية، وهي العدول بمعنى الميل.

٣- بالرغم من قول ابن فارس بأن مادة (ع د ل) ترجع إلى "أَصْلينِ صَحِيحَينِ، لَكِنَّهُمَا مُتَقَابِلَانِ كَالْمُتَضَادَّيْنِ: أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى اسْتِوَاءٍ، وَالآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اعْوِجَاجٍ..." بالرغم من ذلك فإن دلالة العَدْل ودلالة العدول من الممكن إرجاعهما إلى أصل دلالي واحد، هو الميل؛ إذ إن دلالة العَدْل مشتقة من معادلة الأعدال على الدابة من جانبين، أي أَنْ تَعْدِلَ العِدْل عن جهته فتُميله؛ حتى يُعادل العِدْل الآخر من الجهة الأخرى؛ حتى يتساويا بالكيل والوزن؛ كي لا يرجح أحدهما بصاحبه، ودلالة العدول على الميل مشتقة أيضًا من معادلة

الأحمال؛ إذ لا بُدّ من إمالتها عند تسوية بعضها ببعض.

٤- لفظ (العدول) يتفق دلاليًّا مع لفظ (الميل) في دلالتهما على الانحراف والاعوجاج، وهو في دلالته هذه يعد من قبيل المشترك اللفظي؛ إذ يحمل – إلى جانب هذه الدلالة – دلالات أخرى، منها الاستواء والمساواة، ومن الممكن إرجاعهما إلى الميل أيضًا كما ذكرنا، ويلاحظ أنه لكي يؤدي هذا المعنى لا بُدَّ أن يكون ذلك بقرينة أو بمعونة، وهذه القرينة هي تعديته بحرف الجر (عن).

٥- بتأمل المواضع التي ورد فيها لفظ (الميل) في القرآن الكريم نجد أن الغالب فيها اختصاص لفظ (الميل) بالميل القلبي، وميل الهوى، أي أنه ميل معنوي.

٦- لم يرد لفظ (العدول) في القرآن الكريم مرادًا به الانحراف أو الميل إلى أحد الجانبين صراحة، بل قد جاء دالًّا على هذا المعنى في أحد تأويلين لقوله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[النساء: ١٣٥]، وقوله سبحانه: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾[الأنعام: ١]، وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾[النمل: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٧]، ففي الآية الأولى أكثر المفسرين على أن هذا من العدول الذي هو الميل والجور، وذهب بعضهم إلى من العدل على معنى: ولا تتبعوا الهوى لتعدلوا.

وفي الآيتين الأخريين فُسِّر بمعنى يَميلون عنه من العُدول، أو من العَدْل وهو التسوية بين الشيئين، أي: يَعْدِلُونَ بالله سواه ويُسَوُّوْن بربهم غيرَه من المخلوقين.

وفي الآية الأخيرة يجوز أن يكون من التسوية بمعنى: عَدَلَ بعضَ أعضائِك ببعضٍ، وتحتمل أَنْ تكونَ من العُدولِ، أي: صَرَفَك إلى ما شاء من الهيئاتِ والأشكالِ والأشباهِ، وبناءً على ما رجحه البحث من أنّ دلالة العَدْل ودلالة العدول من الممكن إرجاعهما إلى أصل دلالي واحد، هو الميل؛ فإن البحث رجح أن قوله

تعالى: ﴿فَعَدَلَكَ﴾ من الممكن إرجاع دلالته على الاستقامة والتسوية إلى الميل أيضًا، وبذلك يكون لفظ (الميل) جامعًا لهما.

٧- رجح البحث الوجه الثاني الذي ذكره عامة المفسرين القائل بأن ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾[الأنعام: ١]، أي: يجعلون له نظيرًا في العبادة، من قول العرب: عدلت فلانًا بفلان إذا جعلته له عديلًا ونظيرًا؛ وذلك لأنه هو الوجه الذي ورد به القرآن، ودلَّ عليه في أكثر من موضع.

٨- كما رجح البحث أن يكون المراد من قوله تعالى: ﴿بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ﴾[النمل: ٦٠] هو الميل والعدول؛ وذلك لأن سياق الآيات يوحي بذلك، وهذا المعنى هو الذي يُناسب سياق الكلام.

٩- بناءً على ذلك تبين لنا أن لفظ (العدول) يجيء بمعنى الميل، وهو بهذا المعنى يكون أحد الأفعال التي يتغير معناها بتغير الجار، تقول: عدلت عنه، بمعنى: ملت عنه، وتقول: عدلت إليه، بمعنى: أقبلت عليه، وفي السياق القرآني قد يجيء هذا الفعل محتملًا لمعنى الميل، ومعنى التسوية، وذلك كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾؛ فإن اعتبرت الجار والمجرور ﴿بِرَبِّهِمۡ﴾ متعلقين بـ ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ كان المعنى: إن الكفار يسوون الأصنام بربهم. وإن اعتبرتهما متعلقين بالفعل ﴿كَفَرُواْ﴾ كان ﴿يَعۡدِلُونَ﴾ بمعنى يميلون، والمعنى: إن الكفار يميلون، وينحرفون عن إفراد الله بالوحدانية.

١٠- كما تبين لنا أن (الميل) و(العدول) قد وردا في القرآن الكريم للدلالة على الانحراف والاعوجاج، وقد اتفقا دلاليًّا في أن هذا الانحراف يكون بعد نظرٍ، وظهور للأدلة على صحة رأي وفساد مقابله، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ

أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾، وكذلك قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾.

١١- كما أن من أوجه الاتفاق دلاليًّا ما في اللفظين من معاني التعدي، والجرأة، ومجاوزة الحد.

١٢- يكمن الفرق بين لفظي (الميل) و (العدول) في النص القرآني فيما يأتي:

أ- أن العدول يكون من الحق إلى الباطل، أما الميل فيكون مطلقًا.

ب- أن الميل لفظ يشير إلى الانحراف التدريجي أو التوجه نحو شيء معين دون الوصول إلى حد القطيعة أو التغيير الجذري، وقد يكون الميل داخليًّا أو نفسيًّا، مثل الميل إلى رأي أو فكرة، أو ميل القلب نحو شيء معين، أما العدول فيحمل دلالة أقوى من الميل؛ إذ يعبر عن التحول الصريح من مسار إلى آخر، وغالبًا ما يكون العدول عن أمر إلى نقيضه، وذلك كالعدول عن عبادة الله ﷻ إلى عبادة غيره.

ج- وبناءً على ذلك فإن لفظ الميل كان استعماله في الميل المعنوي أكثر من الميل الحسي، وإن دل على الميل الحسي فبطريق الاستعارة كما في قوله تعالى: ﴿فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً﴾، أما العدول فأكثر استعماله في الميل الحسي من الميل المعنوي كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٧].

د- أن العدول يغلب فيه الدلالة على الميل في الاعتقاد، أما الميل فيغلب فيه الدلالة على الميل القلبي سواء كان متعلقًا بالاعتقاد أم بغيره من الأمور الأخرى.

هـ- أن الميل والعدول وإن كان كلاهما يدلان على الانحراف إلا أن الميل يدل على الانحراف دون التشكك في الأمر الممال عنه، أما العدول فهو انحراف عن الحق مع التشكك فيه.

١٣- ومما سبق من ألفاظ يتبين لنا أن الألفاظ التي دلت على الميل والعدول في معظمها صفات سلبية، أو أمور مستكرهة تأباها النفس وتشمئز منها، وذلك كالإلحاد، والتحريف، والجنف، والحيف، والجور، والركون، والزور، والزيغ، والشطوط، والصدوف، والصعر، والعوج، والفجور، والقسوط، واللي، والنكوب، والهوى.

١٤- والمتأمل في هذه الألفاظ التي أتى عليها البحث يجد أن ثمة معنى مشتركًا يجمع بينها، وهو عدم القيام بالأعمال على الوجه المطلوب، ومنافاتها لمنطق الحق، ومجانبتها لمبدأ الاستقامة.

١٥- وبناءً عليه كان معظم ألفاظ الميل بمعنى الميل إلى المعصية والذنب والمخالفة والباطل، ولم ترد في القرآن إلا في سياق الذم، كاستعمال ألفاظ: الإلحاد، والتحريف، والجنف، والحيف، والجور، والركون، والزور، والزيغ في الشر، وفي بعض قليل منها وردت بمعنى الميل إلى الخير والاستقامة، كاستعمال الحنف في الخير.

١٦- كان في بعض الألفاظ الميل عن الشيء، وفي بعضها الآخر كان الميل إلى الشيء، فالزيغ والجور والانحراف والإلحاد والحنف والحيد للميل عن الشيء، والإخلاد والصبوة والصغو للميل إلى الشيء.

١٧- وردت بعض الألفاظ المرادفة للميل والعدول ومشتقاتها مرة واحدة في القرآن الكريم، كالإخلاد، والجَوْر، والحيد، والحيف، والدلوك، والصعر، والصَّوْر، والعَوْل، واللحن، والنُّكُوب، وبعضها مرتين كالجنف، والصغو، والقُسُوط، وبعضها ثلاث مرات كالرَّوْغ، والشطط، والصَّبْو، والصُّدُوف، والميد، وبعضها أربع مرات كالرُّكون، وبعضها خمس مرات كالحَيْص، والزَّوْر، واللَّي، وكان أكثرها ورودًا (ست مرات فأكثر) ألفاظ: الإلحاد، والجنوح، والحَنَف، والتحرُّف أو التحريف، والزَّيْغ، والعوج، والهوى، كما وَضَح ذلك كلٌّ في موضعه.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- أحكام القرآن، ابن العربي، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.
٣- أحكام القرآن، أبو بكر الرازي الجصاص، تح: عبد السلام محمد علي شاهين، ط: دار الكتب العلمية ببيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى١٩٩٤م.
٤- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم = تفسير أبي السعود، ط: دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٥- الأضداد، ابن الأنباري، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية، لبنان، طبعة سنة ١٩٨٧م.
٦- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، ط: دار عطاءات العلم بالرياض، الطبعة الخامسة سنة ٢٠١٩م.
٧- إعراب القرآن للنحاس، تح: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٨- الألفاظ والأساليب الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة٢٠٠٠م.
٩- الألفاظ، ابن السكيت، تح: فخر الدين قباوة، ط: مكتبة لبنان ناشرون، الطبعة الأولى سنة ١٩٩٨م.
١٠- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، تح: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
١١- إيجاز البيان عن معاني القرآن، النيسابوري، تح: حنيف بن حسن القاسمي، ط: دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

١٢- باهر البرهان فى معاني مشكلات القرآن، بيان الحق النيسابوري، تح: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، الناشر: جامعة أم القرى ـ مكة المكرمة سنة ١٩٩٨م.
١٣- البحر المحيط، أبو حيان، تح: صدقي محمد جميل، ط: دار الفكر ببيروت، طبعة سنة ١٤٢٠هـ.
١٤- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى ١٩٥٧م.
١٥- تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر الجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الرابعة ١٩٨٧م.
١٦- تأويلات أهل السنة = تفسير الماتريدي، تح: مجدي باسلوم، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٥م.
١٧- تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة، تح: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٨- التبيان في إعراب القرآن، العكبري، تح: علي محمد البجاوي، ط: عيسى البابي الحلبي.
١٩- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور، ط: الدار التونسية للنشر – تونس ١٩٨٤م.
٢٠- التحقيق في كلمات القرآن الكريم، المصطفوي، ط: مركز نشر آثار العلامة المصطفوي، الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ.
٢١- تصحيح التصحيف وتحرير التحريف، الصفدي، تح: السيد الشرقاوي، ط: مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٢٢- تفسير الإمام الشافعي، تح: أحمد بن مصطفى الفرَّان، ط: دار التدمرية، الطبعة الأولى ٢٠٠٦م.

٢٣- التفسير البسيط، الواحدي، تح: مجموعة من الباحثين، الناشر: عمادة البحث العلمي – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى ١٤٣٠هـ.

٢٤- تفسير الراغب الأصفهاني، تح: عادل بن علي الشِّدِي، ط: دار الوطن بالرياض، الطبعة الأولى ٢٠٠٣م، وتح: هند بنت محمد بن زاهد سردار، الناشر: كلية الدعوة وأصول الدين – جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

٢٥- تفسير العز بن عبد السلام، تح: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ط: دار ابن حزم ببيروت، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ = ١٩٩٦م.

٢٦- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، تح: محمد حسين شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.

٢٧- التفسير القيم، ابن القيم، ط: دار ومكتبة الهلال ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠هـ.

٢٨- تفسير مقاتل بن سليمان، تح: عبد الله محمود شحاتة، ط: دار إحياء التراث ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ.

٢٩- التفسير الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٧ – ١٩٩٨م.

٣٠- التفسير الوسيط، الواحدي، تح: عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.

٣١- التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال العسكري، تح: عزة حسن، ط: دار طلاس – دمشق، الطبعة الثانية ١٩٩٦م.

٣٢- تهذيب اللغة، أبو منصور الأزهري، تح: محمد عوض مرعب، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٣٣- التيسير في التفسير، أبو حفص النسفي، تح: ماهر أديب حبوش وآخرين، ط: دار اللباب للدراسات وتحقيق التراث، اسطنبول – تركيا، الطبعة الأولى ١٤٤٠هـ. ٢٠١٩م.
٣٤- جامع البيان للطبري، ط: دار التربية والتراث بمكة المكرمة، (د. ت).
٣٥- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، تح: أحمد البردوني، إبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٩٦٤م.
٣٦- جامع المسانيد والسنن، ابن كثير، تح: د. عبد الملك بن عبد الله الدهيش، ط: دار خضر، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٨م.
٣٧- جمهرة اللغة، ابن دريد، تح: رمزي منير بعلبكي، ط: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.
٣٨- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، الثعالبي، تح: محمد علي معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ.
٣٩- حجة القراءات، ابن زنجلة، تح: سعيد الأفغاني، ط: دار الرسالة.
٤٠- الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه، تح: د. عبد العال سالم مكرم، ط: دار الشروق ببيروت، الطبعة الرابعة سنة ١٤٠١هـ.
٤١- الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، تح: بدر الدين قهوجي – بشير جويجابي، ط: دار المأمون للتراث، دمشق – بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٣م.
٤٢- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، السمين الحلبي، تح: أحمد محمد الخراط، ط: دار القلم، دمشق.
٤٣- دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر، عبد القاهر الجرجاني، تح: طلعت صلاح الفرحان، ط: دار الفكر بالأردن، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩م.

٤٤- ديوان الأدب للفارابي، تح: دكتور أحمد مختار عمر، ط: مؤسسة دار الشعب بالقاهرة، طبعة سنة ٢٠٠٣م.
٤٥- ديوان الأعشى، شرح وتعليق: د. محمد حسين، ط: مكتبة الآداب بالجماميز، الطبعة الأولى سنة ١٩٥٠م.
٤٦- ديوان توبة بن الحميِّر، تح: خليل إبراهيم العطية، ط: مطبعة الإرشاد ببغداد، الطبعة الأولى سنة ١٩٦٨م.
٤٧- ديوان ذي الرمة، تح: عبد القدوس أبو صالح، ط: مؤسسة الإيمان بجدة، الطبعة الأولى ١٩٨٢م.
٤٨- ديوان رؤبة بن العجاج، بعناية وتصحيح: وليم بن الورد البروسي، ط: دار ابن قتيبة – الكويت.
٤٩- ديوان الطرمّاح، تح: عزة حسن، ط: دار الشرق العربي، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية ١٩٩٤م.
٥٠- ديوان القتال الكلابي، تح: إحسان عباس، ط: دار الثقافة – لبنان سنة ١٩٨٩م.
٥١- ديوان المُتَلَمِّس، تح: حسن كامل الصيرفي، منشورات معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية سنة ١٩٧٠م.
٥٢- ديوان ابن ميادة، تح: حنا جميل حداد، ط: مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
٥٣- ديوان النابغة الذبياني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعارف، الطبعة الثانية.
٥٤- ديوان نُصَيْب بن رباح، جمع وتحقيق: داود سلُّوم، ط: مطبعة الإرشاد – بغداد سنة ١٩٦٧م.
٥٥- ديوان الهذليين، ترتيب وتعليق: محمّد محمود الشنقيطي، ط: الدار القومية للطباعة والنشر، مصر سنة ١٩٦٥م.

٥٦- ديوان لَبيد بن ربيعة، تح: حمدو طمّاس، ط: دار المعرفة، الطبعة الأولى ٢٠٠٤م.
٥٧- الرد على الانتقاد على الشافعي في اللغة، البيهقي، تح: عبد الكريم بن محمد الحسن، ط: دار البخاري للنشر والتوزيع، بريدة.
٥٨- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم، الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
٥٩- زاد المسير في علم التفسير، ابن الجوزي، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٢هـ.
٦٠- الزاهر في معاني كلمات الناس، ابن الأنباري، تح: حاتم صالح الضامن، ط: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى١٩٩٢م.
٦١- سنن أبي داود، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا – بيروت.
٦٢- سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر، ط: مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية ١٩٧٥م.
٦٣- السنن الكبرى، البيهقي، تح: محمد عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثالثة ٢٠٠٣م.
٦٤- سنن سعيد بن منصور، تح: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد، ط: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.
٦٥- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان الحميري، تح: حسين بن عبد الله العمري وآخرين، الناشر: دار الفكر المعاصر ببيروت، دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٦٦- صحيح البخاري، تح: د. مصطفى ديب البغا، ط: دار ابن كثير، دار اليمامة – دمشق، الطبعة الخامسة ١٩٩٣م.

٦٧- صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة سنة ١٩٥٥م.
٦٨- العباب الزاخر واللباب الفاخر حرف الطاء، تح: محمد حسن آل ياسين، ط: دار الرشيد للنشر سنة ١٩٧٩م، وحرف الفاء، تح: محمد حسن آل ياسين، ط: دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨١م.
٦٩- عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، السمين الحلبي، تح: محمد باسل عيون السود، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى١٩٩٦م.
٧٠- العين، الخليل بن أحمد، تح: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط: دار ومكتبة الهلال.
٧١- غرائب التفسير وعجائب التأويل، الكرماني، ط: دار القبلة للثقافة الإسلامية بجدة.
٧٢- غريب الحديث، ابن قتيبة، تح: عبد الله الجبوري، ط: مطبعة العاني ببغداد، الطبعة الأولى ١٣٩٧هـ.
٧٣- غريب الحديث، أبو عبيد، تح: حسين محمد محمد شرف، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، طبعة أولى ١٩٨٤م.
٧٤- غريب الحديث، الخطابي، تح: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، ط: دار الفكر بدمشق، طبعة سنة ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
٧٥- غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب، ابن عُزير السجستاني، تح: محمد أديب عبد الواحد جمران، ط: دار قتيبة بسوريا، الطبعة الأولى١٩٩٥م.
٧٦- غريب القرآن، ابن قتيبة، تح: أحمد صقر، ط: دار الكتب العلمية سنة ١٩٧٨م.
٧٧- الغريبين في القرآن والحديث، أبو عبيد الهروي، تح: أحمد فريد المزيدي، ط: مكتبة نزار مصطفى الباز، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٧٨- الفائق في غريب الحديث والأثر، الزمخشري، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: دار المعرفة بلبنان، الطبعة الثانية.
٧٩- فتح البيان في مقاصد القرآن، القِنَّوجي، ط: المَكتبة العصريَّة ببيروت سنة ١٩٩٢م.
٨٠- فتح القدير، الشوكاني، ط: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٨١- الفروق اللغوية للعسكري، أبو هلال العسكري، تح: محمد إبراهيم سليم، ط: دار العلم والثقافة بالقاهرة.
٨٢- القراءات المتواترة وأثرها في الرسم القرآني والأحكام الشرعية، محمد حبش، ط: دار الفكر بدمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٩م.
٨٣- القرارات المجمعية في الألفاظ والأساليب من ١٩٣٤ ـ ١٩٨٧م الصادرة عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية سنة ١٩٨٩م.
٨٤- الكشاف، الزمخشري، ط: دار الكتاب العربي ببيروت، الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٧هـ.
٨٥- الكشف والبيان عن تفسير القرآن = تفسير الثعلبي، ط: دار التفسير بالمملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٥م.
٨٦- الكليات، أبو البقاء الكفوي، تح: عدنان درويش ـ محمد المصري، ط: مؤسسة الرسالة ببيروت.
٨٧- لباب التفاسير، أبو القاسم الكرماني، تح: عبد الله بن حمد المنصور، رسالة دكتوراة بقسم القرآن وعلومه بكلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
٨٨- لسان العرب، ابن منظور، ط: دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٨٩- اللغات في القرآن، ابن حسنون، تح: صلاح الدين المنجد، ط: مطبعة الرسالة بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ١٩٤٦م.
٩٠- مجاز القرآن، أبو عبيدة، محمد فواد سزكين، ط: مكتبة الخانجي بالقاهرة، طبعة سنة ١٣٨١هـ.
٩١- مجمع الأمثال، الميداني، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: دار المعرفة – بيروت، لبنان.
٩٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين الهيثمي، تح: حسام الدين القدسي، ط: مكتبة القدسي– القاهرة، سنة ١٩٩٤م.
٩٣- المحرر الوجيز، ابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ.
٩٤- المحكم، ابن سيده، تح: عبد الحميد هنداوي، ط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٠م.
٩٥- المخصص، ابن سيده، تح: خليل إبراهيم جفال، الناشر: دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٦م.
٩٦- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، أبو البركات النسفي، ط: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٨م.
٩٧- مسند أبي داود الطيالسي، تح: محمد بن عبد المحسن التركي، ط: دار هجر – مصر سنة ١٩٩٩م.
٩٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل، تح: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرين، ط: مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.
٩٩- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، القاضي عياض، ط: المكتبة العتيقة ودار التراث.
١٠٠- المصباح المنير للفيومي، ط: المكتبة العلمية – بيروت.

١٠١- معالم التنزيل في تفسير القرآن، البغوي، تح: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي ببيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ.

١٠٢- معاني القراءات، أبو منصور الأزهري، ط: مركز البحوث في كلية الآداب – جامعة الملك سعود – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٠٣- معاني القرآن وإعرابه، الزجاج، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط: عالم الكتب ببيروت، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٨م.

١٠٤- معاني القرآن، النحاس، تح: محمد علي الصابوني، ط: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ.

١٠٥- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن جبل، ط: مكتبة الآداب، الطبعة الأولى سنة ٢٠١٠م.

١٠٦- معجم الصواب اللغوي، د. أحمد مختار عمر، ط: عالم الكتب بالقاهرة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٨م.

١٠٧- معجم الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري، تح: الشيخ بيت الله بيات، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي بـ (قُم)، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١٠٨- معرفة السنن والآثار، البيهقي، تح: عبد المعطي أمين قلعجي، ط: دار قتيبة، دمشق – بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

١٠٩- مفاتيح الغيب للرازي، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة ١٤٢٠هـ.

١١٠- المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، ط: دار القلم، الدار الشامية بدمشق بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

١١١- مفردات القرآن، عبد الحميد الفراهي، تح: محمد أجمل أيوب، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى ٢٠٠٢م.

١١٢- مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام هارون، ط: دار الفكر سنة ١٩٧٩م.
١١٣- المنتخب من كلام العرب، كراع النمل، تح: محمد بن أحمد العمري، ط: جامعة أم القرى، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.
١١٤- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، ط: دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة.
١١٥- النكت والعيون = تفسير الماوردي، تح: السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط: دار الكتب العلمية ببيروت.
١١٦- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تح: طاهر أحمد الزاوي، محمود محمد الطناحي، ط: المكتبة العلمية ببيروت، ١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م.
١١٧- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، الشوكاني، تح: عصام الدين الصبابطي، ط: دار الحديث - مصر، الطبعة الأولى ١٩٩٣م.
١١٨- الهداية إلى بلوغ النهاية، مكي بن أبي طالب، مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، ط: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة الأولى ٢٠٠٨م.
١١٩- الوجوه والنظائر، أبو هلال العسكري، تح: محمد عثمان، ط: مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
١٢٠- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد الراغب، ط: فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة الأولى ٢٠٠١م.

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
الدراسات السابقة ٦
أهمية الموضوع ٨
أسباب اختيار الموضوع ٨
تساؤلات البحث ٩
منهج البحث ٩
خطة البحث ٩
المبحث الأول: الألفاظ الصريحة الدالة على معنى (الميل والعدول) ١٠
تعريف الميل ١٠
تعريف العدول ١١
استعمالات لفظي (الميل) و(العدول) في القرآن الكريم ١٣
المبحث الثاني: الألفاظ غير الصريحة الدالة على الميل والعدول ٢٩
١-الإخلاد ٢٩
٢-الإلْحَاد ٣٢
٣-التَّحَرُّف والتَّحْرِيف ٣٧
٤-الجنف ٤٢
٥-الجُنُوح ٤٦
٦-الجَوْر ٥٠
٧-الحَنَف ٥٢
٨-الحَيْد ٥٨
٩-الحَيْص ٦١
١٠-الحَيْف ٦٤
١١-الدُّلُوك ٦٨
١٢-الرُّكُون ٧٣

١٣-الرَّوْغ والرَّوَغَان ٧٨
١٤-الزَّوْر والازْورار ٨٢
١٥-الزَّيْغ ٨٥
١٦-السُّجُود ٩١
١٧-الشَّطَط ٩٥
١٨-الصَّبْو والصَّبْوة ٩٧
١٩-الصُّدُوف ١٠٢
٢٠-الصَّعَر ١٠٦
٢١-الصَّعْو ١٠٩
٢٢-الصَّوَر ١١٢
٢٣-العَوَج ١١٦
٢٤-العَوْل ١٢٢
٢٥-الفُجُور ١٢٧
٢٦-القُسُوط ١٣١
٢٧-اللَّحْن ١٣٤
٢٨-اللَّـيّ ١٣٧
٢٩-المَـيْد والمَيَدان ١٤١
٣٠-النَّكْب والنُّكُوب ١٤٥
٣١-الهَـوَى ١٤٧
الخاتمة ١٥٠